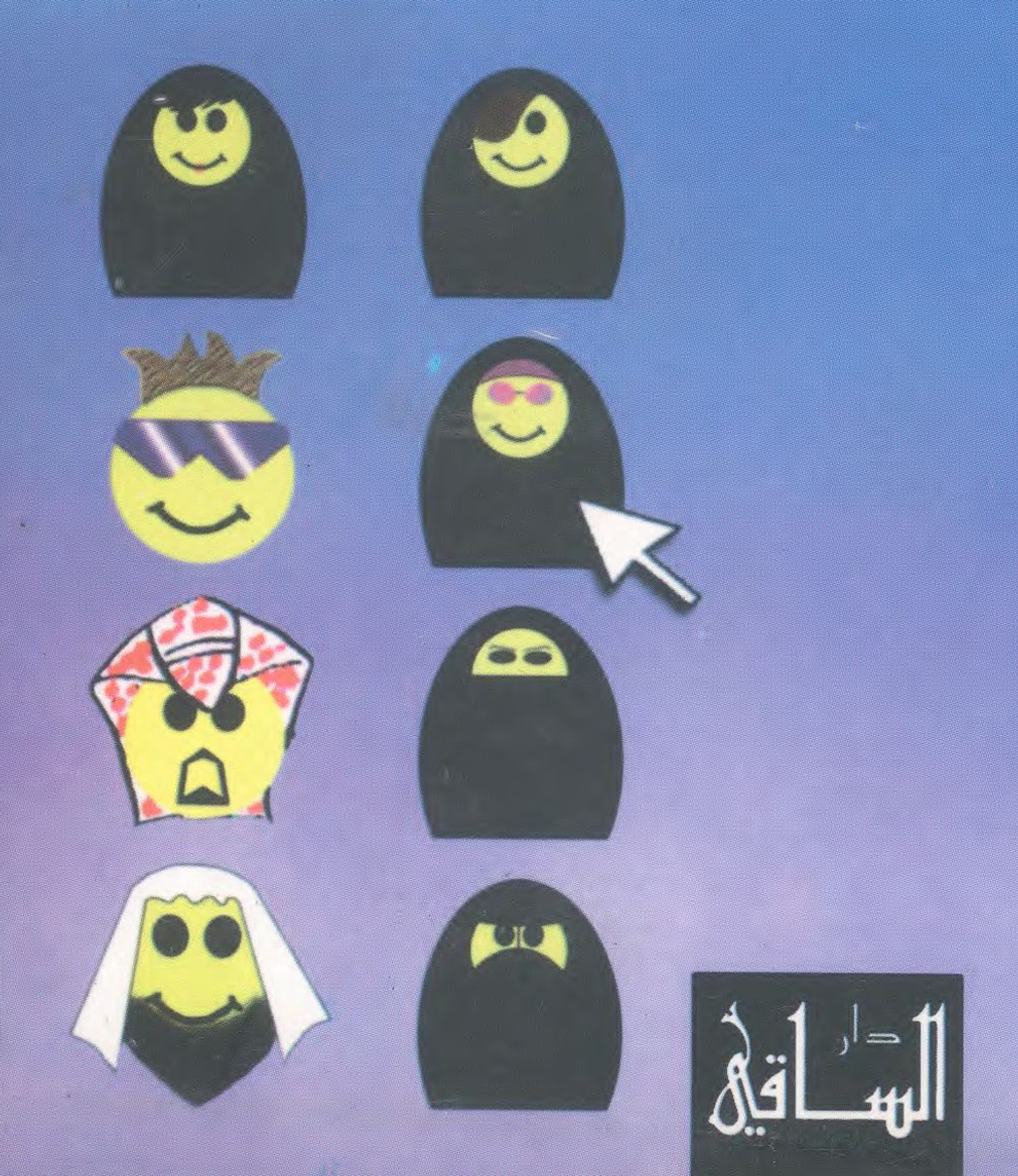
رجاء عبد الله الصانع

بنات الرياض



رواية

بنات الرياض

الموقع الإلكتروني للمؤلفة : www.rajaa.net
تصميم الغلاف : جمال الصانع

رجاء عبد الله الصانع

بنات الرياض

رواية



الطبعة الأولى ٢٠٠٥

ISBN 1-85516-786-7

دار الساقي
بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء،
ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان
الرمز البريدي: ٦١١٤ ـ ٢٠٣٣
هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٧٣٧٢٥٦ (٠١)
e-mail: alsaqi@cyberia.net.lb

إلى عيني الاثنتين...
أمي... وأختي رشأ
وجميع صديقاتي

بنت الرياض

مرحباً بكم في قائمة مراسلات «سيرة وانفضحت»[*] البريدية

للاشتراك بالقائمة، أرسل رسالة فارغة للإيميل الآتي:

seerehwenfadha7et_subscribe@yahoogroups.com

لإلغاء الإشتراك، أرسل رسالة فارغة للإيميل الآتي:

seerehwenfadha7et_unsubscribe@yahoogroups.com

لمراسلة المشرفة على المجموعة

seerehwenfadha7et@yahoogroups.com

(*) أي تشابه بين أبطال الرواية وأحداثها والواقع هو تشابه مقصود

(١)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 13/2/2004
Subject: سأكتب عن صديقاتي

إنَّ اللهَ لا يغيرُ ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم.

سورة الرعد: ١١

سيداتي آنساتي سادتي. . . أنتم على موعد مع أكبر الفضائح المحلية، وأصخب السهرات الشبابية. محدثتكم؛ موا، تنقلكم إلى عالم هو أقرب إليكم مما يصوره الخيال. هو واقع نعيشه ولا نعيش فيه، نؤمن بما نستسيغ الإيمان به منه ونكفر بالباقي.

لكل من هم فوق الثامنة عشرة، وفي بعض البلدان الحادية والعشرين، أما عندنا فبعد السادسة (لا أعني السادسة عشرة) للرجال وسن اليأس للفتيات. لكل من يجد في نفسه الجرأة الكافية على قراءة الحقيقة عارية على صفحات الإنترنت، والمثابرة المطلوبة للحصول على تلك الحقيقة، مع الصبر اللازم لمسايرتي في هذه التجربة المجنونة. إلى كل من مل قصص الحب الطرزاني، ولم يعد يرى أن

الخير لونه أبيض، والشر يرتدي الأسود. إلى من يعتقد بأن ١ + ١ قد لا يساويان اثنين، وإلى من فقد إيمانه بأن الكابتن ماجد سيسجل هدفي التعادل والفوز في آخر ثانية من الحلقة! إلى كل الساخطين والناقمين، الثائرين والغاضبين، وكل من يرى أن الناس خيبتها السبت والحد، واحنا خيبتنا ما وردتش على حد. . . إليكم أكتب رسائلي، علها تقدح الزناد، فينطلق التغيير.

هذه ليلتي، وقصة الأمس بطلاتها «منكم وفيكم»، فنحن من وإلى الصحراء نعود، وكما تُنبت نجدُنا الصالحَ والطالحَ، فمن بطلات قصتي من هي صالحة ومن هي طالحة ـ وهناك الاثنتان في واحدة ـ و«استروا على ما واجهتم»! ولأني قد بدأت في كتابة رسائلي جرأة من دون مشاورة أي منهن. ولأن كلاً منهن تعيش حالياً تحت ظل «راجل» أو «حيطة» أو «راجل حيطة» أو وراء الشمس، فقد آثرت تحريف القليل من الأحداث مع تغيير الكثير من الأسماء، حفاظاً على العيش والملح، بما لا يتعارض مع صدق الرواية ولا يخفف من لذع الحقيقة. صحيح أنني مستبيعة و«لا أنتظر شيئاً. لا أخشى شيئاً. لا آمل في شيء»، على رأي نيكوس كازانتزاكيس، إلا أن حياةً صمدت على الرغم من كل ما ستقرؤون، لا أظن أن هدمها ببضع رسائل بريدية «بالشيء المحرز»!

سأكتب عن صديقاتي

فقصة كل واحدة

أرى فيها، أرى ذاتي

ومأساةٌ كمأساتي

سأكتب عن صديقاتي

عن السجن الذي يمتص أعمار السجيناتِ

عن الزمن الذي أكلته أعمدة المجلاتِ

عن الأبواب لا تُفتح

عن الرغبات وهي بمهدها تُذبح

عن الزنزانة الكبرى

وعن جدرانها السود

وعن آلافِ، آلافِ الشهيداتِ

دُفِنّ بغيرِ أسماء

بمقبرة التقاليدِ

صديقاتي

دمىً ملفوفةٌ بالقطن، داخل متحفٍ مغلق

نقودٌ صكّها التاريخ، لا تُهدى ولا تُنفَق

مجاميعٌ من الأسماك، في أحواضها تختنق

وأوعيةٌ من البلورِ، مات فراشها الأزرق

بلا خوفٍ

سأكتب عن صديقاتي

عن الأغلال دامية بأقدام الجميلاتِ

عن الهذيان، والغثيان... عن ليل الضراعاتِ

عن الأشواق تُدفن في المخداتِ

عن الدوران في اللاشيء

عن موت الهنيهاتِ

صديقاتي

رهائن تُشترى وتُباع في سوقِ الخرافاتِ

سبايا في حريمِ الشرق

موتى غير أمواتِ

يعشن، يمتن، مثلَ الفطر! في جوفِ الزجاجاتِ

صديقاتي

طيورٌ في مغائرها

تموتُ، بغير أصواتِ.

صح لسانك يا نزار يا قباني. رحمك الله «مي يو ريست إن بيس». صدق من لقبك بشاعر المرأة، «ومن لا يعجبه ذلك فليشرب من البحر»، ففي الحب لا بعدك ولا قبلك كما تقول الأغنية المعروفة، ولو أن الفضل في تعاطفك مع نون النسوة لم يكن سببه طفرة جينية في كروموسوماتك الرجالية، وإنما انتحار أختك المسكينة بسبب الحب، «ويضرب الحب شو بيذل»! فـ«يا بخت» المرحومة بلقيس، ويا «قرد» حظنا من بعدك؛ أي يا لتعاسة الحظ، وأظن التعبير النجدي مشتق من حيوان القرد لكثرة تنطيطه، الذي يشبه الحظ في عملية وقوفه وانبطاحه المستمرين، أو هو من حشرة القرادة كما يقول البعض. للأسف، يبدو أن المرأة منّا لن تجد نزارها إلا بعد أن «تتخلّص» على إحدى أخواته،

لتتحول بعدها قصة الحب الجميل من فيلم أبيض وأسود إلى حب في الزنزانة، ويا قلبي لا تحزن!

نكشت شعري، ولطخت شفتي بالأحمر الصارخ، وإلى جانبي صحن من رقائق البطاطس المرشوشة بالليمون والشطة. كل شيء جاهز للفضيحة الأولى.

* * *

اتصلت مدام سوسن بسديم المختبئة مع قمرة خلف الستار، لتخبرها أن شريط الزفة ما زال عالقاً، والمحاولات جارية لإصلاحه:

- دخيلك قولي لقمورة تهدّي حالها... ما صار شي! لسّاتون الناس مأربزين هون ما حدا فل، وبعدين كِلّيات العرايس الكوول بيتأخروا شوي تيعملوا سسبنس!

قمرة على وشك الانهيار، وصوت والدتها وأختها حصة اللتين تصرخان في وجه منظِمة الحفل، يأتي من آخر القاعة منبئاً بفضيعة وليلة سوداء. وسديم ما زالت إلى جانب صديقتها العروس، تمسح عن جبينها قطرات العرق قبل أن تلتقي بالدموع التي تحبسها أطنان من الكحل داخل جفنيها.

يملأ صوتُ محمد عبده المنبعث من جهاز التسجيل القاعةَ الضخمة، وتصل إشارة البدء من مدام سوسن إلى سديم، التي تلكز قمرة بكوعها:

- سَرينا.

تنهي قمرة المسح بيديها على سائرِ جسدها بحركة سريعة بعد أن قرأت المعوذتين والإخلاص ثلاثاً مخافة الحسد، وترفع طرف الفستان

العلوي الذي ينحسر باستمرار عن نهديها الصغيرين، ثم تبدأ بهبوط الدرجات الرخامية بأبطأ مما تدربت عليه مع زميلاتها في البروفة، مضيفة ثانية سادسة على الثواني الخمس التي تفصل كل خطوة عن التي تليها. تذكر الله قبل كل خطوة وتدعو أن لا تدوس سديم ذيل الفستان فيسقط عنها، أو أن تدوس هي الطرف الأمامي الطويل فتقع على وجهها كما يحدث في الأفلام الكوميدية. يختلف الأمر كثيراً عن البروفة، فحينها لم يكن هناك ألفا مدعوة يحدقن في خطواتها وتحصين لفتاتها وابتساماتها، ولم تكن هناك مصورة تعمي عينيها بفلاشاتها. مع تلك الإضاءة المزعجة والأعين المثبتة عليها، يصبح الزواج العائلي الضيق الذي طالما نفرت من فكرته، أروعَ حلم، في ليلة من كابوس طويل!

تسير سديم محنية الظهر خلف صديقتها خوفاً من أن تظهر في الصور. تتابع العملية بتركيز شديد. تُصلح وضع الطرحة المثبتة فوق رأس قمرة وتسحب لها ذيل الفستان بعد كل خطوة، ورادارها يلتقط حوارات على الموائد القريبة:

- من تكون؟

- ما شاء الله. ملح وقبله!

- أخت العروس؟

- يقولون صديقتها من زمان.

- يبدو لي أنها سنعة ودبرة. من بداية العرس وهي تدور وتباشر. شايلة العرس على راسها.

- أحلى من العروس بكثير! تصدقين أنا سمعت أن الرسول دعا للشينة؟

- عليه الصلاة والسلام. إيه والله، الشيون هم اللي سوقهم ماشي هالأيام. مهوب حنا، مالت على حظنا!
- فيها عِرق؟ بياضها بياض شوام مهو بياضنا المشوهب!
- جدتها لأبيها سورية.
- سديم الحريملي. خوالها ماخذين مننا. إذا ولدكم معزم، جبت لكم الأخبار كلها.

بلغها أن ثلاثاً قد سألن عنها منذ بداية العرس، وها هي تسمع الرابعة والخامسة بأذنها. كلما جاءتها إحدى أخوات قمرة لتخبرها بأن فلانة سألت عنها كانت ترد بحياء: «سألت عنها العافية». يبدو أن الفرج قد حان وأن زواج قمرة سيفرط السبحة كما قالت لهم الخالة أم نويّر، إن هي نفذت الخطة بدقة كما تفعل حتى الآن.

سياسة الـ«يالله يالله» بمد الياءين مد حركتين، أي الـ«بالكاد» هي أضمن الطرق في مجتمعنا المحافظ إلى خطبة سريعة حسب تعليمات أم نويّر، «وبعدها استخفّي مثل ما تبين!». في الأعراس والنّزالات والزّوارات وحفلات الاستقبال، حيث تلتقي النساء والعجائز منهن تحديداً - رأس المال وأمهات العيال كما تحلو للفتيات تسميتهن - يجب اتباع هذه السياسة بحذافيرها: «يالله يالله تمشين، يالله يالله تتحركين، يالله يالله تبتسمين، يالله يالله ترقصين. الله الله بالعقل والثقل، لا تصيري خفيفة! الكلمة بحساب واللفتة بحساب...»، ولا نهاية للتعليمات.

تتخذ العروس مكانها على المنصة الفخمة (الكوشة)، وتصعد إليها والدتها ووالدة عريسها لتباركا الزواج السعيد وتلتقطا بعض الصور التذكارية إلى جانبها قبل دخول الرجال.

تبدو اللهجة الحجازية مميزة في مثل هذا العرس النجدي القح:

- أجدادنا الفراعنة!

يطغى تأثير الجدة المصرية على لسان لميس وشخصيتها... تهمس في أذن صديقتها ميشيل وهما تتأملان المساحيق الكثيفة التي تغطي وجه صديقتهما قمرة، وخاصة عينيها، اللتين بدا بياضهما بلون الدم من كثرة الكحل الذي تسرب إلى داخلهما.

ترد ميشيل بالإنكليزية:

- وير ذا هيل. دد شي قت ذس دريس فروم؟!
- مسكينة يا قمورة، يا ريتها راحت للمشغل اللي خيطت عندو سدومة بدال هالعك اللي عاملتو بنفسها... شوفي فستان سديم! اللي يشوفو يفكر إنو لإيلي صعب!
- اللي يسمعك يقول في واحدة من هالمعازيم عارفة إن فستاني لباجلي مشكا! ما حدن درى عنك ماي دير! نو بودي كان تل ذا دفرنس إلا القليل، وهذول بالذات ما تلاقينهم في عرس قروي زي هذا، وبعدين انتي شايفة كيف الميك آب حقها مرة تو متش؟ إذا هي سمرا ليش يحطون لها فاونديشن أبيض زي الطحين! مخلينها طالعة زرقاء! وفي فرق واضح بين وجهها ورقبتها. يععع... سو فالقر!
- الساعة حدعشر! الساعة حدعشر!!
- الساعة واحدة ونص يا هبلة.
- لا يا تِنحة! قصدي التفتي يسارك زي عقارب الساعة لما تكون على الحدعشر... عمركو ما حتتعلموا أصول الحش! المهم شوفي البنت هادي... أما عليها «مواهب»!!

ـ أي واحدة فيهم؟ الدفع الأمامي والاّ الخلفي؟

ـ الخلفي يا حولة!

ـ تو متش. . . هاذي المفروض ياخذون منها ويعطون قمرة حُقَن من قدام ومن ورا زي حُقَن الكولاجين!

ـ أحلى مواهب فينا حقة سديم. أحس إنو جسمها مرة أنثوي! يا ليت عندي مواهب زيها من ورا.

ـ صح شيز سو كيرفي بس يبغى لها تنحف شوي وتلعب رياضة مثلك. . . أنا اللي الحمد لله مهما أكلت ما أسمن فمرتاحة.

ـ والله يا بختك. . . أنا عايشة في مجاعة دائمة علشان جسمي يظل كذا.

تلمح العروس صديقتيها إلى طاولة قريبة وهما تبتسمان وتلوحان لها وفي عيني كل منهما سؤال تحاول إخفاءه: «لِمَ لستُ مكانها؟؟»، فتنتشي في تلك اللحظات الثمينة من حياتها وهي ترى أنها ـ وهي أقلهن تميزاً كما كانت تعتقد دائماً ـ أول من تزوجت بينهن.

بدأت المدعوات بالصعود إلى المنصة أفواجاً لتهنئة العروس بعد أن توقف التصوير، فصعدت كل من سديم وميشيل ولميس، وهمست كل منهن في أذن قمرة وهي تحتضنها وتقبلها:

ـ قمر والله! ما شاء الله تبارك الله. طول الزفة وأنا أذكر الله عليكِ.

ـ مبروك حياتي. . . مرة حلو شكلك. الفستان طالع عليكِ شي خيالي!!

ـ يا ألله! تجنني يا بت! أيش الحلاوة هادي؟ أحلى عروسة شفتها في حياتي!

تتسع ابتسامة قمرة وهي تستمع إلى مديح صديقاتها وترى الغيرة المخبأة في أعينهن. تقف الثلاث لالتقاط بعض الصور مع العروس السعيدة، وتجتهد سديم ولميس في الرقص حولها، بينما تتفحصهما أعين الخاطبات هما وميشيل بتمعن. تتباهى لميس بطولها الفارع وجسمها الرشيق وهي ترقص بعيداً عن سديم التي حذرتها مسبقاً من الرقص بجانبها حتى لا يلاحظ الجميع قصر قامتها وعودها الريان الذي تتمنى لو تستطيع شفط بعض الدهون من أماكن معينة منه حتى تصل إلى مستوى رشاقة لميس أو ميشيل.

يندفع الرجال فجأة كالسهام يتوسطهم العريس راشد التنبل، باتجاه منصة العروس، فتتزاحم النساء مبتعدات وكل واحدة تبحث معها أو مع من حولها عما تغطي به شعرها ووجهها والمكشوف من جسدها عن أنظار الرجال القادمين.

عندما أصبح العريس ومن معه على بعد خطوات بسيطة منهن، رفعت لميس طرف المفرش الذي يغطي الطاولة لتغطي به العاري من صدرها، وغطت توأمها تماضر ظهرها وشعرها بشالٍ من لون الفستان، بينما ارتدت سديم عباءتها السوداء المزركشة الأطراف وطرحتها الحريرية التي أخفت بها النصف السفلي من وجهها، أما ميشيل فقد ظلت على حالها وراحت تتفحص أوجه الرجال واحداً تلو الآخر غير عابئة بهمهمات النساء ونظراتهن الحارقة إليها.

صعد راشد مع أبي العروس وخالها وإخوتها الأربعة إلى المنصة، وكل منهم يحاول لمح أكبر قدر ممكن من أوجه النساء اللواتي تركزت أنظارهن على الخال الأربعيني، الذي يشبه الأمير الشاعر خالد الفيصل إلى حد كبير.

عندما وصل راشد إلى عروسه القمرة، مد يديه ليرفع الطرحة عن وجهها كما أشارت له والدته، ثم اتخذ مكانه إلى جانبها منفسحاً المجال لبقية الرجال حتى يباركوا لهما زفافهما الميمون.

تعالت أصوات صديقات العروس: ألف الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله محمد.

وتوالت الغطاريف.

انصرف الرجال بعد دقائق قليلة، توجه بعدها العروسان نحو قاعة الطعام لقطع قالب الحلوى، تتبعهما المقربات من الحاضرات.

هناك هتفت صديقات العروس بحماسة: «عاوزين بوسة! عاوزين بوسة!»، فابتسمت أم راشد واحمر وجه أم قمرة، أما راشد فحدَّجهن بنظرة أسكتتهن في لحظة. لعنتهن قمرة في سرها لإحراجها أمامه بهذا الأسلوب، ولعنته أكثر لإحراجه إياها أمام صديقاتها بعدم تقبيلها!

دمعت عينا سديم وهي ترى قمرتها وصديقة طفولتها تغادر قصر الاحتفالات مع زوجها إلى الفندق الذي سيقضيان فيه ليلتهما، ليسافرا في الغد لقضاء شهر العسل في أماكن مختلفة من إيطاليا، ينتقلان بعدها إلى الولايات المتحدة ليبدأ راشد في التحضير للدكتوراه.

كانت قمرة القصمنجي أقرب إلى سديم من بقية فتيات الشلة الرباعية، بحكم دراستهما معاً في مدرسة واحدة وفصل واحد منذ الصف الابتدائي الثاني، بينما لم تنضم إليهما مشاعل العبد الرحمن أو ميشيل كما يناديها الجميع إلا في السنة الثانية من المرحلة المتوسطة، بعد أن عادت مع أبويها ومشعل الصغير - ميشو - من أميركا. انتقلت بعدها بسنة إلى مدرسة تعتمد على اللغة الإنكليزية في مناهجها كلغة

أولى، لعدم إتقانها اللغة العربية التي تُعَد أساسية في مدرسة قمرة وسديم. في مدرستها الجديدة تعرفت إلى لميس جداوي؛ الفتاة الحجازية التي تربت منذ طفولتها في الرياض، وأصبحت صديقتها المقربة، وصارت الفتيات الأربع على اتصال دائم وعلاقة متينة، استمرت حتى بعد انتقالهن إلى الجامعة.

درست سديم إدارة الأعمال، واتجهت لميس نحو دراسة الطب، بينما اختارت ميشيل علوم الحاسب، أما قمرة التي كانت الوحيدة المتخرجة من القسم الأدبي بينهن، فقد احتاجت إلى كثير من الوساطات حتى تم قبولها لدراسة التاريخ، إلا أنها خُطبت بعد بداية الدراسة بأسابيع قليلة، فقررت الانسحاب من الجامعة لتتفرغ لتجهيزات الزواج، خاصة أنها ستنتقل بعد الزواج إلى أميركا حيث يكمل زوجها دراساته العليا.

* * *

قمرة على طرف السرير، في غرفتها بفندق جورجونيه في فينيسيا. تمسح فخذيها وقدميها بمزيج مبيض من الغليسرين والليمون أعدته لها والدتها، وقاعدتها الذهبية تملأ ذهنها: «لا تصيري سهلة...». التمنع هو السر لإثارة شهوة الرجل. لم تسلّم أختها الكبرى نفلة نفسها لزوجها إلا في الليلة الرابعة، ومثلها أختها حصة، وها هي ذي قمرة تحطم الرقم القياسي ببلوغها الليلة السابعة بعد زواجها من دون أن يمسها راشد حتى الآن، مع أنها كانت على استعداد للتخلي عن نظريات والدتها بعد أول ليلة معه، عندما نزعت ثوب زفافها وارتدت قميص نومها السكري الذي ارتدته مراراً قبل الزواج في أيام المِلكة أمام المرآة في غرفتها، مثيرة به إعجاب والدتها التي كانت تذكر الله خشية الحسد وهي تغمز

بطرفها لقمرة التي يملؤها مديح والدتها بالثقة والغرور، حتى وإن علمت أنها تبالغ فيه.

خرجت من الحمام في تلك الليلة لتجده نائماً! ومع أنها تكاد تجزم بأنه تظاهر بالنوم بعد أن التقت عيناهما للحظة خاطفة، إلا أنها صرفت عنها وساوس إبليس كما سمتها أمها في آخر محادثة هاتفية لهما، وكرست طاقاتها لجذبه إليها بعد أن أعلنت والدتها أن سياسة التمنع قد «جابت العيد»!

أصبحت والدتها أجرأ في الحديث معها عن شؤون المرأة والرجل منذ عقد قرانها على راشد، بل إنها لم تكن تتكلم معها في أي من هذه المواضيع من قبل. تلقت قمرة دروساً مُكثفة في العلاقات الزوجية من المرأة نفسها التي كانت تقطع صفحات الروايات العاطفية التي كانت تستعيرها ابنتها من زميلاتها أيام الدراسة، وتمنعها من زيارة صديقاتها، ما عدا سديم التي تعرف خالتها بدرية معرفة وثيقة من خلال «دائرات» نساء الحي قبل انتقال الخالة إلى المنطقة الشرقية.

تؤمن أم قمرة بنظرية المرأة الزبدة والرجل الشمس، ولكن كل ذلك قد تغير فجأة بمجرد خطبة البنت. أصبحت قمرة تستمع إلى أحاديث والدتها عن «عملية الزواج» بلذة شاب يقدم له أبوه سيجارة ليدخنها أمامه لأول مرة.

(٢)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 20/2/2004
Subject: البنات يحتفلن بقمرة على طريقتهن

إما أن تكون الحياة تحدياً ومغامرة، أو ألاّ تكون شيئاً أبداً.

هيلين كيلر

في البداية، رسالة صغيرة لكل من الإخوة حسن وأحمد وفهد ومحمد وياسر، الذين أسعدوني بمداخلاتهم الجادة: لا . . . ما يمكن نتعرف.

بعد أن وضعت أحمري الصارخ، أكمل من حيث توقفت.

* * *

بعد زفاف قمرة، وضعت صديقاتها الجرار الفخارية الصغيرة التي نُقش عليها اسما العروسين كتذكار إلى جانب التذكارات التي وزعت عليهن في أعراس زميلاتهن، وكل واحدة منهن تتمنى أن يضاف تذكار زفافها إلى جانب بقية التذكارات عاجلاً غير آجل كي لا تموت بحسرتها.

أعدت الشلة ترتيباتها الخاصة قبل حفلة العرس لعمل ما يشبه الباتشلوريت بارتي التي يقيمونها للعروس في الغرب قبل زفافها. لم يردن إقامة حفل دي جي كما جرت عليه العادة مؤخراً، حيث تقوم صديقات العروس بعمل الحفل الراقص الضخم الذي قد يشتمل أحياناً على وجود مطربة (طقاقة)، ودعوة جميع الصديقات والقريبات والمعارف بدون علم العروس (أو في الغالب بعلمها مع ادعاء العكس)، وتتكفل الشلة التي تقيم الحفلة بجميع التكاليف التي لا تقل عن بضعة آلاف من الريالات. أرادت الفتيات شيئاً جديداً هذه المرة، صرعة من اختراعهن لتقلدهن الأخريات في ما بعد.

وصلت قمرة محمرة الوجه والجسم بعد الحمام المغربي وفتلة الوجه والحلاوة. كان الاجتماع في منزل ميشيل التي ارتدت بنطالاً فضفاضاً فيه الكثير من الجيوب مع سترة ضخمة لتخفي معالم الأنوثة منها، وطاقية «بندانة» خبأت تحتها شعرها، ونظارة شمسية ملونة لتبدو كمراهق أفلت من رقابة والديه. وارتدت لميس ثوباً أبيض رجالياً مع شماغ وعقال. فبدت لطولها وجسمها الرياضي شاباً وسيماً ناعماً بعض الشيء. أما بقية الفتيات فارتدين العباءات المخصرة والمطرزة مع لثمات تغطي ما بين الأنف والنحر، وتُبرز جمال أعينهن المكحلة وعدساتهن الملونة ونظاراتهن الغريبة.

تولت ميشيل التي تحمل رخصة قيادة دولية قيادة جيب الإكس فايف ذي النوافذ المعتمة كلياً، والذي تدبرت استئجاره من أحد معارض تأجير السيارات باسم السائق الحبشي. اتخذت لميس مكانها إلى جانب ميشيل بينما تراصت بقية الفتيات وهن خمس في المقاعد الخلفية، وارتفع صوت المسجل مصحوباً بغناء الفتيات ورقصهن.

كان محل القهوة الشهير في شارع التحلية أول محطة توقفن عندها، ومن الزجاج المظلل أدرك الشبان بفراستهم أن في الإكس فايف صيداً ثميناً، فأحاطوا بالسيارة من كل جانب! بدأ الموكب يسير نحو المجمع التجاري الكبير في شارع العليا الذي كان محطتهن الثانية. دونت الفتيات ما تيسر لهن من أرقام الهواتف التي جاد بها الشبان، إما بترداد المميز منها، أو باللوحات المعدة مسبقاً لتعليقها خلف نوافذ السيارة بحيث تراها الفتيات في السيارات المجاورة بوضوح، أو بالبطاقات الشخصية التي يمد الجريئون من الفتيان أيديهم بها عبر النوافذ لتلتقطها الجريئات من الفتيات أيضاً.

عند مدخل السوق، نزلت الفتيات تتبعهن مجموعة لا يستهان بها من الشبان، الذين وقفوا حائرين أمام رجل الأمن «السيكيورتي» الذي لا يسمح بدخول العزاب إلى السوق بعد صلاة العشاء. انصرف المستضعفون ولم يبق سوى شاب واحد، تجرأ وتقدم نحو ميشيل التي بدا واضحاً له ولغيره من المطاردين منذ البداية ـ لجمال وجهها ونعومة تقاطيعه التي عجزت عن إخفائها ـ أنها ولميس فتاتان جريئتان تبحثان عن المغامرة، وطلب منها أن تسمح له بالدخول معهن كفرد من العائلة مقابل ألف ريال. ذهلت ميشيل لجرأته إلا أنها وافقت سريعاً، وسارت وبقية صديقاتها إلى جانبه كأنه فرد من المجموعة.

داخل السوق، تفرقت الفتيات إلى مجموعتين: مجموعة البنات تترأسهن سديم، ومجموعة الشبان المكونة من لميس وميشيل وإلى جانبهما ذلك الشاب الوسيم.

كان يدعى فيصل. ضحكت لميس وقالت له إنه ما من شاب اليوم

يدعى عبيد أو دحيم! الكل اسمه فيصل أو سعود أو سلمان! ضحك الشاب الوسيم معهما ودعاهما إلى العشاء في مطعم فاخر خارج السوق إلا أن ميشيل رفضت الدعوة.

أعطاها ورقتين من فئة الخمسمئة بعد أن خط رقم هاتفه الجوال على إحداهما. واسمه الكامل على الأخرى: فيصل البطران.

كانت أعين النساء في السوق تتابع قمرة وسديم وبقية البنات بصورة مزعجة. كانت الواحدة منهن تتفحصهن من وراء نقابها بجرأة وتحدّ كأنها تقول لهن «عرفتكن وما عرفتوني». هذه هي الحال لدينا في الأسواق، يحملق الرجال في النساء لأسبابهم الخاصة، وتحملق النساء في بعضهن لإشباع غريزة «اللقافة»! لا يمكن لفتاة أن تسير في أسواقنا بأمان الله من دون أن يتفحص الجميع (وخاصة بنات جنسها) العباءة التي ترتديها، والطرحة التي تغطي بها شعرها، وطريقة سيرها، والأكياس التي تحملها، وفي أي اتجاه تلتفت، وعند أي بضاعة تقف! هل هي الغيرة؟ صدقت مقولة ساشا غيتري: «النساء لا يتجملن للرجال، بل نكاية في النساء»!

بعد السوق وكمية مناسبة من المغازلات البريئة وغير البريئة، اتجهت الفتيات نحو أحد المطاعم الراقية لتناول العشاء، ومن ثم توجهن إلى محل صغير لبيع الشيشة والجراك والمعسل واشترين شِيَشاً بعددهن واختارت كل منهن مذاق المعسل الذي تفضله.

بقية السهرة تمت في بيت لميس، داخل خيمة صغيرة في ساحة المنزل يقضي فيها أبوها وأصدقاؤه أماسيهم مرتين أو ثلاثاً في الأسبوع. يدخنون الشيشة ويتناقشون في مختلف الأمور، بدءاً من السياسة وانتهاءً

بزوجاتهم، أو العكس. كانت العائلة قد سافرت منذ بداية العطلة الصيفية إلى جدة وبقيت لميس وأختها تماضر لحضور زفاف قمرة.

وُزِّعَت الشِّيَش الجديدة في الخيمة لأن شِيَش الأب تنتقل معه حيثما يسافر. أعدت الخادمة الفحم وأخذت الأغاني تصدح وبدأ الجميع بالرقص والتعسيل ولعب الورق، حتى قمرة جربت المعسل هذه المرة بعد أن أقنعتها سديم بأن «الواحدة ما تتزوج كل يوم»، وأعجبها معسل العنب أكثر من غيره.

أحكمت لميس شد ربطتها المدندشة حول ردفيها، وأبدعت في الرقص الشرقي كعادتها، وخاصة على عزف حديث لأغنية أم كلثوم «ألف ليلة وليلة». لم تكن تشاركها الرقص أي من البنات الموجودات، وذلك لأسباب وجيهة؛ أولها أنه يستحيل على أي من الفتيات مجاراة لميس في رقصها المتقن، وثانيها أن الجميع يحببن مشاهدة لوحاتها الراقصة، حتى أن البعض أطلقن أسماء على كل حركة من حركاتها، فهناك حركة فرامة الملوخية وحركة عصارة البرتقال وحركة ورايا ورايا. تؤدي لميس هذه الحركات باستمرار نزولاً عند طلبات الجماهير، أما ثالث الأسباب فهو أن لميس ترفض الاستمرار في الرقص ما لم تلاقِ التشجيع والتصفير والتصفيق والهتافات التي تليق بمقامها أثناء أداء «النمرة بتاعتها».

تشاركت لميس مع ميشيل تلك الليلةَ في شرب زجاجة الشامبين الغالية التي أخذتها الأخيرة من خزانة والدها للمشروبات الخاصة بالمناسبات الهامة. زفاف قمرة كان جديراً بزجاجة من الدون بيرنيو. كانت ميشيل تعرف الكثير عن البراندي والفودكا والواين وغيرها من

أنواع الكحول. علمها والدها كيف تقدّم له النبيذ الأحمر مع اللحوم والأبيض مع الأطباق الأخرى، لكنها لم تكن تشاركه الشرب إلا في المناسبات. أما لميس فلم تتذوق أياً من تلك المشروبات قبل ذلك إلا مرة واحدة في منزل ميشيل إلا أنها لم تستسغ الطعم، ولكنهما اليوم تحتفلان بزفاف قمرة ولا بد من أن تشارك ميشيل الشرب حتى تجعلا من تلك الليلة ليلة مميزة في كل شيء!

عندما علت أغنية عبد المجيد عبد الله «يا بنات الرياض... يا بنات الرياض... يا جوهرات العمايم... ارحموا ذا القتيل... اللي على الباب نايم»، لم تتبق في الخيمة أي من البنات إلا وقد قامت ترقص.

(٣)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 27/2/2004
Subject: من هي نوير؟

المرأة التي تعطي الغير حياتها، امرأة لم تجد رجلاً تمنحه هذه الحياة.
توفيق الحكيم

لمن تركوا كل شيء ليسألوا عن ماركة أحمري الصارخ: الماركة جديدة وتدعى «دع اللقافة جانباً وتمتع بالقراءة».

* * *

بعد حفل زفاف قمرة بأسبوعين، تلقت خالة سديم الكبرى ـ الخالة بدرية ـ عدداً من الاتصالات من أمهاتٍ خاطبات يسألن عن ابنة الأخت الجميلة. استقصت الخالة عن المتقدمين بطرائقها الخاصة واستبعدت من هو غير مناسب منهم حسب رأيها، وقررت أن تخبر أبا سديم عن أهم الخاطبين فقط، وإن لم يتم النصيب فالباقون منتظرون، ولكن لا داعي لإخبار أبي سديم وسديم عن الكل مرة واحدة حتى لا «يكبر راسهما» عليها وعلى ابنها وبناتها.

وليد الشاري؛ بكالوريوس هندسة اتصالات، موظف في الدرجة السابعة، والده عبد الله الشاري من كبار تجار العقار في المملكة، خاله عبد الإله الشاري عقيد متقاعد. وخالته منيرة مديرة إحدى كبريات مدارس البنات الأهلية بالرياض.

هذا ما ذكرته سديم لأم نوير وميشيل ولميس عند اجتماعها بهن في منزل جارتها أم نوير. أم نوير سيدة كويتية تعمل مفتشة لمادة الرياضيات في الرئاسة العامة لتعليم البنات، وتعيش في المنزل الملاصق لمنزل أبي سديم. انفصلت أم نوير عن زوجها السعودي الذي تزوج من أخرى بعد خمس عشرة سنة من زواجهما.

ليس لأم نوير من الأبناء سوى ولد واحد اسمه نوري، إلا أن لنوري هذا حكاية غريبة، فمنذ أن بلغ الحادية عشرة أو الثانية عشرة وهو مفتون بثياب الفتيات وأحذية الفتيات ومساحيق التجميل والشعر الطويل. ذُعرت والدته كثيراً مع تطور الأمر وانسياقه نحو الظهور بمظهر الولد الناعم، حاولت ردعه وتوجيهه بشتى الوسائل. استخدمت معه اللّين وانهالت عليه بالضرب مرات عديدة، إلا أن أباه كان أكثر صرامة معه.

لم يكن نوري يُظهر نعومته أمام والده الذي يهابه كثيراً، إلا أن الأب سمع من الجيران كلاماً عن ابنه اشتاط له غضباً فدخل على ابنه في حجرته وانهال عليه بالضرب بيديه ورجليه حتى أصيب الولد بكسور في القفص الصدري والأنف وإحدى الذراعين. ترك الأب المنزل بعد هذه الحادثة ليعيش مع زوجته الثانية بشكل دائم مبتعداً عن هذا المنزل وهذا الولد «الخ. . .».

بعد هذه الحادثة، أوكلت أم نوري أمرها لله، وقررت أن هذا ابتلاء من ربها لا بد من الصبر عليه. تحاشت هي ونوري إثارة الموضوع من جديد، وهكذا ظل نوري على حاله، وصار الجميع ينعتون أمه بأم نوير، حتى بعد انتقالها للسكن في المنزل المجاور لمنزل سديم قبل أربع سنوات من تاريخ تقدم وليد لخطبة سديم، بعد أن رفض نوري اقتراحها بالانتقال للعيش في الكويت.

في بداية الأمر، كان تأثر أم نوير شديداً بسبب نظرة المجتمع السطحية لمأساتها، لكنها مع مرور الوقت اعتادت الوضع وتقبلت ظروفها الصعبة بصبر ورضا، حتى أنها أصبحت تدعو نفسها أمام الناس بأم نوير عمداً وهي تحاول إثبات قوتها واستهتارها بنظرة المجتمع الظالمة لها.

كانت أم نوري، أو نوير، آنذاك في التاسعة والثلاثين، وكانت سديم كثيراً ما تذهب لزيارتها أو تجتمع بصديقاتها في منزلها. فأم نوير عبارة عن منبع دائم للنكات والتعليقات اللاذعة، وهي من أطيب النساء اللواتي عرفتهن سديم في حياتها. علاوة على ذلك، فإن وفاة والدة سديم وهي ما زالت في الثالثة من العمر، ولكونها الابنة الوحيدة، كل ذلك جعلها تتقرب من أم نوير وتعتبرها أكثر من مجرد جارة وصديقة أكبر منها بسنوات. كانت سديم تعتبر أم نوير بمثابة أم لها.

لطالما كانت أم نوير كاتمة أسرارهن، تشاركهن التفكير وتجود عليهن بالحلول إذا ما تعرضت إحداهن لمشكلة، وكانت تتسلى كثيراً بوجودهن، وصار منزلها المكان الأنسب دوماً لممارسة الحرية التي يعجزن عن ممارستها في منزل أي منهن.

وقد كان بيت أم نوير المكان الآمن للعشاق، فمثلاً عندما أرادت ميشيل أن تلتقي بحبيبها فيصل، التقت به في بيت أم نوير، ثم عرضت عليه الخروج لتناول القهوة أو الآيس كريم في أي مكان. كانت تلك هي المرة الأولى التي تلتقي فيها ميشيل فيصل بعد أن قام بـ«ترقيمها» في السوق. لم ترد ميشيل أن تخبره بخطتها مسبقاً حتى لا يتمكن من الاستعداد للموعد وحتى تتمكن من رؤيته على طبيعته. عندما خرجت لتركب معه في سيارته صُدمت بأنه أكثر وسامة بكثير بالبنطال الجينز والتي شيرت واللحية غير المهذبة مما بدا عليه في السوق وهو يرتدي الثوب الأنيق والشماغ الفالنتينو. لاحظت أن لباسه هذا يبرز عضلات صدره وساعديه بشكل جذاب جداً.

اشترى فيصل كوبين من القهوة المثلجة له ولها وجال بها في سيارته الفخمة في شوارع الرياض. أخذها إلى مكتبه في شركة أبيه وراح يشرح لها بعض ما يُكلَّف به من أعمال، ثم ذهب بها إلى جامعته التي يتلقى فيها دروسه في الأدب الإنكليزي ودار بها في مواقف السيارات لبضع دقائق قبل أن يقوم شرطي بمنعه من التجول بسيارته فوق أرض الجامعة في مثل هذه الساعة من الليل. بعد ساعتين أو أكثر بقليل أعاد فيصل ميشيل إلى منزل أم نوير بعد أن أدار لها رأسها أكثر مما توقعت بكثير.

(٤)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 5/3/2004
Subject: ماذا فعل التنبل بقمرة في تلك الليلة؟

ثقافتنا

فقاقيع من الصابون والوحلِ

فما زالت بداخلنا

رواسبُ من أبي جهلِ

وما زلنا نعيش بمنطقِ المفتاحِ والقفلِ

نلف نساءنا بالقطن

ندفنهن في الرملِ

ونملكهن كالسجاد

كالأبقارِ في الحقلْ

ونرجع آخرَ الليلِ

نمارس حقنا الزوجي كالثيران والخيلِ

نمارسه خلال دقائق خمس

بلا شوقٍ، ولا ذوقٍ ولا ميل

نمارسه كآلات

تؤدي الفعلَ للفعلِ

ونرقد بعدها موتى

ونتركهن وسط النارِ

وسط الطين والوحلِ

قتيلاتٍ بلا قتلِ

بنصف الدرب نتركهن

يا لفظاظة الخيلِ!

نزار قباني

أكاد أسمع سباب الرجال من القراء ولعنهم إياي بعد هذه القصيدة.

أرجو أن تفهموها كما أريدكم أنْ تفهموها، وكما أظن نزاراً قد أراد لكم أنْ تفهموها.

* * *

بعد انقضاء شهر العسل، توجهت قمرة مع عريسها إلى شيكاغو، التي اختارها ليبدأ فيها تحضيره للدكتوراه في التجارة الإلكترونية، بعد أن حصل على درجة البكالوريوس في لوس أنجلس، والماجستير في إنديانا بوليس.

تبدأ قمرة حياتها الجديدة بكثير من الخوف والتوجس. كانت تموت رعباً كلما ركبت المصعد لتصل إلى الشقة التي يسكنانها في الطابق

الأربعين من البريزيدينشال تاورز. تشعر بالضغط يمزق رأسها ويسد أذنيها كلما ارتفع المصعد طابقاً من طوابق ناطحة السحاب الشاهقة، وكانت تصاب بدوار في كل مرة تحاول أن تطل فيها من إحدى نوافذ شقتها. كل شيء يبدو ضئيلاً في الأسفل البعيد جداً. كانت تنظر إلى شوارع المدينة فتبدو لها كشوارع ألعاب الليغو التي كانت تلعب فيها أيام طفولتها، بسياراتها الصغيرة التي لا يتجاوز حجمها حجم علبة الكبريت، بل إن صفوف السيارات من ذلك العلو تبدو كصفوف النمل في صغرها وتراصها.

كانت تخاف من المتسولين السكارى الذين يملؤون الشوارع، ويهزون علبهم المعدنية في وجهها طلباً للنقود، وتخشى قصص السرقة والقتل التي تسمع عنها في تلك الولاية الخطرة، وتخاف من حارس العمارة الأسود الضخم الذي يتجاهلها كلما حاولت لفت انتباهه بإنكليزيتها الركيكة لحاجتها إلى سيارة أجرة.

كان راشد منشغلاً منذ وصوله بالجامعة والبحث. كان يخرج من الشقة في السابعة صباحاً ليعود في الثامنة أو التاسعة وأحياناً في العاشرة مساءً، وفي عطل نهاية الأسبوع كان يحاول إشغال نفسه عنها بأي شيء، كالجلوس لساعات على الإنترنت أو مشاهدة التلفاز. كان كثيراً ما ينام على الأريكة أثناء متابعته لمباراة بيسبول مملة أو لأخبار «السي أن أن». وأما إذا ذهب للنوم في سريرهما، فإنه يذهب بسرواله الداخلي الأبيض الطويل وفنيلته القطنية اللذين لا يرتدي سواهما أثناء تواجده معها في الشقة، ليلقي بنفسه على السرير كعجوز خائر القوى لا كعريس جديد.

كانت قمرة تحلم بالكثير، كثير من الملاطفة وكثير من الحب وكثير

من الحنان والعواطف كالتي تدغدغ قلبها عند قراءة الروايات العاطفية أو مشاهدة الأفلام الرومانسية، وها هي تجد نفسها أمام زوج لا يشعر بانجذاب نحوها، بل إنه لم يلمسها منذ تلك الليلة المشؤومة في روما.

بعد أن تناولا العشاء في مطعم الفندق الراقي، قررت قمرة بحزم أن تلك الليلة ستكون ليلة دخلتها التي طال انتظارها. ما دام زوجها خجولاً فلا بأس من أن تساعده وتمهد له الطريق كما نصحتها أمها. صعدا إلى غرفتهما وبدأت تلاطفه على استحياء، بعد دقائق من المداعبة البريئة صار هو المتحكم بزمام الأمور، استبسلمت هي رغم ارتباكها وتوترها الشديدين وأغمضت عينيها بانتظار ما تتوقع حدوثه، وإذا به يفاجئها بفعل لم يخطر لها على بال! كانت ردة فعلها المفاجئة له ولها في حينها أن صفعته بقوة! التقت العيون في لحظة رهيبة! كانت عيناها مليئتين بالخوف والذهول، وكانت عيناه مليئتين بغضب لم تر مثله من قبل. ابتعد عنها بسرعة وارتدى ثيابه على عجل وغادر الغرفة وسط دموعها واعتذاراتها، ولم تره إلا في مساء اليوم التالي عندما قدم على مضض لاصطحابها إلى المطار ليستقلا الطائرة المتوجهة إلى واشنطن، ثم أخرى باتجاه شيكاغو.

(٥)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 12/3/2004
Subject: وليد وسديم: قصة من الأدب السعودي المعاصر

يعتقد الرجل أنه بلغ غايته إذا استسلمت المرأة له، بينما تعتقد المرأة أنها لا تبلغ غايتها إلا إذا شعرت بأن الرجل قد قدّر ما قدمته له.

أنوريه دي بلزاك

كتبوا لي قائلين: لستِ مخولة للحديث بلسان فتيات نجد. إنك مجرد حاقدة تحاول تشويه صورة المرأة في المجتمع السعودي.

ما زلنا في البداية يا أحباب. إذا بدأتم الحرب عليَّ في الإيميل الخامس، فماذا ستقولون عني بعد قراءة الإيميلات القادمة؟! «جايكم خير»!!

* * *

دخلت سديم مع أبيها على وليد الشاري في غرفة الضيوف، وقدماها بالكاد تحملانها من شدة ارتباكها. لم تصافحه اقتداءً بقمرة التي أخبرتها عند خطبتها أن أمها نبهتها ألا تمد يدها لراشد إذا ما دخلت عليه

في وقت الشوفة (الرؤية الشرعية). وقف لها وليد احتراماً واتخذ مقعده بعد جلوسها هي وأبيها، الذي راح يسأله عن أمور متنوعة لم تستطع التركيز فيها. بعد مرور بضع دقائق خرج والدها من الغرفة مفسحاً المجال لهما للحديث والتعارف بحرية.

لاحظت سديم إعجاب وليد بجمالها من خلال نظراته لها عند دخولها عليه: رغم أنها لم ترفع رأسها طويلاً لكنها لمحته وهو يتفحص قوامها حتى كادت تتعثر في مشيتها. شيئاً فشيئاً استطاعت سديم أن تسيطر على ارتباكها وتتغلب على خجلها بمساعدته. سألها عن دراستها وتخصصها في الجامعة وعن خططها المستقبلية وهواياتها وصولاً إلى منطقة السؤال المحرمة: المطبخ!

سألها: وانتِ ما تبغين تقولين لي شيء؟ تسأليني عن شيء؟

أجابت بعد تفكير: أبغى أقول لك إني ألبس نظارات.

ضحك من اعترافها وضحكت معه. بعد قليل قال لها وهو يحاول استفزازها:

- على فكرة سديم، ترى وظيفتي فيها سفرات كثيرة للخارج.

ردت عليه سديم بسرعة وهي ترفع أحد حاجبيها بغنج:

- ما هي مشكلة. أنا أحب السفر!

أُعجب بفطنتها وردودها الشقية، وطأطأت هي رأسها وقد احمر وجهها بشدة. أحست بأنها بحاجة إلى فرملة لسانها بعد ذلك، وإلا فإن العريس سوف يهرب من طول لسانها! أنقذها دخول والدها بعد دقائق قليلة فاستأذنت منصرفة بسرعة بعد أن منحته ابتسامة عريضة ومنحها ابتسامة أعرض، فخرجت من الصالة وفي قلبها عصافير تزقزق.

بدا لها وليد وسيماً، مع أنه ليس من النوع المفضل لديها من الرجال، فهي تحب اللون المائل للسمرة وهو أبيض مُشرَّب بحمرة. شاربه الخفيف مع السكسوكة وتلك النظارة ذات الإطار الفضي الصغير، كانت تضيف إلى وجهه الكثير من الجاذبية.

طلب وليد من أبيها بعد انصرافها أن يسمح له بمهاتفتها للتعرف إليها أكثر قبل إعلان المِلكة، فوافق الأب وأعطاه رقم هاتفها الجوال. اتصل بها وليد في وقت متأخر من تلك الليلة. ردت عليه بعد تردد. عبر لها عن مدى إعجابه بها. كان يتحدث قليلاً ثم يصمت كأنه ينتظر منها تعليقاً على ما يقول. قالت له إنها سعدت بالتعرف إليه ولم تزد، فأخبرها أنه قد فُتِن بها وأنه لن يطيق الانتظار حتى عيد الفطرِ ليعقدا قرانهما.

توالت اتصالات وليد بها بعد ذلك. كان يهاتفها عشرات المرات كل يوم، أُولاها عند استيقاظه من النوم في الصباح وقبل توجهه لعمله، وآخرها مكالمة مطولة قبل النوم تمتد حتى بزوغ الشمس أحياناً. كان يوقظها من نومها ليسمعها أغنية أهداها إياها عبر الإذاعة، وكان يطلب منها كل يوم أن تختار له نظارة أو ساعة أو عطراً من محال مختلفة ليقوم بشرائها في ما بعد حتى يكون كل ما يرتديه على ذوقها.

أصبح حب وليد لسديم مثار حسد بقية الفتيات، خاصة قمرة التي كانت تتحسر على نفسها عندما تصف لها سديم في مكالماتها مدى تعلقها بوليد وتعلق وليد بها، فتبدأ قمرة باختلاق الأكاذيب عن حياتها السعيدة مع راشد، وما يفعله وما يجلبه لها حتى لا تشعر بالنقص أمام صديقتها.

تم عُقد القران. بكت خالة سديم كثيراً وهي تتذكر أختها أم سديم،

رحمها الله، التي ماتت وهي في عز شبابها ولم تفرح بابنتها الجميلة، وبكت ولدها البكر طارق الذي كانت تتمنى أن تكون سديم من نصيبه. أُجبرت سديم على أن تبصم في الدفتر الضخم، بعدما جوبه بالإهمال احتجاجها على عدم السماح لها بالتوقيع. قالت لها خالتها: «يا بنيتي ابصمي وبس. الشيخ يقول تبصم ما توقع. الرجال بس هم اللي يوقعون».

بعد عقد القران أقام والدها مأدبة عشاء دعا إليها أقاربه وأقارب العريس، وفي مساء اليوم التالي جاء وليد ليرى عروسه التي لم يقابلها منذ الرؤية الشرعية. قدم لها في تلك الزيارة الهدية المتعارف عليها في فترة المِلكة: هاتف جوال من أحدث الموديلات في السوق.

في الأسابيع التالية كثرت زيارات وليد لسديم، معظمها كان يتم بعلم والدها وقليل منها دون علمه. كان عادة ما يأتي لزيارتها بعد صلاة العشاء ولا ينصرف قبل الساعة الثانية صباحاً، أما في عطلة نهاية الأسبوع فقد كانت الزيارة تمتد حتى ساعات الصباح الأولى.

كان يدعوها مرة كل أسبوعين إلى العشاء في مطعم فخم، أما في بقية الأماسي فقد كان يجلب معه طعاماً أو حلويات تحبها. كانا يقضيان الوقت في الحديث والضحك أو في مشاهدة فيلم استعاره من أصدقائه أو استعارته هي من صديقاتها، ثم بدأت الأمور تتطور، حتى ذاقت طعم القبلة الأولى.

كان معتاداً على تقبيل وجنتيها كلما قدم لزيارتها أو أراد توديعها، إلا أن وداعه لها تلك الليلة كان أشد سخونة من ذي قبل. ربما كان

للفيلم الذي شاهداه معاً دور في خلق الجو المناسب حتى يطبع على شفتيها العذراوين قبلة طويلة.

بدأت سديم استعداداتها للزفاف. كانت تطوف المحلات مع أم نوير أو ميشيل أو لميس، وكان وليد يرافقها في بعض الأحيان، خاصة إن كانت تنوي شراء ثياب للنوم.

تحدد موعد الزفاف بعد انتهاء امتحانات آخر السنة، وذلك بناء على رغبة سديم التي خشيت أن تتزوج في عطلة الحج فلا تتمكن من الاستعداد بشكل جيد للامتحانات النهائية، وهي الحريصة دوماً على التفوق في دراستها. أثار قرارها استياء وليد الذي كان متلهفاً إلى الزواج بأسرع وقت، فقررت أن تراضيه.

ارتدت في تلك الليلة قميص النوم الأسود الشفاف الذي اشتراه لها ورفضت أن ترتديه أمامه يومها، ودعته للسهر في بيتها من دون علم والدها الذي كان يقضي الليلة مخيماً في البر مع أصدقائه.

الورد الأحمر الذي نثرته على الأريكة، والشموع المنتشرة هنا وهناك، والموسيقى الخافتة التي تنبعث من جهاز التسجيل المخفي، كلها أمور لم تثر انتباه وليد كما أثاره القميص الأسود الذي يكشف من جسمها أكثر مما يخفي. وبما أن سديم كانت قد نذرت نفسها تلك الليلة لاسترضاء حبيبها وليد فقد سمحت له بالتمادي معها حتى تزيل ما في قلبه من ضيق تجاه تأجيلها لزفافهما. لم تحاول صده كما اعتادت أن تفعل من قبل إذا ما حاول تجاوز الخطوط الحمراء التي كانت قد حددتها لنفسها وله في بداية أيامهما بعد عقد القران. كانت قد وضعت في ذهنها أنها لن تنال رضاه الكامل حتى تعرض عليه المزيد من

«أنوثتها»، ولا مانع من ذلك في سبيل إرضاء وليد الحبيب. من أجل عين تكرم مدينة.

انصرف وليد بعد أذان الفجر كعادته، إلا أنه بدا مشتتاً وحائراً على غير العادة. اعتقدت أنه يشعر بالتوتر مثلها بعد ما حصل. انتظرت سديم اتصاله المعتاد بعد وصوله إلى منزله، خاصة أنها بحاجة ماسة لرقته وحديثه بعد ليلة كهذه، لكنه لم يتصل. لم تسمح سديم لنفسها بالاتصال به وانتظرت حتى الغد ولكنه لم يتصل أيضاً.، قررت على مضض أن تمهله بضعة أيام حتى يهدأ ثم تتصل هي لتستفسر عما به.

مرت ثلاثة أيام وسديم «ما جاها خبر». تخلت عن ثباتها واتصلت به لتجد هاتفه النقال مقفلاً. ثابرت على الاتصال به على مدار الأسبوع وفي أوقات مختلفة علها تنجح في الوصول إليه ولكن هاتفه النقال ظل مقفلاً، وخط غرفته الثابت كان مشغولاً باستمرار! ما الذي يجري؟ هل أصابه مكروه؟ هل ما زال غاضباً منها إلى هذا الحد حتى بعد كل محاولاتها لاسترضائه؟ ماذا عن كل ما منحته إياه في تلك الليلة؟

هل أخطأت بأن سلمته نفسها قبل الزواج؟ ويلاه! هل جُنّ وليد؟؟ أيعقل أن يكون هذا ما دفعه للتهرب منها منذ ذلك اليوم؟ ولكن لماذا؟ أليس زوجها شرعاً منذ عقد القران؟ أم أن الزواج هو القاعة الضخمة والمدعوات والمطربة والعشاء؟؟ ما هو الزواج؟ وهل ما فعلته يستحق أن يعاقبها عليه؟ ألم يكن هو البادئ بالفعل؟ ألم يكن هو الطرف الأقوى؟ لِمَ أجبرها على ارتكاب الخطأ ثم تخلى عنها بعده؟ من منهما المخطئ؟ وهل ما حدث خطأ في الأصل؟؟ هل كان يمتحنها؟ وإذا كانت قد فشلت في الامتحان، فهل يعني ذلك أنها لا تستحقه؟ لا بد من

أنه ظن أنها فتاة سهلة! ولكن ما هذا الغباء؟! أليست زوجته وحلاله؟ ألم تبصم ذلك اليوم في الدفتر الضخم إلى جانب توقيعه؟ ألم يكن هناك قبول وإيجاب وشهود وإشهار؟ أم أن كل ذلك لا يعني أنها أصبحت زوجه شرعاً من دون حفل الزفاف؟

لم يخبرها أحد عن ذلك من قبل. هل سيحاسبها وليد على ما تجهل؟ لو أن والدتها كانت على قيد الحياة لتحذرها وتوجهها كما كانت تفعل خالتها أم قمرة مع ابنتها لما حدث ما حدث. ثم إنها سمعت قصصاً كثيرة عن فتيات قمن بمثل ما قامت به مع وليد وأكثر في فترة الملكة وقبل الزفاف! حتى أنها سمعت عن كثيرات ينجبن أطفالاً مكتملي النمو بعد العرس بسبعة أشهر فلا يكترث سوى قلة ممن يلاحظون مثل هذه الأمور... فأين الخطأ؟

من يرسم لها الخط الدقيق الفاصل بين ما يصح فعله وما لا يصح؟ وهل الخط الفاصل في الدين هو الخط نفسه المرسوم في عقل الشاب النجدي؟ كان وليد يلومها كلما حاولت صده بقوله إنها زوجته على سُنة الله ورسوله، وكانت خالتها وأم نوير يحذرانها من مجاراته لأنها ما تزال خطيبته فقط! فمن تصدق؟ من يشرح لها سيكولوجية الشاب السعودي حتى تتمكن من الفهم! هل اعتقد وليد أنها فتاة «مجربة»!!؟؟ هل كان يفضل أن تصده؟؟ هي لم تفعل أكثر من التجاوب معه بالطريقة التي تراها على شاشة التلفاز أو تسمعها من صديقاتها المتزوجات أو المجربات، وقام هو بالبقية! فما ذنبها إن هي قبلت بمجاراته وعرفت كيف تتصرف معه في موقف كهذا؟ لم تكن المسألة بحاجة إلى كيمياء وفيزياء! فما هذا الغباء الزفتي الذي يسفلت عقل وليد؟؟؟

اتصلت بأمه فأخبروها أنها نائمة. تركت اسمها للخادمة وطلبت منها أن تخبر سيدتها أنها اتصلت بها، وانتظرت اتصالاً من أم وليد فلم تحصل عليه... هل تخبر أهلها؟ هل تخبر والدها عما تم في تلك الليلة السوداء؟ كيف ستخبره؟ وماذا تخبره؟ وإن سكتت، فهل ستسكت حتى موعد العرس؟ وماذا سيقول الناس يومها؟ العريس طفش؟! لا! لا يمكن أن يكون وليد على هذا القدر من اللؤم! لا بد من أنه في غيبوبة في أحد المستشفيات. أن يرقد في المستشفى أهون عليها ألف مرة من أن يتهرب منها بهذا الشكل!

ظلت سديم في حيرة من أمرها، تنتظر زيارة من وليد أو اتصالاً. تحلم بأن يأتيها راكعاً طالباً الصفح. لكنه لا يأتي ولا يتصل! سألها أبوها فلم تجب، وإنما أتته الإجابة من وليد: ورقة طلاق! حاول الأب أن يفهم من ابنته سر هذه المفاجأة التعيسة فانهارت باكية بين يديه ولم تفصح له عن شيء. ذهب غاضباً لوالد وليد الذي نفى علمه بأي شيء وأخبره بأنه متفاجئ مثله بما حدث! كل ما قاله وليد لأبيه أنه اكتشف عدم راحته لعروسه ففضل فسخ العقد الآن قبل أن يتم العرس ويدخل بها.

كتمت سديم سرها عن الجميع، وظلت تلعق جراحها بصمت حتى جاءت الصدمة الثانية: رسوبها في أكثر من نصف المواد في عامها الجامعي الأول.

(٦)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 19/3/2004
Subject: أنا لميس والأجر على الله!

على الدفاترِ خلّفتُ الصِبا نتفاً   وفي الفصولِ تركتُ القلبَ أجزاءَ
على الطباشيرِ شيءٌ من دمي... عجباً   تبدو الطباشيرُ رغم الجرحِ بيضاءَ
غازي القصيبي

أعترف بأن قدرات الناس على الربط والتحليل ما انفكت تفاجئني! رسائل كثيرة وصلتني تسألني عن هويتي الحقيقية، وهل أكون إحدى الفتيات الأربع اللواتي أكتب عنهن في هذه الإيميلات؟ ولمَ لا؟ ما رأيكم في أن أضع لكم رقماً لإرسال توقعاتكم حتى تظهر على إحدى محطات الأغاني؟ خلونا نترزق الله! نضع مذيعة لبنانية مهضومة تستقبل توقعاتكم على طريقة:

«بونسوار لإلكون، مين بتتوأعوا تكون الشخسيي المجهولي؟ أمَرَة يَما سديم يَما ميشيل يَما لميس؟ احزوروا وبتربحوا تزكرتين مع إكامي ببيروت تتجوا تحضرونا بحفلة البرايم! ويمكن يكون الحز من نسيبكون

وتفوزوا بساعة بؤرب الحبيب، يا للي هوي شخصيتنا المجهولي! احزور وما تتأخر! اتصل أو ابعتلنا «إس إم إس» ع هالأرآم المكتوبي ع الشيشي».

حتى الآن تنحصر أغلب التوقعات ما بين قمرة وسديم، واحد فقط يرجح كوني ميشيل، لكنه يستدرك قائلاً إن إنكليزية ميشيل أفضل من إنكليزيتي. . . هو أنا تكلمت إنكليزي أصلاً!؟ صحيح تجيك التهايم وانت نايم! يو قت أكيوزد وايل يور أسليب! حتى لا تقولوا إنني لا أعرف إنكليزي. . . ما أضحكني فعلاً هو إيميل من هيثم من المدينة المنورة ينتقدني فيه لتعصبي لبنات الرياض «البدو» وإهمالي لشخصية تميس، أعني لميس، حبيبة القلب مازولا. هل يعرفها الأخ من ورائي؟ ولا يهمك يا أخ هيثم. إيميلي اليوم سوف يكون عن لميس، ولميس فقط. . . بس لا تزعل علينا يا أبو هيثم يا عسل: «أبو هيثم عسل بدون ميم قبل العين، والحدق يفهم!». وش نسوي يا أبو الهيائم؟ بدو! ما علينا شرهة! على رأي إحدى دكتوراتي الحجازيات في الجامعة: بَدَوِيّة زِفتة!

* * *

على الرغم من التشابه الظاهري بين لميس وتوأمها تماضر، إلا أن هناك اختلافات شاسعة بين الأختين في الطباع والأفكار، ومع أنهما اشتركتا في الفصل في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة، وحتى في دراستهما الجامعية حيث التحقت كلتاهما بكلية الطب البشري، إلا أن تماضر كانت وحدها مثار إعجاب الأساتذة والأستاذات، لجديتها الشديدة وشخصيتها المنضبطة، بينما كانت لميس «الدافورة أو الشاطرة

الكول» المفضلة بين الأختين لدى زميلاتهما، لظرفها وقربها من الجميع، مع محافظتها على مستواها الدراسي المرتفع. كانت لميس أكثر جرأة وشجاعة من تماضر التي تؤثر السير إلى جانب الحائط، وتصف أختها دائماً بالمتهورة واللعوب.

كان والدهما الدكتور عاصم حجازي عميداً سابقاً لكلية الصيدلة، ووالدتهما الدكتورة فاتن خليل وكيلة سابقة في الكلية نفسها، كانا العاملين الأساسيين في نجاح الفتاتين وتفوقهما الدراسي الملحوظ. منذ ولادتهما والأبوان يحرصان كل الحرص على توزيع الأدوار في ما بينهما حتى يوليا كلاً من الطفلتين ما تحتاجان إليه من اهتمام ورعاية. ومع دخولهما الحضانة، فالروضة، فالمدرسة، كان اهتمام الأبوين يزداد، وحرصهما على تميز ابنتيهما يتكثف.

لم ينجب الزوجان سوى هذا التوأم، الذي لم ينجباه إلا بعد عناء وعلاج طويلين داما على مدى أربعة عشر عاماً، رزقا بعده برحمة من الله هاتين الطفلتين الجميلتين. لم يحاولا الإنجاب بعد ذلك، حيث إن سن الأم أصبحت متأخرة، ومحاولات الإنجاب بعد ذلك قد تؤثر سلباً على صحتها وصحة الجنين.

من أطرف الحوادث التي مرت بلميس أيام دراستها الثانوية، عندما كانت في الصف الأول الثانوي، كان أن اتفقت هي وميشيل وزميلتان لهما في الفصل على تبادل بعض أفلام الفيديو. في اليوم المقرر جلبت كل منهن أربعة أفلام. اتفقن على توزيع الأفلام الستة عشر في ما بينهن في آخر الدوام، إلا أن الحظ التعيس أو («القرادة»، الرجاء الرجوع إلى الإيميل الأول للشرح)، كان لهن بالمرصاد. سمعت الفتيات عن نية

الإدارة بتفتيش الفصول وحقائب الطالبات بحثاً عن الممنوعات وعلى رأسها أشرطة الفيديو والكاسيت.

لم تدر لميس هل وشت إحدى الفتيات بهن، أم أنه مجرد سوء الحظ الذي يلازمها. ارتبكت الفتيات الأربع وأُسقط في أيديهن حينما تسرب خبر التفتيش، والمصيبة أن المخالفة لم تكن عبارة عن شريط أو اثنين. إنها ستة عشر شريط فيديو! مع أربع من أوائل الطالبات! يا للفضيحة التي لم تكن على البال! على رأي ماري منيب: «ده اللي حصل واللي جرى لا ينكتب ولا ينقرا»!

جمعت لميس الأشرطة من الفتيات، ووضعتها في كيس وَرَقي كبير، وطلبت منهن أن يتصرفن على طبيعتهن «وهنا تتضح قدرات لميس الإرهابية». أخبرتهن بأن كل شيء سوف يكون على ما يرام وأنها ستتولى الموضوع.

ذهبت بالكيس خلال الفسحة إلى دورة المياه، وراحت تبحث عن مخبأ مناسب. لم يكن المكان مناسباً، فالكيس كبير وهي تخشى أن تجده أي من العاملات فتقوم بالاستيلاء عليه أو إيصاله للإدارة، وحينها لن تكون مشكلتها مع الفضيحة المدرسية بل مع زميلاتها اللواتي لن ترضى أي منهن أن تفرط بأشرطتها! حاولت إخفاء الكيس في خزانة الفصل إلا أنها شعرت بأن المكان مكشوف ومتوقع. كان الأمر أشبه بلعبة «غميمة» في وقت ومكان غير مناسبين.

جاءتها الفكرة العبقرية! طرقت باب غرفة المعلمات وطلبت رؤية معلمتها المفضلة أبلة هناء، معلمة الكيمياء. جاءت أبلة هناء مرحبة بهذه الزيارة المفاجئة، وبجرأة شرحت لميس موقفها الصعب، فراحت أبلة هناء تولول:

«وشو بدك يانا نساوي يا لميس؟!»؛

«ولي عا قامتي!! مستحيل! ما بقدر خبيهون عندي!»؛

«لو عرفت الإدارة، والله ليفنشوني!»؛

«معقولة يا بنتي سطعش فيلم مرة واحدة! يا عيب الشوم عليكي».

أخذت المعلمة الكيس الضخم تحت ضغط لميس بعد تردد طويل، ووعدتها بأن تفعل ما بوسعها لإنقاذ سمعتها.

انقضّت بعض المسؤولات في الإدارة على فصل لميس في الحصة الخامسة وقمن بتفتيش حقائب الطالبات وأدراج الطاولات والخزانة عن أية ممنوعات. خبأت بعض الطالبات ما يحملنه من أشرطة كاسيت «واحد أو اثنين» أو قنينة عطر أو ألبوم صور صغير أو جهاز بيجر في جيوب المريول المدرسي، ووقفن وظهورهن ملتصقة بجدران الفصل. كانت أعين صديقات لميس تدور مع المفتشات بهلع وهن بانتظار أن يعثرن على أفلامهن في حقيبة لميس!

أثناء الحصة الأخيرة، جاءت إحدى الساعيات إلى فصل لميس مخبرة إياها بأن مديرة القسم الثانوي بالمدرسة قد طلبت رؤيتها. أطرقت لميس مفكرة: «هادي آخرتها يا أبلة هناء؟ تفتني عليا؟ أيش هادا الخوف؟ هادا وانتي أبلة طلعت خوافة أكتر مني! صحيح الأبلات ما لهم أمان».

دخلت لميس مكتب المديرة بلا خوف. «ذا دامج إز دون» ولن ينفعها الخوف والارتباك، لكنها كانت تشعر بحرج شديد، فهذه ليست المرة الأولى التي تقع فيها في مشكلة من هذا النوع ليتم استدعاؤها إلى مكتب المديرة.

- وبعدين معك يا لميس؟ مو كفاية اللي سويتيه الأسبوع الماضي لما رفضتي تِعْلمينا مين البنت اللي حطت الحبر الأحمر على كرسي الأبلة في الفصل؟

تطأطئ لميس رأسها وتبتسم رغماً عنها عندما تتذكر كيف وضعت زميلتهن أوراد بضع نقاط من أنبوبة قلمها الأحمر على كرسي المعلمة بين الحصص. دخلت الأستاذة لتفاجأ بالقطرات الحمراء على جلد المقعد! وقفت مشدوهة للحظات والطالبات يغالبن ضحكاتهن ثم سألت:

- من كان عليكن الحصة اللي قبل هاي يا بنات؟

- (بصوت جماعي): أبلة نعمت يا أبلة!

خرجت الأستاذة مسرعة من الفصل لتبحث عن أبلة نعمت التي تكرهها الطالبات جميعاً، وبطون الطالبات تؤلمهن من شدة الضحك!

ردت عليها لميس يومها بغضب:

- أبلة أنا قلت لك إني ما أقدر أفتن على صاحباتي.

- هاذي اسمها سلبية يا لميس! إنتي لازم تكونين في صفنا إذا كنتي حريصة على مستواكِ وعلاماتك. ليش مانتي مثل أختك تماضر؟

بعد هذا التهديد الصريح، والسؤال المستفز المعهود «ليش مانتي مثل أختك تماضر» قدمت أم لميس الدكتورة سميحة للقاء المديرة، وحذرتها من استخدام هذا الأسلوب مع ابنتها مرة ثانية. ما دامت لميس لم تكن هي من قامت بترتيب المقلب، فليس من حقهن أن يطالبنها بإفشاء سر صديقاتها، والأفضل لهن كمعلمات أن يبحثن عن الفاعلة

الحقيقية بأنفسهن عوضاً عن محاولة تسخير لميس للتجسس لحسابهن لتخسر بذلك احترامها لنفسها ومحبة رفيقاتها الكبيرة لها. صحيح أن المعلمات يسألنها دائماً لِمَ ليست كأختها تماضر، لكن صديقاتها بالمقابل يسألنها لِمَ ليست تماضر مثلها!

كانت لميس متأكدة من أن المديرة ستكون أكثر تساهلاً معها هذه المرة، خاصة أنه لم يمض على زيارة والدتها للمدرسة سوى أيام. كانت لوالدتها مكانة خاصة في تلك المدرسة، فهي رئيسة جمعية أمهات الطالبات منذ خمس سنوات ولها الكثير من المشاركات الفعالة في نشاطات المدرسة الخيرية، علاوة على أن ابنتيها من أبرز الطالبات في تلك المدرسة، وغالباً ما يتم اختيارهما لتمثيل المدرسة في المسابقات الثقافية على مستوى المنطقة.

قالت لها المديرة:

- أنا وصلني الكيس مثل ما انتي شايفة لكن أنا وعدت أبلة هناء أني ما أعاقبك وأنا عند وعدي. كل اللي حاسويه هو أني راح آخذ الأفلام معي اليوم وارجعها لك بعدما أتفرج عليها.

- تتفرجي عليها؟ ليه؟!

- علشان أتأكد إن ما فيها أفلام كده والاّ كده (وهي تغمز).

يا له من طلب مكشوف! لمَ لا تطلب منها بصراحة أن تستعير الأفلام لمشاهدتها؟ على أية حال، لن تتمتع هذه المديرة الكريهة بأفلامها بعد هذه المشاكل التي تقحمها فيها كل يوم.

- آسفة يا أبلة. الأفلام ما هي حقتي، وصاحباتي لو عرفوا إنو الأفلام اتخذت راح يبهدلوني.

- ومن هم صديقاتك هذول؟

يا لهذه المديرة التي لا تكف عن السؤال المحرم.

- ماقدر أقول لك يا أبلة. حيعرفوا إني قلتلّك وانا وعدتهم إني أحل المشكلة لوحدي.

- مشكلتك يا لميس إنك مسوية فيها زعيمة عصابة وكل التهزيء يجي على راسك إنتي في النهاية! إما أنك تِعْلميني أسامي البنات اللي معك أو إني حاصادر الأفلام!

- (وهي تحاول اكتشاف صدق المديرة من كذبها) يعني يا أبلة، لو قلتلّك أساميهم دحينا ما حيوصل لهم خبر؟ ولا حيعرفوا إني فتنت عليهم؟ ولا حتعملي لهم حاجة أكيد؟

- أوعدك.

أخبرتها لميس بأسماء شريكاتها في الجريمة وأخذت الأفلام بعد ذلك ووزعتها بينها وبين صديقاتها الثلاث قبل انصرافهن إلى بيوتهن وهن يسألنها أين كان المخبأ وكيف استطاعت أن تتخلص من هذا الكيس الكبير! اكتفت لميس بابتسامة واثقة وقولها المعتاد: ده أنا لميس والأجر على الله.

هكذا كانت شخصية لميس، وكانت تماضر على العكس منها، هادئة ومطيعة، ورافضة لكل ما تقوم به أختها العنيدة.

رافضة؛ كانت تلك الكلمة بداية لأكبر خلافات لميس مع أختها تماضر، ومع بقية الشلة أيضاً.

(٧)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 26/3/2006
Subject: أساطير شارع خمسة

هل هذه الكلمات شغل يدي؟

إني أشك بكل ما حولي. . .

بدفاتري. . .

بأصابعي. . .

بنزيف ألواني. . .

هل هذه اللوحات من عملي؟

أم أنها لمصور ثاني؟

نزار قباني

اتهمني الكثيرون بأنني أقلد طريقة بعض الأدباء في الكتابة، ولي الشرف صراحةً أن أقلد كتاباً كالذين ذكروا، مع أنني والله أصغر من أن أقلدهم. للأمانة، أنا أكتب بهذا الأسلوب «المصرقع» حبتين، حبة فوق وحبة تحت، منذ صغري، ولدي ما يثبت أن صرقعتي قديمة و«منذ

مبطي»؛ دفاتر مادة التعبير المليئة بخنبقاتي عبر السنين. كان أكثر ما يغيظني المدرسات اللواتي لا تستهويهن تقليعاتي وكتاباتي المرجوجة. كنت أعاقب هؤلاء شرَّ عِقاب فأنقل لهن مواضيع من دفاتر قريباتي أو صديقاتي من المدارس الأخرى. لن أنسى المرة التي طلبت فيها إحدى المعلمات الرزينات مني أن أقرأ موضوعي عن الشجرة أمام زميلاتي في الفصل. وقفت بثقة في مواجهة ثلاثين طالبة لأقرأ ما نقلته من كراسة إحدى قريباتي الأكبر مني بثلاث سنوات:

«من منا لا يعرف الشجرة؟ الشجرة هي المصنع الأول للأوكسجين!».

بعد بضعة سطور إضافية تعذيبية من هذا النوع، طلبت مني المعلمة أن أعود إلى مقعدي، ورجتني أن لا أنقل مواضيع من آخرين في المرة القادمة! واعترفت لي على مضض بأنها تفضل مواضيعي المرجوجة على هذه التفاهات.

ما أسوأ أن لا يجد الإنسان تقديراً من أقرب الناس إليه. في تلك السن المبكرة، عرفتُ أحد أهم الأسباب المؤدية إلى الزواج الثاني.

* * *

كانت فاطمة زميلة للميس في كلية الطب. كان كل ما تعرفه لميس في البداية أن فاطمة من القطيف. لم تتعرف لميس من قبل إلى أي فتاة قطيفية كما لم تتعرف إلى أي فتاة من الأحساء أو الجبيل أو غيرهما من مناطق الساحل الشرقي. لم تكن تعرف من المنطقة الشرقية سوى الخُبَر والدمام. تعرفت عند دخولها للجامعة إلى زميلات لها في كلية الطب قدمن من مناطق بعيدة لم تسمع بكثير منها. منهن من جاءت من حفر

الباطن، ومنهن من قدمت من الجوف ومن عرعر ومن القريات ومن خميس مشيط، ومنهن من تسكن على أطراف مدينة الرياض أو في أحياء لم تسمع بها من قبل كالسويدي وخنشليله.

كانت كمية الطالبات القادمات من خارج الرياض كبيرة قد تصل إلى أكثر من نصف الدفعة المكونة من ستين طالبة. كانت لميس تشعر بالإعجاب كلما تقربت من هؤلاء الفتيات لما تتميز به شخصياتهن من نشاط واستقلالية وقدرة على التحمل. كن قد تخرجن من مدارس حكومية ولم تتوفر لهن ربع المساعدات التي توفرت لها ولصديقاتها الثلاث في مدارسهن الأهلية المعروفة، ومع ذلك فقد تفوقن ونلن أعلى الدرجات، ولولا ضعف غالبيتهن في اللغة الإنكليزية لما استطاع أحد تمييزهن عن صديقاتها، إلا ربما ببساطة ما يرتدينه. لم تكن إحداهن قد سمعت من قبل بالماركات الشهيرة التي لا تشتري فردات الشلة الرباعية من سواها، ولم تتخيل أخرى يوماً وهي تتذوق ما مع لميس من شيكولاته فاخرة، أنها بهذا السعر الباهظ:

- خير إن شاء الله؟ وش ذي؟ شوكلاطة والا ذهب؟

- أنا سمعت عن شي عندكم اسمه باتشي يقولون مرة كشخة!

- في شي أغلى من باتشي بعد؟ يا ويلي!

ذهلت ميشيل مرة عند سماعها إحدى الطالبات وراءهما تستغفر بحنق عندما سمعت بالصدفة وصف لميس للفستان الذي سترتديه الليلة في عرس ابنة عمتها! قالت لها سديم إن إحدى الطالبات معهن في القسم تكرر في كل حين أنها تبحث بين زميلاتها عن عروس لزوجها الذي تزوجت منه قبل سنة واحدة لتخطبها له بنفسها! والسبب أنها تريد

أن تجد وقتاً لتنظيف المنزل ودهن شعرها وتحنية كفيها والتزين له والعناية بطفلهما وما سيتبعه من أطفال، في الوقت الذي يقضيه زوجها مع زوجته الأخرى!

لم تكن ميشيل من بين صديقاتها تستسيغ هذه النوعية من الفتيات ولا تحبذ الدخول مع أي منهن في نقاش وجدل عقيمين، ولم تكن سعيدة بحماسة لميس الواضحة لتكوين علاقات معهن. كانت تشعر كأن لميس تمثل دور «شير» في فيلم مراهقتهما المفضل «كلوليس». تتعرف إلى أقل الفتيات حظاً لتبدأ معها رحلة التجميل والتثقيف والتطوير. تعطيها «كومبليت ميك أوفر» ربما لتُشعرها بتفوقها وسيطرتها عليها.

لم تكن ميشيل تفهم، وزادها حنقاً أن سديم كانت تشارك لميس حماستها وانسجامها مع هؤلاء الفتيات الجديدات. كانت هؤلاء الفتيات على بساطتهن في غاية الأدب ورقة الطباع، وكانت طينتهن تجذب الجميع لهن، علاوة على خفة الدم التي تكاد تكون معدومة في الأوساط الراقية!

هل هناك علاقة عكسية ما بين المركز المادي والاجتماعي وبين خفة الدم والشخصية المرحة؟ مثلما يؤمن البعض بوجود علاقة طردية بين البدانة وخفة الدم؟ أنا شخصياً أؤمن بذلك. «المصالة» أو «ثقالة الطينة» أو السماجة، داء متفشٍّ في الأوساط الراقية. وباعتبار أن نسبة المصالة بين الإناث تفوق بكثير نسبتها لدى الذكور، ولأن التماسيح للأسف أخف دماً من السحالي، (خصوصاً السحالي الجميلة مثلنا)، فإنني أنعى بكل أسى نفسي وصديقاتي، ولكن الحمد لله على أية حال، فكما يقول المثل الشعبي: العَوَض ولا القطيعة!

بدأت لميس تلاحظ غيرة ميشيل من كل فتاة تتقرب منها في

الجامعة. وعلى الرغم من أن لميس اجتماعية منذ معرفة ميشيل بها، لكن البيئة في الجامعة تختلف تمام الاختلاف عن بيئة مدرستهن. والطبقة الأرستقراطية أو المجتمع المخملي الذي تنحدر منه معظم زميلاتهن في المدرسة، ليس إلا جزءاً بسيطاً من الطبقات المتباينة الموجودة في الجامعة. إن مجتمعنا السعودي أشبه بكوكتيل الطبقات الذي لا تختلط فيه أي طبقة بالأخرى إلا للضرورة وعند الخفق الاستثنائي.

في الفصل الدراسي الأول من أولى سنواتهن الجامعية، كانت سديم ولميس تجتمعان يومياً على رصيف شارع خمسة أو الشانز «الشانزليزيه» كما يسمونه في جامعة البنات بعليشة. كانت الفتاتان تحلمان برؤية شانز عليشة من كثرة ما سمعتا عنه، فإذا به مجرد بضعة مقاعد خشبية قديمة موزعة أمام بوابة الخروج رقم خمسة، وإذا بجامعة عليشة مجرد مبانٍ آيلة للسقوط وشوارع مغطاة ببقايا تمر جاف سقط من نخلات متراصة على امتداد طرقها، بعد أن يئس من قدوم من يجنيه، وحتى بعد وقوعه، لم يجد من يرفعه عن الأرض.

ميشيل التي قدمت من كليتها بالملز خصيصاً للتحقق من ماهية شانز عليشة، أصيبت بخيبة أمل كبيرة، وندبت حظها الذي أجبرها على دخول الجامعة في السعودية بدلاً من أميركا. لمجرد أن عماتها اجتهدن في حشو رأس والدها المتفتح بأفكار بالية. حذرنه من مغبة السماح لها بالدراسة وحدها في الخارج، لأن الفتيات اللواتي يقمن بذلك يكثر حولهن الكلام فلا يجدن من يتزوج منهن بعد عودتهن إلى البلاد. الطامة الكبرى كانت في اقتناع أبيها المتحضر فجأة بهذه السخافات!

كان لرصيف نمرة خمسة، كما في أغنية عمرو دياب في فيلم «آيس كريم في جليم» ـ هل كان يعني عليشة ما غيرها؟ ـ، أسرار أشبه

بالأساطير، وكانت تُروَى عنه الكثير من القصص الحقيقية أحياناً والمُبالَغ بها أحياناً أخرى.

إحدى قصص رصيف خمسة المشهورة التي تناقلتها الأجيال في جامعة عليشة قصة أروى. هل توجد بين طالبات عليشة، من لم تسمع بأروى؟! كانت أروى طالبة مليحة التقاطيع، يميزها شعرها القصير جداً ومشيتها المسترجلة. كان الكل يخاف من أروى والكل يطلب ود أروى. إحدى البنات تقسم إنها رأت أروى في أحد الأيام جالسة على رصيف شارع خمسة وقد ظهر طرف السروال الرجالي الأبيض من تحت تنورتها السوداء الطويلة! وأخرى تؤكد أن صديقة لها كانت قد رأتها وهي تلف يدها حول خصر إحدى الفتيات بطريقة مشبوهة! تذكر سديم أنها ماتت رعباً عندما مرت إلى جانبها أروى وهي «تحش» فيها. لم تكن سديم قد التقت أروى قبل ذلك ولذلك فإنها لم تنتبه للمأزق الذي وضعت نفسها فيه حتى أخبرتها إحدى الزميلات التي انضمت متأخرة إلى الحديث، أن المستندة إلى ذلك الجدار القريب وعيناها معلقتان بسديم وابتسامتها المخيفة لا تغادر شفتيها، ليست سوى أروى!

- تهقونها سمعتني يا بنات؟ إذا كانت سمعت، وش بتسوي فيني!؟

سألت سديم صديقاتها والعرق يتصبب من كل مسام جلدها. حذرتها صديقاتها من أن تسير بمفردها في تلك الجامعة بعد ذلك اليوم، فمن الواضح أنها قد انضمت - عن جدارة - إلى اللائحة السوداء لأروى!

- الله يخلف عليكِ يا سدّوم! ابتعدي عن مبنى رقم «. . .»، فهو أقدم المباني وأبعدها، ويقولون إن أروى تصطاد البنات اللي يروحون هناك بلحالهم لأن المكان بعيد وخرابة، والبنت إذا صرخت ولاّ كسرت الدنيا هناك محد داري عنها!

أروى الشوشو، الله الحافظ! إلاّ صحيح، هل تخرجت أروى من عليشة؟ لم أسمع عنها منذ زمن. أصبحت أروى الآن أسطورة كغيرها من أساطير هذه الجامعة الأثرية.

بعد انتهاء النصف الدراسي الأول من سنتهما الأولى، انتقلت لميس مع تماضر للدراسة في جامعة الأقسام العلمية للبنات بالملز حيث تدرس ميشيل أيضاً في كلية الحاسب الآلي، وذلك لمدة فصل دراسي واحد تنتقلان بعده إلى كلية الطب البشري للبنات ـ في الملز أيضاً ـ لمدة سنتين، تنتقلان بعدها ـ أخيراً ـ للدراسة في مستشفى الملك خالد الجامعي. وهذه المحطة الأخيرة في دراستهما هي ما تحسدهما عليه بقية الفتيات، ففي المستشفى نفسه يدرس طلاب الطب البشري وطب الأسنان والصيدلة والعلوم الطبية، وذلك قبل افتتاح كلية العلوم الطبية في عليشة.

كان حلم الاختلاط بالشباب حلماً كبيراً بالنسبة إلى كثير من الطالبات والطلاب، ودافعاً للبعض ممن ليست لهم أي ميول طبية للالتحاق بتلك الكليات التي قد توفر لهم مساحة أكبر من الحرية، حتى وإن كان الاختلاط المنتظر مقيداً ولا يتجاوز الصدف العابرة أثناء الفراغات ما بين المحاضرات أو وقت الصلاة حيث لا يحلو للطلاب إلا أن يصلوا في المصلى القريب من الطالبات، واللمحات السريعة أثناء التجول في المستشفى أو أثناء ركوب المصاعد.

(٨)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 4/3/2004
Subject: الذي لا يعجبه العجب

عندما تصاب المرأة بحالة يأس، فإن قلبها يصبح كأكرة الباب، أيّ إنسان يديرها يميناً وشمالاً.

أنيس منصور

أولاً، أقدم لكم اعتذاري عن تأخري غير المقصود عن إرسال هذا الإيميل، فقد تعرضت لظروف صحية منعتني من الكتابة بالأمس يوم الجمعة، ولذلك يأتيكم إيميلي اليوم السبت، فسامحني يا عزيزي إياد لأني أعدت لك عصر الجمعة الكئيب بعد أن تعودت على إيميلاتي التي صارت تخفف عنك تعاسة هذا اليوم، واعذريني يا غادة و«أشكرك بالمناسبة لأنك أول فتاة تعبّرني بإيميل منذ بداية هذه السلسلة الفضائحية» لأنني لم أوفر لك مادة للتعليق أنت وزميلاتك في البنك هذا السبت. وسامحني يا رائد أبو دم خفيف لأنني لخبطت عليك جدولك الأسبوعي وشككتك باليوم والتاريخ حتى ظننت أن البارحة هو يوم

الخميس وكدت تتغيب عن العمل اليوم السبت وتأكل بهدلة بسبب إيميلي المتأخر!

وضعت أحمري الصارخ، وصحن «طرشي» كبير إلى جانبي. أنا بحاجة لطعم لاذع هذه المرة ليذكرني بطعم ما سأكتب في هذا الإيميل.

* * *

عودت قمرة نفسها على حياتها الجديدة، بعد أن اتضح لها أن ما يقوم به راشد ليس مجرد حياء من الزوجة التي اقتحمت حياته فجأة، وإنما أكثر من ذلك. لم تكن قمرة قادرة على تسمية تصرفاته باسمها الذي يرد في ذهنها، وإن ظلت الكلمات تتسرب من عقلها إلى قلبها الوجل: «زوجي اللي أحبه يكرهني. يبغى يطفشني. . .».

تعودت بعد أسابيع قليلة من وصولهما إلى شيكاغو وبعد أن زاد تذمر راشد من كسلها وعدم مغادرتها الشقة، أن تذهب للتبضع وشراء مستلزمات المنزل في نهاية كل أسبوع. لم يكن راشد على استعداد لتعليمها قيادة السيارة بنفسه، ولم يكن يثق بقدرتها على التفاهم مع معلم أو معلمة أجنبية بإنكليزيتها الركيكة، فاستعان بزوجة أحد أصدقائه العرب التي عرضت تعليمها القيادة لقاء مبلغ مادي. رسبت قمرة في الامتحان العملي ثلاث مرات متتالية، فقطع راشد عليها دروس القيادة وأمرها بأن تعتاد على استخدام سيارات الأجرة في قضاء حوائجها.

كانت ترتدي عند خروجها معطفاً طويلاً فوق ثيابها مع حجاب أسود أو رمادي. حتى لباسها هذا أصبح بعد فترة مصدر إزعاج لراشد.

- ليش ما تلبسين ملابس عادية مثل باقي الحريم؟ كأنك تتعمدين

تحرجيني قدام أصدقائي بهذه الملابس المبهذلة! وتسأليني ليش ما أطلع معك!

لم تتمكن قمرة ولا والدتها من استيعاب مصدر الإزعاج والتوتر المستمرين لدى راشد، إلا أنه على الرغم من ضيقها وحزنها الشديدين فقد كانت مستعدة لعمل المستحيل لإنجاح هذا الزواج، أو على الأقل مجرد الاستمرار فيه.

ألحّت عليه في أحد الأيام أن يصطحبها إلى السينما. بعد أن وصلا واتخذ مقعده في القاعة وهي إلى جانبه، فاجأته بنزع معطفها وحجابها، وهي تبتسم بخجل وتحاول قراءة أفكاره في تلك اللحظة. بعد أن تأملها بطرف عينه لبضع ثوان قال لها بجلافة:

ـ الحجاب أرحم. . . البسيه بس البسيه.

قبل الزواج، كانت فرحتها بالخطوبة والعريس «الكشخة» والتجهيز من لبنان بالمهر الذي لم يُدفع لأي من بنات العائلة أكثر منه، أكبر من أن تشوبها شائبة. لكن تساؤلات وشكوكاً كثيرة وجدت طريقها لنفسها مع مرور الأيام.

«وشو له تزوجني إذا ما كان يبيني؟»، سألت قمرة نفسها مراراً وتكراراً، وسألت والدتها أيضاً عما إذا كانت قد سمعت من أهل راشد أنه كان مرغماً على زواجه منها، ولكن أيعقل أن يُجبر رجل ـ طول بعرض ـ على الزواج من امرأة لا يريدها أياً كانت الأسباب؟

لم تره قبل العرس إلا يوم الرؤية الشرعية، وبما أن تقاليد عائلتها لا تسمح للمتقدم للخطبة برؤية العروس بعد ذلك إلا بعد أن يتم عقد القران، ولأنه لم يكن بين العقد والعرس سوى أسبوعين، فقد تم

الاتفاق بين والدة قمرة وأم راشد على أن لا يرى راشد عروسه في تلك الفترة حتى تتمكن من الاستعداد لحفل العرس. كل ذلك كان منطقياً في نظر قمرة، إلا أنها استغربت عدم طلب راشد من والدها أن يسمح له بمهاتفتها للتعرف إليها قبل أن يتم الزفاف، كما فعل وليد مع سديم في ما بعد.

كانت تسمع أن غالبية الشبان هذه الأيام يصرون على التعرف إلى خطيباتهن من خلال المكالمات الهاتفية قبل أن يتم عقد القران، مع أن عادات أسرتها لا تسمح بالمكالمات إلا بعد العقد. كان الزواج عندهم كالبطيخ على السكين كما يقولون، وقد كانت بطيخة أختها الكبرى نفلة «سكر زيادة» بينما كانت بطيختها وبطيخة حصة قرعة.

كل هذه الدقائق وملاحظاتها على شخصية راشد الصعبة و«كلاكيعه» النفسية بدأت تكبر وتكبر ككرة متدحرجة من الثلج تنحدر من قمة الجبل وهي آخذة في التضخم. ظلت قمرة تبحث بين تلك الدقائق عن السبب الحقيقي لنفوره منها؛ السبب الحقيقي وراء استخفافه بها؛ السبب الذي يدفعه لإجبارها على تناول حبوب منع الحمل طوال هذه الأشهر، على الرغم من تحرقها لإنجاب طفل أو طفلة منه.

بدأ الشك يتسرب إلى نفس قمرة بعد مرور بضعة أشهر على زواجهما. لم تكن معاملة راشد لها تختلف كثيراً عن معاملة أبيها لأمها، إلا أنها كانت تختلف عن معاملة محمد لأختها نفلة وحتى عن معاملة خالد لحصة في بداية زواجهما، وكانت تختلف كل الاختلاف عن معاملة جارهما الكويتي لزوجته التي تزوجها قبل زواج راشد من قمرة بستة أشهر.

أحبت قمرة زوجها برغم ما قابلها به من قسوة وغلظة، وتعلقت به على الرغم من كل شيء، فهو أول رجل تختلط به من خارج وسط محارمها، وهو أول رجل يتقدم لطلب يدها ليُشعرها بأن هناك من يحس بوجودها في هذا العالم. لم تدر قمرة هل أحبت راشد لأنه جدير بأن يُحَب، أم لأنها تشعر بأن من واجبها أن تحبه بصفته زوجها. لكن الشك الذي بدأ يغزو قلبها من ناحيته أقلق منامها وأقض مضجعها وجعل أيامها سوداء بسواد أفكارها.

أثناء تسوقها في بقالة الخيّام العربية في شارع كيدزي، كان صاحب البقالة يغني مع أم كلثوم بطرب واضح. أصغت قمرة إلى اللحن الحزين والكلمات التي لامست جرحاً غائراً بداخلها:

كأني طاف بي رَكب الليالي ... يُحَدّث عنك في الدنيا وعني

على أني أغالط فيك سَمْعي ... وتبصرُ فيك غير الشكِ عيني

وما أنا بالمصدق فيك قولاً ... ولكني شقيتُ بحسنِ ظني

تعَذَّب في لهيبِ الشك روحي ... وتشقى بالظنون وبالتمني

أجبني إذا سألتك! هل صحيحٌ ... حديث الناس خنت أم لم تخني؟

أكاد أشك في نفسي لأني ... أكاد أشك فيك وأنت مني

«معقولة راشد يحب واحدة غيري؟».

اغرورقت عينا قمرة بالدموع وهي تصل بتفكيرها إلى هذا الحد.

* * *

عندما زارت قمرة الرياض في عطلة رأس السنة لم يكن راشد معها. قضت بين أهلها ما يقارب الشهرين آملة أن يطلب منها راشد

العودة بعد أن يمل الوحدة، إلا أنه لم يسألها يوماً أن تعود، بل إن إحساسها كان يقول لها إنه يتمنى أن تبقى في الرياض ولا تعود! كم كان يقتلها مئات المرات كل يوم ببروده! حاولت المستحيل حتى تستميله لكن بلا جدوى، فقد كان راشد مثالاً لرجل الأسد بعناده الفطري وطبيعته المراوغة.

كانت لميس المستشارة الفلكية للشلة تأتي بكتب خيرية حديب وماغي فرح عن الأبراج من بيروت، وتقرأ لكل منهن مواصفات برجها ونِسَب التوافق بين ذلك البرج مع غيره من الأبراج. كانت استشارة الفتيات للميس أساسية قبل أية علاقة، فقمرة اتصلت بها لتسألها عن مدى توافق برجها ـ الجوزاء ـ مع برج راشد ـ الأسد ـ في فترة الخطوبة؛ وسديم التجأت إليها أيضاً عندما تقدم وليد ـ الحمل ـ لخطبتها. حتى ميشيل التي لم تتحمس يوماً لهذه الأمور اتصلت بلميس بعد أن اكتشفت أن فيصلاً من مواليد برج السرطان، طالبة منها المشورة حول نسب نجاح علاقتها ـ امرأة الأسد ـ به.

أهدت لميس قمرة قبل زواجها نسخة مصورة من أحد كتبها الثمينة. كانت قمرة تعيد قراءته باستمرار وتخطط على ما يناسبها منه:

«أنثى الجوزاء جذابة مغرية تدير بجمالها رؤوس الناس. كثيرة النشاط والحركة وصبرها القليل يتحكم حتى في مواقف الحب. إنها أصدق نموذج للمرأة الهوائية التي لا تستقر على شيء أو شخص. عاطفية، بل متأججة العاطفة إذا ما لقيت الرجل الملائم الذي يُرضي قلبها وعقلها وجسدها معاً. إنها إنسانة معقدة على الرغم منها. أعصابها متوترة ومخاوفها كثيرة، إلا أنها مثيرة ومسلية، ومن يعرفها يجهل معنى الضجر...».

«الرجل الأسد إنسان واقعي، ذكي مقتصد لا يحب أن يضيع وقته في اللعب غير المثمر، عصبي سريع الانفعال، أناني وعنيد ويزأر حين يغضب. إذا أحب فإنه يمتلك حبيبته ويغار عليها. متسلط في حبه لكنه مندفع في الحب كبركان يُطلق حمم الغرام. على المرأة الحبيبة أن تُغمض عينيها ولا تبالي عندما يتدخل في شؤونها وأن لا تعظم الأمور. لا يتردد في إظهار العنف إذا راوده الشك في طاعتها وإخلاصها له. . .».

كان أسوأ ما قرأته قبل زواجها هو نسبة التوافق بين المرأة الجوزاء والرجل الأسد التي لا تتجاوز الـ ١٥٪!

«يصعب الاتفاق والانسجام بين أنثى الجوزاء ورجل الأسد. يتعاونان لمدة معينة من أجل تحقيق النجاح العملي، أما العلاقة العاطفية فتبقى فاترة نافرة وميالة إلى الفشل الأكيد».

كانت تقرأ هذه السطور قبل زواجها وهي تتمتم: «كذب المنجمون ولو صدقوا»، لكنها تقرأها الآن بإيمان أكبر، وهي تتذكر مليكة، طباختهم المغربية في الرياض، التي كانت تقرأ لها الفنجان والكف أثناء فترة الخطوبة مؤكدة لها أن زواجها من راشد سوف يكون من أنجح الزيجات في العائلة، وأنها سوف تُرزق بكثير من الأطفال، حتى أنها كانت تصفهم لها وكأنها ترى ملامحهم في بقايا البن المتخثرة في قاع الفنجان أو بين طيات كفيها.

حتى الويجي بورد التي شاركت صديقاتها الثلاث اللعب بها في المرحلة المتوسطة عندما جلبتها لهن ميشيل بعد إحدى رحلاتها إلى أميركا. . . أخبرتها لوحة الويجي أنها ستتزوج من شاب يبدأ اسمه

بحرف «الراء»، وأنها ستسافر معه إلى الخارج. ستنجب له ثلاثة أبناء ذكور واثنتين من الإناث. تحركت القطعة الزجاجية الصغيرة التي تلمَّسنها بأصابعهن بخفة فوق لوحة الأحرف وسط ظلام الغرفة في تلك الليلة لتدل على أسماء أبنائها واحداً واحداً!

تحاول قمرة التخلص من أفكارها الخبيثة التي تتسرطن في دماغها. تتصل بأمها في الرياض لتسألها عن كيفية إعداد الجريش، وتمضي الوقت في سماع آخر أخبار أقاربهم في القصيم، وجيرانهم في حي الربوة، وحكايا أبناء نفلة الأشقياء، وصبر حصة على زوجها خالد. . . بانتظار أن تنضج الطبخة.

(٩)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 9/4/2004
Subject: كنز في قصيدة

كيف أحبه؟ دعني أعدد لك كيف

أحبه بكل أبعادي وأنفاسي

أحبه ملء كل يوم

أسعى إليه بحرية كما يسعى الرجال لحقوقهم

بطهارة المتعبد بعد الصلاة

بأحزاني القديمة وبإيمان الطفولة

بكل القديسين الذين رحلوا

بدموعي وابتساماتي

وإن شاء الرب

سأحبه أكثر بعد الممات.

إليزابيث باريت براونتج

وصلني الكثير من الرسائل الغاضبة خلال الأسبوع الماضي. البعض

غاضب من راشد الجلف، والبعض من قمرة الضعيفة، والبقية، وهم الأكثرية، غاضبون علي لحديثي عن الأبراج وقراءة الفنجان والويجي بورد. وأنا مع الجميع في غضبهم وضدهم. أنا كما ترون وسوف ترون فتاة طبيعية، وإن كنت مرجوجة بعض الشيء. أنا لا أحلل ما أفعل ولا أحرّمه، كل ما هنالك أنني لا أدعي الكمال الذي يدعيه البعض.

صديقاتي أمثلة بيننا يتجاهل بعضنا وجودها عمداً ويغفل البعض الآخر عنها تماماً. دائماً ما تردد هذه الجملة على مسمعي: «أنتِ لن تصلحي العالم ولن تغيري الناس...». معهم حق، لكنني لن أتخاذل عن المحاولة كالجميع، وهذا هو الفرق بيني وبين الآخرين. «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»، عسى الله أن يجعل كتابتي في ميزان أعمالي، وأكرر لمن لم يفهم! أنا لا أدعي الكمال! أنا أعترف بنقصي وجهلي، ولكن «كل ابن آدم خطّاء، وخير الخطّائين التوابون». وأنا أعمل على تصحيح أخطائي باستمرار وأقسو على نفسي في سبيل تطويري لذاتي، لكنني للأسف لا أجد في مَن حولي مَن يقوم بالشيء نفسه. ليت الذين يحاسبونني يلتفتون لتقويم أنفسهم قبل أن يثوروا لتقويمي، علّنا نتوب عن بعض معاصينا بعدما نقرأها على صفحات الإنترنت. علّنا نكتشف أورامنا المستترة ونستأصلها بعد أن أعرض لكم عينات بشعة منها تحت المجهر. إنني لا أرى عيباً في أن أُورد عيوب صديقاتي في رسائلي ليستفيد منها الآخرون ممن لم تُتَح لهم فرصة التعلم في مدرسة الحياة، المدرسة التي دخلَتْها صديقاتي من أوسع أبوابها: باب الحب! العيب الحقيقي في رأيي أن يقف كل منا ضد الآخر محاوِلاً النيل منه والتحقير من شأنه، مع أننا نعترف جميعاً بوحدة الهدف، ألا وهو الإصلاح.

في يوم الفالنتاين، أو عيد الحب، ارتدت ميشيل قميصاً أحمر وحملت حقيبة من اللون نفسه، وكذلك بالنسبة إلى شريحة كبيرة من الطالبات، فاصطبغ الحرم الجامعي باللون الأحمر، ثياباً وزهوراً ودمىً. كان العيد أيامها تقليعة جديدة استلطفها الشبان الذين صاروا يجولون بسياراتهم في الشوارع مستوقفين كل فتاة جميلة ليقدموا لها وردة حمراء ملفوفاً على ساقها «الرقم»! واستلطفتها الشابات اللواتي وجدن أخيراً من يهديهن وروداً حمراء كما في الأفلام. كان ذلك قبل أن تُمنَع جميع مظاهر الاحتفال بعيد الحب في السعودية، وتتم معاقبة أصحاب محلات الزهور الذين يقومون بتوفير الورود الحمراء لزبائنهم الفي آي بيز بطرائق ملتوية وكأنها بضاعة مهربة. يُمنَع الاحتفال بعيد الحب في بلادنا ولا يُمنَع الاحتفال بعيد الأم أو الأب مع أن الحكم الشرعي واحد. مضطهَد أنت أيها الحب في هذا البلد.

استلمت ميشيل هديتها الضخمة من سائق فيصل الذي كان بانتظارها عند بوابة الجامعة. كانت الهدية عبارة عن سلة كبيرة تناثرت فيها الورود المجففة والشموع الحمراء على شكل قلوب، وفي وسط السلة دب أسود يحمل قلباً مخملياً قرمزي اللون. إذا ضغطت على القلب تنبعث أغنية باري مانلو you know I can't smile without you بصوت مضحك بعض الشيء.

دلفت ميشيل (أو «ذلفت» باللهجة السعودية)، إلى قاعة المحاضرات منتشية. أطلت على زميلاتها اللواتي نهشت قلوبهن الغيرة وهي تقرأ لهن القصيدة التي خطها فيصل على البطاقة المرفقة بالهدية، حتى أن عدداً منهن قام بجلب الدمى والورود في الغد كدليل على حصولهن على هدايا مثلها عشية عيد الحب.

من أجلها دُبِّجت هذه القصيدة، صاحبة العينين البراقتين

هي مشرقة التعبير، كتوأمي ليدا. . .

ستشف هذه الكلمات عن اسمها الجميل الكامن وسطها لتجده بنفسها. . .

مخفي في هذه الصفحة، محجوب عن كل قارئ

بين السطور، فتشن بدقة! فهي تخبئ كنزاً مقدساً

طلسماً. . . تعويذة

علقنها بالقرب من القلب

ابحثن جيداً بين حروف القوافي

بين الكلمات والمقاطع. لا تستصغرن أي شيء

حتى المبتذل منها، وإلا ضاع عليكن نتاج جهدكن

ما من عقدة غوردية هنا في لغزي تستلزم سيفاً ضالعاً لحلها

فلو استطاعت إحداكن أن تفهم الحبكة، المرسومة على هذا الورق الذي بين أيديكن. . .

إنها كلمات كالمرآة، تعكس روح صاحبتها.

ثلاث كلمات تحمل أبلغ المعاني. . .

أحرفي ربما تخدعكن، لكنها ما زالت تحمل بين طياتها شيئاً من الحقيقة. . . لو تكففن عن المحاولة فلن تحللن الأحجية مهما فعلتن!

لم تفهم أي منهن معنى تلك الأبيات الغريبة، ولم تكشفن حل اللغز المخبأ وسط السطور، فعن أي كلمات يبحثن وكيف؟ كانت ميشيل قد اتصلت بفيصل قبل دخولها القاعة لتشكره على هديته وتسأله

عن معنى القصيدة. قال لها إنها قصيدة لإدغار آلان بو، عمل على ترجمتها منذ أسابيع ليهديها إياها في يوم الفالنتاين، وأسرّ لها أن حل اللغز سيظهر بين يديها إذا ما قرأت الكلمة المكونة من الحرف الأول من السطر الأول، والحرف الثاني من السطر الثاني، والحرف الثالث من السطر الثالث، وهكذا..

بدأت إحدى الفتيات بعدّ الأحرف في كل سطر وراحت الأخرى تدونها حرفاً بعد حرف بالقلم الرصاص على سطح الطاولة، وميشيل تراقبهن باستمتاع بعد أن عرفت الحل قبلهن: السطر الأول ميم... السطر الثاني ياء... الثالث شين... الرابع ياء... لام... عين... باء... دال... ألف... لام... راء... حاء... ميم... ألف... نون...

صرخت الفتيات بصوت واحد: ميشيل عبد الرحمن!!!

في ذلك اليوم، بكت الكثير من الطالبات أحباء قدامى و«صارت فضائح!» وتمت مصادرة العديد من الهدايا، ووقّعت الطالبات اللواتي ارتدين ثياباً أو إكسسوارات حمراء تعهدات بعدم تكرار هذا الفعل في السنة القادمة. في السنوات التي تلت كان التفتيش يتم على الملابس قبل أن تنزع الطالبة عباءتها عند البوابة، حتى يتسنى للمفتشات إعادتها مع سائقها إلى منزلها بمجرد العثور على أية دليل للجريمة الحمراء في حوزتها، حتى وإن كان الأحمر، ربطة للشعر.

المهم... لم تنته هدية فيصل لميشيل عند هذا الحد، ففي طريقها إلى المنزل، وبينما هي تقلب الدب الأسود الناعم بين يديها، وتستنشق عطر فيصل الأنيق «بولغاري» الذي عطره به، انتبهت إلى قرطين ماسيين على شكل قلبين علقهما فيصل في أذني الدبدوب الجميل حتى تعلقهما دبدوبته الجميلة في أذنيها.

(١٠)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 16/4/2004
Subject: عندما يصبح الحزن لذة

قال لها يوماً: كل ما يريده الرجل من المرأة أن تفهمه، فصاحت المرأة في وجهه قائلة: وإن كل ما تريده المرأة من الرجل هو أن يحبها!

سقراط

من بين الانتقادات الكثيرة التي صارت تصلني يومياً عبر بريدي الإلكتروني، كان انتقاد فئة كبيرة من القراء لي بسبب استشهادي بأبيات نزار قباني، وترحّمي عليه في أول إيميل. لا أعرف سبب هذه الثورة غير المبررة! أنا أصر على أنني لم أقرأ يوماً من الشعر الحديث شعراً ببساطة شعره وبلاغة بوضوح بلاغته، ولم أتأثر يوماً بهؤلاء الشعراء الحداثيين الذين يكتبون قصيدة من ثلاثين بيتاً تتحدث عن لا شيء! لا أحب القراءة عن صديد الجبين المتقرح المنبثق من وراء خصر الحزن السرمدي! ولا أنسجم إلا مع أبيات نزار الواضحة التي لم يستطع أي من هؤلاء الشعراء الجدد، مع احترامي لهم، نظم مثلها برغم بساطتها.

بعد رسوب سديم المفاجئ للجميع، وهي المعروفة بتفوقها، اقترح عليها والدها أن يسافرا معاً إلى لندن للاستجمام، إلا أنها طلبت منه أن تسافر وحدها وتقيم في شقتهما في ساوث كينزنغتون، لأنها كانت تريد أن تقضي فترة من الوقت مع نفسها. وافق على طلبها بعد تردد، وقام بتزويدها ببعض الأرقام والعناوين لأصدقاء له يقضون الصيف هناك برفقة عوائلهم، حتى تلتقي بهم إن أرادت الترفيه عن نفسها، وحثها على ملء فراغها بالالتحاق بأية دورة تعليمية في الحاسب أثناء إقامتها هناك، أو بصفوف لتدريس الاقتصاد حتى تستفيد منها بعد عودتها إلى كليتها في الرياض.

لملمت سديم جرحها مع ثيابها ـ على رأي راشد الماجد ـ وقامت بشحن الجميع من عاصمة الغبار إلى عاصمة الضباب. لم تكن لندن جديدة عليها فقد اعتادت قضاء الشهر الأخير من كل صيف فيها، لكن لندن هذه المرة كانت مختلفة. هذه المرة كانت مصحة كبيرة قررت سديم اللجوء إليها لتتجاوز العلل النفسية التي تكالبت عليها بعد تجربتها مع وليد.

قبل هبوط الطائرة في مطار هيثرو، توجهت سديم نحو حمام الطائرة وقامت بنزع عباءتها وغطاء شعرها لتكشف عن جسم متناسق يلفه الجينز والتي شيرت الضيقان، ووجه بريء التقاطيع تزينه حمرة الخدود الخفيفة «البلاشر» وقليل من الماسكارا ومسحة من ملمع «لب قلوس» للشفاه.

أمطار لندن الصيفية التي طالما سعدت سديم بالتنزه تحتها، كانت مصدر كآبة وتعاسة لها في تلك الرحلة. بدت لندن لسديم حال وصولها غائمة كمزاجها. الشقة الهادئة ووسادتها الخالية ساعدتاها على ذرف

دموع لم تكن تعلم أنها قادرة على ذرفها بتلك الغزارة وخلال تلك المدة القصيرة.

بكت سديم كثيراً، بكاءً حارقاً. بكت الظلم الذي حل بها وأنوثتها المطعونة؛ وبكت حبها الأول الذي وُئد في مهده قبل أن تهنأ به؛ وبكت وهي تصلي طويلاً لعل الله يهيّئ لها من أمرها رشداً، فلا أم تطمئنها ولا أخت تقف إلى جانبها في هذه المحنة، وما زالت لا تدري أتخبر أباها بما حدث بينها وبين وليد في آخر ليلة لهما أم تحمل السر إلى قبرها.

لم يكن بيدها سوى الاستغفار والدعاء بألا يفضح وليد الخسيس السر وراء تطليقه إياها، وألا يتحدث عنها بما يشينها بعد انفصاله عنها... «يا رب استر علي. يا رب اكفني شره! يا رب! ما لي غيرك ألجأ له. انت الأعلم بحالي...».

أدمنت سديم في تلك الفترة سماع أغاني الحزن واللوعة والفراق. استمعت خلال تلك الأسابيع القليلة إلى عدد من الأغاني الحزينة يفوق ما استمعت إليه منها طوال حياتها. كانت تشعر بنشوة عارمة كلما استمعت إلى أغانٍ مثل «رسالة حب» لطلال مداح، أو «كان يا ما كان» لميادة الحناوي، أو «نسيانك صعب أكيد» لهاني شاكر، أو «آه يا قاسي أنا فيك ابتليت» لمصطفى أحمد.

كانت هذه الأغاني تغمرها بالحزن وتلفها كمهاد دافئ. مع مرور الأيام، لم تعد تستمع إلى هذه الأغاني لترفّه عن نفسها بل أصبحت تسمعها لتظل في جو الحزن والنشوة الذي اكتشفته بعد أن عاشت تجربة فشل الحب الأول التي عاشها معظم العشاق. تجربة سادية مازوشية فريدة من نوعها. عندما يصبح الحزن لذة نسترجعها وقت الفرح. عندما نخلق من التجربة خيمة حكمة نجلس داخلها لنفلسف حياتنا الموجودة

في الخارج. نتحول إلى قلوب مرهفة تستثيرها أي ذكرى وتبكيها أي فكرة. قلوب تخشى الانكسار بعد الانكسار الأول فتبقى في خيامها حتى يأتي بدوي غريب ليصلح أوتادها، تدعوه على فنجان قهوة وتستبقيه بعدها في الخيمة حتى يؤنس وحشتها، فتنهار خيمة الحكمة عليها وعليه!

بعد أسبوعين من حظر التجول والحبس الانفرادي داخل الشقة، قررت سديم أن تتناول غداءها في أحد المطاعم التي لا يرتادها الكثير من السائحين الخليجيين، فقد كان آخر ما تريده وهي في تلك الحالة أن تلتقي بشاب سعودي «يتميلح» بمحاولة التودد إليها.

لم تبدُ بحالٍ أفضل هناك مما كانت عليه بين جدران الشقة، فقد كان جو مطعم «هَش»، على اسمه، هادئاً ورومانسياً. بدت سديم كمجدورة تخلى عنها أهلها فجلست لتناول طعامها وحيدة والعشاق من حولها يتهامسون ويتناجون على أضواء الشموع.

تتذكر سديم عشاءاتها الشاعرية مع وليد وخططهما لشهر العسل. وعدها بأن يذهب بها إلى جزيرة بالي، وطلبت منه أن يقضيا بضعة أيام في لندن قبل عودتهما من شهر العسل، فلطالما كانت تحلم بأن ترافق زوجها يوماً ما إلى الأماكن التي كانت ترتادها وحيدة لسنوات.

سوف تأخذه لزيارة متحف فيكتوريا وآلبرت ومتحف تيت ومدام تسّودز. وعلى الرغم من أن وليد لا يستهويه الفن كما يستهويها إلا أنها ستغير من هذه الطباع بعد الزواج، كما ستجبره على ترك عادة التدخين التي تغيظها. سيشربان الشوقا أبل ويتناولان السوشي في إيتسو في درايكوت آفنيو، وسيغرقان معاً في كريب البلجيم تشوكليت من المحل القريب من شقتها. سوف تصطحبه إلى سهرات إشبيلية، ولن تنسى

بالطبع أن تأخذه في رحلة بحرية في برايتون، وفي آخر أيامهما في لندن، سوف تذهب معه للتبضع من سلون ستريت الذي يضم العديد من البوتيكات الشهيرة، سوف تجعل وليد يشتري لها أحدث موديلات الثياب والجلديات من هناك كما أوصتها أم قمرة، بدلاً من أن تشتريها مسبقاً بمهرها.

كم هي مؤلمة تلك الذكريات. فستان زفافها الفخم وطرحتها المميزة اللذان جُلِبا لها خصيصاً من باريس ما زالا قابعين في خزانة ملابسها في الرياض، كانا يمدان لها لسانيهما باحتقار كلما فتحت باب الخزانة. لم تستطع التخلص منهما. كأن شيئاً ما داخلها ينتظر عودة وليد. لكنه لم يعد، وبقي ثوب زفافها والطرحة شاهدين قبيحين على دناءة حبيبها وخسته.

كانت مكتبة «دار الساقي» وجهتها في صباح الغد. قررت أن تذهب إليها سيراً على الأقدام للتمتع بالجو في ذلك اليوم الصحو. اتجهت نحو إقزبشن رود واجتازت متحف فكتوريا وآلبرت وهي تتأمل آثار قنابل الحرب العالمية الثانية على جدرانه، مذكّرة البريطانيين على الدوام بمدى كراهيتهم للألمان في حال نسوها. قطعت الهايد بارك التي تغص بألوان مختلفة من البشر والأحصنة والحمام الذي يتقافز بخفة لالتقاط ما يرمى إليه من حبوب هنا وهناك. أكملت سيرها فوق الجسر وهي تتأمل المناظر الجميلة المحيطة بها.

كان عليها أن تسير ما يقارب العشرين دقيقة حتى تقطع الهايد بارك وتصل إلى شارع بيزووتر. راحت تغني أغنية طويلة بعض الشيء لعبد الكريم عبد القادر «غريب... شايل جروحي والحكي وياي... غريب... داير وروحي هدها ممشاي». وصلت وهي تردد بشجن

«أمشي وبقلبي حزن. . . أمشي»، إلى الشارع الذي صبغته أشجاره الظليلة بلون أخضر ساحر، سارت فيه يساراً ثم اتجهت يميناً في كوينز واي وتوقفت فجأة عن الغناء خوفاً من أن تلفت إليها أنظار النشالين في ذلك الشارع المخيف نوعاً ما. عندما وصلت إلى الوايتليس اتجهت يساراً في شارع ويست بورن غروف حتى وصلت أخيراً إلى «دار الساقي» الموجودة على الجهة المقابلة من الشارع وهي تفكر: «كان لازم أقرأ دعاء السفر. . . والله مشوار».

اشترت «العدامة» و«الشميسي» لتركي الحمد بعد أن رأت رجلاً خليجياً أربعينياً يطلبهما من البائع أمامها، واشترت رواية «شقة الحرية» لغازي القصيبي التي كانت قد أعجبتها كمسلسل بثته شاشة إحدى الفضائيات منذ سنوات، وأخيراً اختارت رواية «ذاكرة الجسد» لأحلام مستغانمي بعد أن أثنى عليها البائع العراقي اللطيف ونصحها بقراءتها.

عادت إلى شقتها مستقلة الحافلة، لتجد رسالة صوتية مسجلة من أبيها على هاتف الشقة. أخبرها بأنه قد رتب لها برنامجاً للتدريب الصيفي في أحد البنوك التي يتعامل معها باستمرار وذكر لها أن التدريب يبدأ بعد أسبوع.

أعجبتها الفكرة. عمل صيفي ومزيد من الاستقلالية وتطوير الذات. بعد كتب «دار الساقي» والعمل البنكي لم يتبق من خططها للصيف سوى أن تدرس علم النفس على يد فرويد من خلال الكتب التي جلبتها معها إلى لندن لتتمكن من تحليل شخصية وليد حتى تصل إلى العوامل التي دفعته إلى تطليقها بلا ذنب.

كانت قراءة الكتب التي اشترتها ممتعة، وبخاصة روايتي «الشميسي» و«شقة الحرية» التي لاحظت اختلافاً كبيراً بينها وبين المسلسل المقتبس

منها. كان أكثر ما ضايقها أنها تجهل ما يتوجب عليها قراءته بعد ذلك. لم تكن أي من صديقاتها المقربات مُحِبة للقراءة حتى تستشيرها في هذا الأمر، ولم يعجبها كثيراً أن تقلد الآخرين في ما يشترونه، أو أن تلتزم باختيارات البائع من دون أن تكون لديها أية خلفية عن تلك الكتب التي ينصحها بشرائها. وذت لو أن لديها لائحة بالكتب الإلزامية لكل مثقف ومثقفة حتى تقرأها جميعاً وترتاح.

وجدت في كتابات القصيبي والحمد الكثير من الأحداث والتلميحات السياسية التي ذكّرتها بروايات يوسف السباعي وإحسان عبد القدوس التي أدمنت قراءتها في مرحلة المراهقة. خطرت ببالها المظاهرة التي مُنعت هي وزميلاتها من القيام بها في أحد الأيام عندما قامت جميع الدول العربية بتنظيم المظاهرات تضامناً مع الشعب الفلسطيني وانتفاضة الأقصى. وتذكرت مقاطعة المنتوجات الأميركية والبريطانية التي بدأت منذ فترة في بلدان كثيرة ولم تشارك فيها سوى قلة من صديقاتها، وحتى هؤلاء لم تستمر أي منهن فيها أكثر من أسابيع قليلة. هل كانت السياسة في ما سبق في متناول الجميع، ثم أصبحت الآن في متناول القادة والحكام فقط؟

لـمَ لا تجد أياً من معارفها ذكوراً أو إناثاً يخوضون في معترك السياسة ويؤمنون بهذه القضية أو تلك ويدعمونها بأرواحهم كما كانت عليه الحال أيام شباب غازي وتركي؟ ما الذي جعلهم هذه الأيام لا يهتمون من السياسة الخارجية سوى بفضائح كلينتون ومونيكا لوينسكي؟ ومن السياسة الداخلية سوى بفضائح شركة الاتصالات؟ ليست المشكلة قاصرة عليها، فكل زميلاتها مهمشات في الحياة السياسية، ولا دور لهن ولا أهمية. لو كانت تفهم في السياسة، لو أنها تدافع عن قضية معينة أو تعارض قضية ما، لكانت وجدت ما يشغلها عن التفكير بوليد الكـ . . . !

(١١)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 23/4/2004
Subject: تصنيف أم نوير للفصائل البشرية

لا إله إلا الله العظيم الحليم. لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم. يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك نستغيث.

دعاء لكشف الهم والكرب والحزن

قرأت كلاماً عني خلال الأسبوعين المنصرمين في أشهر المنتديات الإنترنتية؛ الإقلاع والساحات وغيرها. بعض الكلام كان بنعومة حبيبات غسولي اليومي للوجه، وبعضها بخشونة حجري الأسود الذي أعالج به مشكلة ركبي السود. شعرت وأنا أتابع النقاشات الدائرة حولي بأنني أشاهد مصارعة للثيران! هل تصدقون أن أحدهم طالب بإباحة دمي؟ وكله كوم ومن تقول إنها أختي كوم آخر! تقول إنها قد لاحظت انزواء أختها كل يوم جمعة منذ الصباح الباكر في غرفتها أمام شاشة الكمبيوتر، وعندما حاولت أثناء غيابها أن تبحث ضمن ملفات جهازها عن أدلة

تؤكد شكوكها عثرت على جميع الرسائل وعددها ثلاثون، وهي على استعداد لبيعها لمن يدفع أكثر!

رزق الهبل عَ المجانين.

❊ ❊ ❊

بعد أن قرأت له «مدخل إلى التحليل النفسي» و«مختصر التحليل النفسي» و«ثلاثة مباحث في نظرية الجنس» و«الحياة الجنسية» و«الطوطم والحرام»، اكتشفت سديم أن فرويد ولبيدواته وطواطمه وخياره وفقّوسه لن يساعدوها على حل مشكلتها ولن يشرحوا لها سبب تخلي وليد عنها.

كانت سديم قد عثرت على مؤلَّفين من المؤلفات المترجمة لفرويد في مكتبة جرير في الرياض، أما البقية فكانت قد أوصت إحدى زميلاتها في الجامعة بأن تأتيها بها من لبنان قبل سفرها إلى لندن.

لم تقنعها فلسفة سيجموند فرويد ـ في تفسير تصرفات وليد ـ كما أقنعها تصنيف أم نوير للفصائل البشرية. صنفت أم نوير لسديم ـ في ساعة صفاء ـ الرجال والنساء «في الخليج» بناءً على عوامل عدة كقوة الشخصية والثقة بالنفس والجمال، وغيرها إلى أنواع وفئات، وهذه الأنواع تنطبق عادة على الرجل والمرأة سواء، فمثلاً بالنسبة لقوة الشخصية فإن لكل منهما نوعين: النوع الأول قوي ومستقل، والنوع الآخر ضعيف وتابع للآخرين. وتندرج تحت النوع الأول فئتان: أولاهما المنطقي الذي يحترم آراء جميع من حوله برغم اختلافه معهم ما داموا يحترمون وجهة نظره هو الآخر؛ والفئة الثانية ممثلة بمن لا يمكن لأحد السيطرة عليها أو عليه، ومن لا بد من أن «يمشّي» كلامه ولا يهمه رأي أحد.

أما بالنسبة لقسم الضعفاء والتابعين «أو من يقال عنه إن كلمة تجيبه وكلمة توديه»، فنوعان: هناك النوع الذي يتم التأثير عليه من قِبَل الأهل وأفراد العائلة المقربين، وهذا النوع لا يمكنه الاستقلال عن أهله لأنه «بدون أهله ما يسوى قرش»؛ وهناك النوع الذي يتم التأثير عليه من قِبَل الأصدقاء وهو النوع الأسوأ، ذلك لأنه يعتبر أن أهله ضده ولا يثق سوى بأصدقائه الذين يكونون في كثير من الأحيان أسوأ حالاً منه. ومن ناحية العصامية فإن النوع القوي والمستقل عادة ما يعمل على تطوير نفسه بنفسه وتحسين ظروفه قدر المستطاع، متأثراً ومستفيداً من جميع الأمثلة التي يلاحظ نجاحها من حوله. أما النوع السلبي أو المنقاد فتنقصه المبادرة ولا يرتقي شأنه إلا بارتقاء عائلته أو محيطه ككل.

ولأم نوير تصنيف آخر يعتمد على مستوى الثقة بالنفس، فهناك الفئة المطمئنة أو السيكيور، وهذه لها نوعان: نوع معقول ويكون المنتمي إلى هذا النوع متصالحاً مع نفسه، وعلى قدر واضح من الثقة بالنفس تجعل كل من حوله يحترمونه ويرهبونه، لكنه يظل محبوباً لتواضعه وقربه من الآخرين من ناحية، ولأنه «يستاهل يشوف نفسه شوي» من ناحية أخرى.

النوع الثاني هو «الواثق زيادة» أو «الأوفر كونفدنت»، وهو نوع يشتمل على أشخاص «ما عندهم ما عند جدتي»، أي «ما عندهم سالفة»، يحملون ثقة مفرطة بالنفس على الرغم من افتقارهم إلى جميع مؤهلاتها، فلا إنجازات ضخمة ولا شخصيات مميزة ولا حتى شكل يفتح النفس. وهذا النوع مكروه وأكثر انتشاراً للأسف من النوع الأول، والنوعان أقل انتشاراً من الفئة الثانية، وهي فئة «الإنسيكيور» أو الفئة غير المطمئنة.

هذه بدورها لها قسمان: أولهما أولئك الذين يدعون ويتصنعون الثقة بالنفس أمام الآخرين من دون إيمان داخلي بذلك، والمنتمون إلى هذا القسم يأخذون كل كلمة تقال لهم بحساسية مفرطة ويزدون عليها بعشر ويعملون من الحبة قبة كما يقال. مستفزون، تعلو أصواتهم أثناء أي نقاش حتى يداروا خيباتهم.

القسم الثاني لا يمثل ولا يدعي، ويتضح منذ الوهلة الأولى أنهم مساكين ويقطعون القلب. يعاني أفراد هذا الصنف عادة من مشكلة ما تضعف من ثقتهم بأنفسهم أو من «السلف استيم»، وتكون هذه المشكلة إما ظاهرة كعيب في الشكل الخارجي من سمنة أو قصر أو حتى أنف كبير بعض الشيء، أو معاناة معنوية ظاهرة مثل الفقر أو حتى الغباء، أو عيباً خفياً لا يدركه سواهم، مثل جرح حبيب لم يندمل.

التصنيف الديني قبل الزواج وبعده، كان المفضل لدى سديم، وهو التصنيف الوحيد الذي مُنِع فيه الاختلاط بين الجنسين فجاء على شقين؛ شق يصف الرجل المتدين وآخر يصف المرأة المتدينة، ولكل منهما تفرعات أساسية مشتركة، هي: النوع الملتزم أو «المطوع»، والنوع المعتدل أو «النص ونص»، والنوع «الصايع أو المتفلت»! لكن الاختلافات تأتي في التفاصيل الموضحة لكل نوع.

بالنسبة للرجل، تتلخص فئة المطاوعة في نوعين: الأول «صايع وتطوع»، والثاني «خاف أن يصيع فتطوع»، وكلا النوعين يخشى أن يصيع بعد الزواج، ولذلك فإنهم عادة ما يتزوجون أكثر من زوجة واحدة ويفضلون أن تكون زوجاتهم على الدرجة نفسها من الالتزام الديني أو أكثر.

أما فئة المعتدلين فلها نوعان: نوع ملتزم دينياً لكنه يختلف عن النوع الأول في لينه مع المرأة وعدم تدخله في شؤونها، فقد يتزوج هذا النوع من امرأة متحررة نسبياً ولا يجد غضاضة في ذلك إذا كان واثقاً من حبها ومتأكداً من أخلاقها؛ أو أن يكون من النوع الثاني، العلماني كما يسمونه. الرجل من هذا النوع يؤمن بأن الإسلام بُني على خمس، ولا أكثر من ذلك في ما يتعلق بالعبادات، ولذلك فهو مواظب فقط على الصلاة المفروضة والصيام في شهر الصوم. وبعد أن يحج يتملكه الشعور بأنه قد كفّى ووفّى. هذا النوع لا يرتبط سوى بفتاة تشبهه من ناحية التحرر الديني أو تفوقه تحرراً. لا يرضى هذا النوع مثلاً بالاقتران بفتاة محجبة ويشترط في شريكة حياته أن تكون جميلة و«أوبن مايندد» و«ستايل» حتى يفاخر بها أمام الآخرين ممن لهم أفكاره نفسها.

الرجل الصايع أو المتفلت، يأتي على نوعين: إما أن يكون قد نشأ في بيئة متشددة دينياً وأخذ بال«فَلَتان» دينياً وأخلاقياً (أفضل هذا التعبير على تعبير الانحلال الذي أراه تعبيراً فظاً) تدريجياً مع كل فرصة سانحة بعيداً عن سلطة هذه البيئة. وهذا النوع قد يتصنع الانتماء إلى النوع الأول في حياته الظاهرة منعاً للإحراج الاجتماعي. رجل النوع الآخر يكون قد تربى منذ صغره في بيئة «انفلات» ديني لدرجة الإلحاد، أو أخلاقي لدرجة تغييب شتى الروادع، ومن شبّ على شيء شاب عليه.

مشكلة هذا النوع من الرجال هي الشك المَرَضي، فللأسف ونظراً لتجاربهم السابقة مع فئة البنات الصايعات ـ التي سيتم التطرق إليها لاحقاً ـ فإنهم يؤمنون بأن كل فتاة صايعة حتى تثبت براءتها، وهذا النوع بفئتيه يحرص على الزواج من فتاة ليست لها أية تجارب سابقة لأنه يقيس الأمور على ضوء تجاربه السابقة، أو يتزوج من فتاة لعوب تعرف كيف

تلعب اللعبة بدهاء و«تُلبسه السلطانية». زوجات الرجال من هذا النوع مظلومات لأنهن يعرفن جيداً طبيعة أزواجهن الشكاكة، وعليهن مراعاة ذلك والتصنع في كثير من الأحيان حتى لا تُفسَّر تصرفاتهن على غير ما يعنين بها، وهذا ما حدث مع سديم التي لم تكتشف حقيقة وليد إلا متأخرة وبعد أن ظن بها ظن السوء وأعرض عن الارتباط بها.

نأتي الآن للتصنيف المقابل لما سبق لدى النساء، فالمرأة «المطوعة» نوعان: نوع تربى بتلك الطريقة منذ الصغر ولم يتعرض لأي مؤثرات خارجية مضادة، والمرأة من هذا النوع قد تكون محظوظة بالزواج ممن هو مثلها تماماً فيعيشان حياة هادئة ومستقرة طالما ظل كل منهما راضياً بما قسمه الله له، أو أن تكون تعيسة الحظ فتتزوج من شخص متحرر، «مدردح»، فتعجز عن إرضائه لفشلها في فهم احتياجاته التي لا تتماشى مع ما تربت عليه.

النوع الثاني من المطوعات من عشن في بيئة من ذلك النوع، لكن حلم الانطلاق والتحرر كان يراودهن دوماً. هذا النوع قريب من النوع الأول، فالنساء من الصنف الأول هن المحصنات الغافلات، أي اللاتي يستعففن لغفلتهن عما يدور «آوت ذير»! أما النوع الثاني فهن يستعففن بإرادتهن او بالأحرى تحت إرادة أهاليهن ورقابتهم.

الفئة الثانية هي فئة «النص ونص»، وهذه نوعان: نوع يأتي بحسب العرض والطلب مثل صديقتها قمرة على سبيل المثال التي تغير حجابها مع تغير فصول السنة، فإذا كانت الموضة في تلك الفترة حضور الحلقات الدينية مع ارتداء الحجاب خارج حدود المملكة، فهن مع الموضة أو «مع الخيل يا شقرا»، وإذا كانت الموضة في تلك الفترة

تحرراً من الحجاب في الخارج وانتشاراً في الأسواق في الداخل بالعباءات المخصرة التي تحدد معالم الجسم، فهن مع ذلك أيضاً. ينبغي التنويه هنا إلى أن الموضة تخضع لطلبات الأزواج أو الباحثين عن زوجات، أو لطلبات الأمهات اللواتي ينقّبن عن عرائس لأبنائهن في تلك الفترة.

النوع الثاني من فئة المعتدلات تمثله المرأة المتدينة دون الحد الذي يسمح لها بالانضمام إلى فئة المطوعات، وأعلى من الحد المسموح به في فئة المتحررات. النساء من تلك النوعية تردعهن الأخلاق عن ارتكاب الأخطاء أكثر مما يفعله تدينهن. تتميز المرأة من هذا النوع بشخصية قوية وصلبة وقد يتم إدراجها خطأً ضمن الفئة الثالثة لأنها لا تلتزم بجميع قوانين الفئة الأولى.

المتحررة أو «المجرّبة»، تمثل الفئة الثالثة من النساء، وهي إما صايعة قبل الزواج أو بعده، أو الحالتان معاً. فـ«الصايعة» قبل الزواج عادة ما تُصلح من حالها بعده وقد تتحول إلى امرأة ملتزمة جداً أو معتدلة الالتزام، لكن ذلك متوقف على زوجها، فهي إن تزوجت من شخص لا يناسبها فإنها تبقى ضمن فئة الصايعات حتى بعد زواجها... أما الصايعة بعد الزواج فهي عادة ما تكون من إحدى الفئتين الأولى أو الثانية، لكنها تصيع بعد زواجها بسبب عدم تأقلمها مع متطلبات زوجها المتحرر أو بسبب خيانة زوجها لها.

تصنيفات معقدة كتبتها سديم نقلاً عن أم نوير وما زالت بعد كتابتها بأشهر تحاول استيعابها، تتضح صحتها أكثر فأكثر مع مرور كل يوم تعيشه سديم في مدرسة الحياة التي استقت منها أم نوير معلوماتها. أم نوير مرت بعدد بسيط من التجارب «البريئة» في الكويت قبل زواجها،

وتجربة واحدة «غير بريئة» في السعودية بعد طلاقها، لكن ذلك ليس موضوعنا الآن.

ذكّرتها سواليف أم نوير الخاثرة بسهراتها مع صديقاتها الثلاث في بيتها. ذكرتها بحلاوة الزلابية ونعومة الدرابيل التي كانت تقدمها لهن مع الشاي. طارت بها الذكريات إلى منزلها في الرياض، إلى الباب الحديدي وقضبانه المذهبة الأطراف الذي طالما وقفت خلفه بعد صلاة العشاء بانتظار قدوم وليد؛ الأرجوحة القريبة من حمام السباحة التي طالما سهرت عليها بين أحضانه؛ غرفة الضيوف التي رأته فيها لأول مرة؛ التلفاز الذي يتوسط الصالة التي تابعت معه فيها عدداً من الأفلام؛ والغرفة التي شهدت ميلاد الحب ووفاته. هل مات فعلاً حبها لوليد؟

قامت لتشغل المسجل. التقطت شريطاً من بين الأشرطة المتناثرة فوق أرضية الغرفة. وضعته في جهاز التسجيل قبل أن تعود إلى فراشها وتتكور فيه كجنين في بطن أمه، وتستمع بحزن إلى عبد الحليم وهو يغني:

من دمعة من حرقة ألم

من صرخة جرح من قلب انظلم

باعتب على اللي خان

واعتب عليك يا زمان

قربتني للجنة وخدتني للحب

ولما جيت أتهنى جرحتني في القلب

دمعت عيناها وهي تغمغم بكلمات الأغنية بصوت تخنقه العبرة.

جاءت الأغنية التي تليها مؤلمة في كلماتها ولحنها وغناء العندليب الرقيق، استمعت إليها بانكسار وهي تدغدغ الزغب الخفيف حول شفتيها بلحافها الناعم:

عرفته قد ما عرفته ولاعرفتوش

وشفته قد ما شفته ولا فهمتوش

كان بيقول لي باحبك أيوه كان بيقول

وانا من لهفة قلبي صدقته على طول

وماكنتش أعرف قبل النهارده إن
العيون دي تعرف تخون بالشكل ده

ولا كنت أصدق قبل النهارده إن
الحنان يقدر يكون بالشكل ده

لم تشعر سديم بانتهاء ذلك الوجه من الشريط إلا بعد إصدار المسجل لذلك الصوت المزعج الذي يدل على تغيير وجه الشريط. راحت تمسح دموعها التي أغرقت الوسادة، وتصغي إلى صوت ميادة وهي تناجي حبيبها الظالم، وليد القاسي.

قول لي يا للي كنت أغلى الناس عليّا

جبت قلب منين يطاوعك ع القسيّه

ريحني قول لي حكايتك إيه

جرحت قلب حبيبك ليه

قسيت عليا ليه ليه

غدرت بيا ليه ليه

قسيت عليا... غدرت بيا

قول لي يا للي كنت أغلى الناس عليا

جبت قلب منين! منين منين

جبت قلب منين يطاوعك ع القسيه

يا باكي ع اللي خان

إبكي النهارده كمان

وخلص الأحزان

بدال ما تبكي سنين

يا باكي ع اللي خان

ابكي النهارده كمان

بس أوعى دمعة تبان

تفرّح الخاينين

بكت سديم، وبكت، وبكت، وحيدةً في شقتها اللندنية، علها تخلص الأحزان، بدلاً من أن تبكي سنين، وتفرّح الخاينين.

(١٢)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 30/4/2004
Subject: حياة «لا بأس بها». . .

حدثنا آدم قال: حدثنا شعبة قال: حدثنا الحكم، عن إبراهيم، عن الأسود قال: سألتُ عائشة: «ما كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يصنع في بيته؟»، قالت: «كان يكون في مهنة أهله ـ تعني خدمة أهله ـ فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة».

صحيح البخاري: ٦٧٦

لم أتوقع صراحةً كل هذا التفاعل مع إيميلاتي المتواضعة!

لقد بدأ المشروع في ذهني منذ حوالى خمس سنوات، أي منذ بداية قصة صديقاتي كما أكتبها لكم الآن، لكنني لم أعمل على تحقيق الفكرة سوى مؤخراً، بعد أن لاحظت أن طاقة ذهني الاستيعابية قد استُنفد جُلّها، وجاء الوقت الذي يجب أن أعصر فيه إسفنجة عقلي وقلبي بقوة حتى أتمكن من استيعاب المزيد في حياتي لاحقاً.

* * *

لم تكن العلاقة الزوجية بين راشد وقمرة بالعلاقة السينمائية المثالية إلا أنها لم تكن تعيسة في الوقت نفسه. كان راشد منصرفاً عنها إلى دراسته وتاركاً لها مسؤولية الاعتناء بالمنزل بعد أن لاحظ عدم حماستها للالتحاق بالجامعة. ورغم صعوبة ذلك في البداية، إلا أنها تعلمت تدريجياً كيفية الاعتماد على النفس وأصبحت تمتلك من الجرأة في سؤال المارة عن العناوين أو سؤال البائعين عن الأسعار ما لم تكن تمتلكه من قبل.

كانت لقاءاتها براشد معدودة، إلا أنها كانت تحصل في المقابل على كل ما تحتاج إليه من نقود متى طلبت، ومن دون أن تطلب في أغلب الأحيان. حتى احتياجاتها «الأخرى»، كان يعطيها منها ما يكفيها بين الحين والآخر.

لم تكن قمرة قادرة على المقارنة بين ما يعطيه إياها وبين ما يمنحه الرجال الآخرون لنسائهم، لكن ما كانت تحصل عليه كان مُرضياً بالنسبة لها. وحدها احتياجاتها النفسية لم يكن يلتفت إليها، ومع ذلك فقد كانت تعتبر نفسها أوفر حظاً من كثير من قريناتها.

اكتشفت طيبة راشد بعد معاشرتها له، مع أن هذه الطيبة لم تكن تظهر بوضوح في تعامله معها، لكنها لمستها في تعامله مع الآخرين: أمه، أخواته، العامة في الشارع، الأطفال! كان راشد يتحول إلى طفل صغير أمام أي طفل يلتقيه؛ يلاعبه ويداعبه برقة وحنان لا مثيل لهما.

اقتنعت بأن راشد سيحبها مع الوقت، فهو في بداية زواجهما كان جافاً معها، لكنه مع مرور الأيام صار أكثر تقبلاً لها وأقل حدة معها، رغم أنه ظل يثور عليها أحياناً لأسباب تراها تافهة. لكن، أليس جميع

رجال نجد كذلك؟ لا تظنه مختلفاً عن أبيها وأخوتها وعمومتها وخالها وأبنائهم. كان هذا هو طبعه، وهذا ما كان يصبّرها.

كان أكثر ما يغيظها في راشد عدم استشارته لها في أي من الأمور المتعلقة بالمنزل، فحينما أراد تركيب جهاز استقبال للقنوات التلفزيونية، اختار الباقة التي تضم قنواته المفضلة، مع أنها لا تضم قناة «أتش بي» أو التي تعرض مسلسلها المفضل «سكس آند ذا سيتي»، المسلسل الذي يتحدث عن العلاقة بين الرجال والنساء، وتتابعه قمرة بشغف وإن كانت لا تفهم من حوارات أبطاله إلا القليل. أغاظها تصرفه كثيراً خاصة عندما أظهر عدم اكتراثه بثورتها. كان كمن يقول إن لا شأن لها في تحديد أساسيات هذه الشقة، كأنها شقته وحده!

ظل يثيرها في أمور من هذا القبيل كل يوم، ومع ذلك فالويل لها إن نسيت تجهيز ثيابه كل مساء، وكيّها قبل أن يستيقظ من نومه كل صباح، ولا يحق لها أن تطالبه بمساعدة في ترتيب المنزل أو إعداد الطعام أو غسل الصحون، مع أنه معتاد على معيشة العزوبية طوال سنوات دراسته في أميركا، أما هي فقد كان يحيط بها الخدم في منزلهم بالرياض، يأتمرون بما تقوله لهم ويوفرون لها ما تطلب هي وإخوتها في لحظات.

كان راشد يقضي وقتاً طويلاً في الجامعة، وعندما كانت تسأله عن سبب تأخره اليومي كان يخبرها أنه يجري بحوثاً على الإنترنت باستخدام أجهزة الكمبيوتر المتوفرة في مكتبة الجامعة.

في الأشهر الأولى كانت قمرة تمضي وقتها أمام التلفاز أو في قراءة روايات «عبير» التي جلبتها معها من الرياض، أو تعيد قراءة روايات بيار

روفايل التي عزفتها سديم إليها وهما في المرحلة المتوسطة.

كان لدى راشد في الشقة جهاز كمبيوتر لا يستخدمه، سمح لها باستخدامه إن هي أرادت ذلك، لكنه لم يكن متصلاً بشبكة الإنترنت. قضت قمرة أشهراً في التعلم على استخدام الكمبيوتر. كان راشد يساعدها أحياناً لكنها كانت تحاول الاعتماد على نفسها إلى حد كبير. كانت تلاحظ إقبال راشد وحرصه على تقديم المساعدة كلما لاحظ إصرارها على التعلم وحدها وعدم لجوئها إليه في كل صغيرة وكبيرة كما كانت تفعل في بداية زواجهما. هل يشعر الرجل بتهديد لسلطته عندما يرى بوادر تفوق المرأة؟ هل يخاف الرجال من استقلالية نسائهن؟ وهل يظنون أن استقلال المرأة وتحقيقها لذاتها هما اغتصاب غير مشروع لصفة القوامة التي أثبتها الله لهم؟

اكتشفت قمرة قاعدة مهمة في التعامل مع الرجل، هي أن الرجل يجب أن يشعر بقوة المرأة واعتمادها على نفسها، ويجب أن تفهم المرأة أن علاقتها بالرجل ينبغي ألا تقتصر على الحاجة؛ حاجتها لنقوده، ولقيامه بمسؤوليات المنزل، وحاجتها لعنايته بها وبأطفالها، وحاجتها قبل كل شيء للشعور بأهميتها في هذا الكون التي هي بحاجة ـ مع الأسف الشديد ـ لرجل حتى يُشعرها بها.

بينما كانت قمرة تتصفح بعض الملفات التي تحتوي على صور لخلفيات الجهاز وقعت عيناها على ملف يحوي عدداً كبيراً من الصور لامرأة من شرق آسيا، عرفت بعدها أنها من اليابان، واسمها كاري.

بدت كاري رغم ضآلة جسمها كغيرها من الشرق آسيويين، في سن

قريبة من سن راشد أو أكبر منه بقليل، وكانت تظهر في بعض الصور إلى جانبه وهما مستلقيان باسترخاء فوق الكنبة في الشقة نفسها التي تسكنها قمرة الآن معه.

لم تكن المسألة حينها بحاجة إلى تفسير. شكلت تلك الصور الحلقة المفقودة في سلسلة الفتور غير المبرر في علاقة راشد بها. كان راشد على علاقة بهذه الفتاة قبل زواجه بقمرة، وليس بعيداً أن يكون على علاقة بها حتى الآن!

توالت الدلائل بعد ذلك تباعاً، فعلاوة على سهراته اليومية مع كاري على الإنترنت أو الهاتف «وما أدراها؟!»، اعتاد راشد أن يقضي يومين من كل شهر خارج المنزل مع «أصدقائه» في رحلة برية. كانت ترحب بتلك الرحلات التي تفعل براشد فعل السحر فيعود لها منشكحاً وسعيداً ومبالغاً في إظهار مودته، حتى أنها كانت تشعر بالامتنان نحو «أصدقائه» وتنتظر رحلة الشهر التالي بفارغ الصبر!

كيف تمكّن من إخفاء علاقته بهذه المرأة لمدة تسعة أشهر؟ وكيف لم تتمكن قمرة من اكتشاف علاقة زوجها بامرأة أخرى؟ لقد كانت الأشهر الأولى بعد زواجها به صعبة بحق، إلا أنه تغير بعدها تدريجياً وصار زوجاً نجدياً تقليدياً أشبه بزوج أختها حصة، فكيف استطاع أن يمثل عليها طوال هذه المدة؟ هل كان يلتقي تلك المرأة باستمرار؟ وهل تسكن معهما في الولاية نفسها، أم أنه كان يسافر إليها كل شهر؟ هل يحبها؟ هل ينام معها ويجبرها على تناول حبوب منع الحمل كما يفعل بزوجته؟!

لو أن أحداً أخبرني أن قمرة المستكينة سوف تفعل ما فعلته لما صدقته قبل أن أراها بعيني، فالزوجة الصغيرة حملت السلاح وقررت أن تقاتل دفاعاً عن زواجها وتصارع من أجل بقائه. لم تخبر أحداً باكتشافها المؤلم سوى صديقتها سديم، التي أخبرتها بأمر انفصالها عن خطيبها وليد بعد عقد القران. شعرت بأن صديقتها الهاربة إلى المنفى اللندني هي الأقدر على تفهُّم مشاعرها في تلك الفترة، رغم أنها لم تعرف سبب انفصال سديم عن وليد إلا بعد ذلك بسنة. حذرتها سديم خلال مكالماتهما اليومية من أن تخبر راشداً عن اكتشافها، ونصحتها باتباع خطة الدفاع عوضاً عن الهجوم الذي لا تمتلك أسلحة كافية من أجله.

- ما قدامك إلا أنك تقابلينها وتتفاهمين معها.

- وش أقول لها؟ ابعدي عن زوجي يا خطافة الرجالة!؟

- لا يا بنتي. تجلسين معها وتحاولين تعرفين منها طبيعة علاقتها بزوجك ومن متى هالعلاقة. ما تدرين! يمكن حتى يكون مخبي عنها أنه متزوج!

- أنا باموت واعرف وش لقى فيها ذي القردة أم عيون ممغطة؟!

- أهم من أنك تعرفين وش لقى في شكلها، أنك تعرفين وش لقى في شخصيتها. ما يقولون اعرف خصمك؟!

هل أصابت قمرة عندما قررت أن تحارب من أجل الحفاظ على استقلال مملكتها؟ أم أن الزواج الناجح في الأساس هو ما لا يحتاج إلى حروب لاستمراره، وعلى ذلك فإن كل زواج يستدعي الحرب هو زواج محكوم عليه بالفشل مسبقاً؟

عثرت على رقم هاتف كاري وعنوانها في مفكرة راشد. كان لها رقم في اليابان «منه عرفت أنها يابانية» ورقم في ولاية إنديانا القريبة التي درس فيها راشد الماجستير. اتصلت قمرة بكاري على الرقم الثاني وطلبت منها لقاءها بعد أن عرّفتها بنفسها. ردت كاري بهدوء معلنة موافقتها وأخبرتها أنها مستعدة لزيارة شيكاغو لرؤيتها في أقرب فرصة!

كان ذلك بعد اكتشاف قمرة للعلاقة المحرمة بين زوجها وتلك المرأة اليابانية بحوالى شهرين، بذلت فيهما الكثير من المجهود حتى تسيطر على انفعالاتها المتضاربة وكي لا يشعر راشد بأي تغير من ناحيتها قبل موعد لقائها بعشيقته.

انقطعت قمرة خلال هذين الشهرين عن تناول أقراص منع الحمل من دون استشارة والدتها التي تعرف رأيها مسبقاً «ما لك إلا عيالك يا بنيتي. العيال يربطون الرجال». لم تكن قمرة تريد أن يكون الأطفال هم الرابط الوحيد أو بالأحرى المُجبر الوحيد لراشد للاستمرار معها، لكنه هو من اضطرها إلى ذلك، ولذا فليتحمل مغبة أفعاله! «وليتحمل أبناؤهما مغبة أفعالهما كليهما!».

الدوار والغثيان الصباحي مع الاستفراغ المزعج؛ عوارض الحمل المعروفة التي كانت قمرة تنتظرها بفارغ الصبر قبل أن تتصل بكاري. ذهبت إلى السوبر ماركت الموجود في أسفل العمارة التي يسكنانها لتحصل على ما يؤكد لها شكوكها. لم تعرف وجهتها هذه المرة فلجأت إلى إحدى البائعات هناك وهي تشير إلى بطنها بيديها بشكل كروي:

- آي... آي... بريقنانت!

- أوه!! كنقراجيوليشنز مام!

لم تحب قمرة يوماً اللغة الإنكليزية ولم تكن بارعة فيها كصديقاتها، كانت تنجح كل عام بصعوبة، وفي إحدى السنوات لم تنجح إلا في امتحان الدور الثاني بعد أن أشفقت عليها المعلمة ومنحتها من الدرجات أكثر مما تستحق.

- نو... نو! آي آي بريقنانت... هاو؟ «وهي تبسط كفها الأيمن بإشارة: كيف؟).

- (والحيرة بادية على وجه البائعة السمراء) سوري ماي دير، بت آي دونت قت وات يو مين!

- (وهي تشير إلى نفسها بسبابتها مكررة) مي... مي... هاو بريقنانت؟؟ هاو بيبي؟ هاو؟؟؟

نادت البائعة اثنتين من زميلاتها البائعات وتبرعت إحدى المتسوقات العجائز للمشاركة في حل اللغز وفك طلاسم ما تقوله قمرة. بعد عشر دقائق من الشرح والإشارات حصلت قمرة أخيراً على ما تريد: اختبار منزلي لكشف الحمل.

(١٣)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 7/5/2004
Subject: المواجهة: بين اللي تسوى واللي ما تسوى

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خادماً له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئاً.

سنن ابن ماجه: ٢٠٦٠

سمعت أن مدينة الملك عبد العزيز تسعى لحجب مواقع البريد الإلكتروني التي أبعث رسائلي الأسبوعية من خلالها، من باب سد الذرائع ودرء المفاسد. أعرف أن معظمكم يعرف ألف طريقة للوصول إلى المواقع المحجوبة، لكنني قد أموت متكهربة إن تم هذا الحَجب قبل أن أفرغ لكم ما في صدري من شحنات سالبة وموجبة تأبى التعادل بداخلي! لم أطلب سوى مساحة صغيرة على الشبكة العنكبوتية أتربع في وسطها لأسبحن عليكم، فهل كفرت؟!

على العموم، أعرف أنني لو لم أكمل لكم اليوم ما حدث مع قمرة

لتطوع أحدكم بالقضاء على جهازي بفيروس لا يمكن الخلاص منه، ولذلك فإني لن أتعب أعصابكم لمدة أسبوع آخر.

(ملاحظة صغيرة بخصوص الحوار في هذا الإيميل «لغير الناطقين بالنجدية»: التاس والسين تعادلان الكاف، وذلك في بعض المدن النجدية كالقصيم، كما تعادل الجيم الكاف في بعض الدول الخليجية كالكويت).

* * *

بعد أن قضت ساعات طوالاً تحت يدي مصففة الشعر، وبعد أن تزينت بمجوهراتها الثمينة التي لم ترتدها منذ مغادرتها الرياض، اتجهت قمرة نحو الفندق الذي نزلت فيه كاري، وهي تحذر وسواسها الثائر من أن يُقنعها بخنق تلك الساقطة حال رؤيتها لها.

كاري ـ التي أرتني قمرة في ما بعد صورة للممثلة الصينية لوسي لو لتخبرني أنها نسخة منها ـ نزلت إلى بهو الفندق لتلتقي بقمرة التي قتلها الانتظار، مدت لها يداً لم تلتقطها قمرة، التي كانت لا تزال في صراع مع وسواسها الثائر.

اتخذ اللقاء منحىً غير الذي رسمته سديم لصديقتها. كانت كاري هي التي تدير دفة الحوار، تبدأ حديثها وتنهيه بثبات وثقة من دون أن ترتبك أو تتلعثم في إنكليزيتها كغريمتها.

ـ أنا سعيدة بلقائك. لقد سمعت كلاماً كثيراً عنك من راشد. أظن أن رغبتك بملاقاتي هي تصرف حكيم من قِبَلك.

هذه المرأة الملعونة! كيف تجرؤ؟

- يسعدني طبعاً أن تريني حتى تكوّني فكرة عما يحبه زوجك. لقد عانى راشد الكثير ولا بد من أن تعملي على تحسين نفسك من الداخل والخارج حتى ترتقي إلى المستوى الذي يستهويه، حتى ترتقي إلى مستواي!

كانت القطة قد أكلت لسان قمرة التي لم تتوقع هجوماً مثل هذا! بعد أن استمعت إلى ما قالته كاري انفجرت في وجهها صارخة:

- شت أب! يو بتش! يو تيك ماي هزبند آند يو توك؟!! (الترجمة لغير الناطقين بالفنزويلية: جعلتس اللي ماني بقايلة! بعد لتس عين تحتسين بعد ما خذيتي رجلي؟!) يو مانز ثيف!! (يا خطافة الرجالة بس بالإنكليزي) قسم بالله آي ول كل يو! (أنا أوريتس يا حيوانة!! والله لاخلص عليكِ، وأظن الباقي واضح!).

تنفجر كاري ضاحكة وتشعر قمرة بذاتها تنكمش وتتضاءل أمام عدوتها. بمنتهى الصفاقة، اتصلت كاري براشد أمام عيني زوجته لتخبره أنها في شيكاغو وأنها آتية للقائه حيث يكون.

***

لم تكن قمرة بحاجة لمن يخبرها كيف سيكون شكل راشد «الأسد» عندما يأتيها بعد أن تطلعه عشيقته على تفاصيل ما جرى بينها وبين زوجته، ولذلك كانت قد أخرت لقاءها بالساقطة حتى تأكدت من حقيقة حملها. علمتها سوالف الحريم التي طالما سمعتها من أمها وقريباتها أن الحمل هو الطريقة الأضمن لاستمرار الحياة الزوجية، أقول استمرارها ولا أقول نجاحها.

دخل عليها بعد أقل من ساعة من لقائها بكاري، وليته لم يدخل.

- قومي قدامي

- وين؟!

- بتعتذرين لكاري عن اللي سويتيه فيها وعن الكلام الزبالة اللي قلتيه لها. مهوب أنا اللي تسوين معه هالحركات يا قميّر، فاهمة ولاّ لأ؟! إذا أهلتس ما عرفوا يربونتس أنا اللي باربيتس!

- أنت منت بصاحي! والله لو تموت ما رحت!! أنا أعتذر لهالفلبينية؟! وعلى أيش!! مين فينا اللي لازم يعتذر للثاني!؟ أنا ولاّ أنت وهي!!؟؟

- (ممسكاً ذراعها بعنف) شوفي يا حرمة! الجيّه بتجين والاعتذار بتعتذرين، ومن بعدها بتركبين أول طيارة وتطسين على بيت أهلتس ولا عاد أبغى أشوف خشتس هنا مرة ثانية. موب أنا اللي واحدة مثلتس تمشّي كلامها عليه!

- إيه هين!! أنا حرمة وهي الليدي اللي ما ترضى عليها كلمة!! وش معنى الشغالات اللي ترضى لهم يمشون كلامهم عليك؟!!

أتتها الصفعة مدوية على خدها الأيمن!

- هالشغالة تسواتس وتسوى أهلتس بعد، انتي فاهمة؟!! على الأقل هاذي ما جا أبوها يتلصق بأبوي لين زوج بنته لولده وهو داري ان الولد يحب له واحدة بأمريكا وعايش معها له سبع سنين! هذي الشغالة حبتني ووقفت جنبي وسكنتني في بيتها يوم ما كان بجيبي قرش، يوم ما أهلي رفضوا يزوجوني إياها وقطعوا عني المصروف ثلاث سنين! هذي اللي ما هي عاجبتس ما ركضت وراي عشان الفلوس وحلال أهلي! هذي اللي موب عاجبتس أصدق وأشرف منتس ومن أهلتس بستين ألف مرة!

توقف ذهن قمرة عن الاستيعاب بعد الصفعة المؤلمة، كان كل ما قاله راشد بعدها من إهانات مجرد امتداد للصفعة التي لا تريد أن تنتهي! من دون أن تعي ما تقول وأن الوقت غير مناسب أبداً لتصريح مثل هذا (هل يجوز استخدام الأطفال كدروع بشرية وقت الحروب الزوجية؟)، قالت وسط دموعها وهي تتحسس موضع الصفعة بانكسار بإحدى يديها وبطنها باليد الأخرى:

- أنا حامل.

يخفت صوت قمرة تدريجياً مع تصاعد الموقف، ويرتفع صوت راشد الذي تحول إلى كتلة من غضب وصارت عيناه جمرتين حمراوين مشتعلتين:

- وشو؟! حامل! إنتي حامل!! كيف وشلون؟!! من سمح لتِس تحملين؟؟ إنتي ما تاخذين حبوب؟ إحنا ما اتفقنا على انه ما في حمل إلى أن أخلص الدكتوراه ونرجع للسعودية؟؟ إنتي محسبة انتس تلوين ذراعي بهالحركات الوسخة؟!!

- أنا اللي حركاتي وسخة! أنا اللي أبغى أعلّق واحدة ما لها ذنب معي سنين وأخليها تشتغل عندي خدامة إلى أن آخذ شهادتي وأرميها بعدها مثل الكلبة؟؟ أنا اللي أتزوج بنت الناس وأثرثر من وراها مع اللي تسوى واللي ما تسوى؟!!!

تأتيها الصفعة الثانية فتسقط على الأرض وهي تولول بحرقة. غادر راشد الشقة إلى أحضان «اللي ما تسوى» تاركاً قمرة تسب وتلعن وتلطم خديها وتبصق عليه باستحقار وهي في حالة من الهستيريا أقرب إلى الجنون!

(١٤)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 14/5/2004
Subject: عن ميشيل وفيصل أحدثكم

الحب مشاعر قلبية لا سيطرة للإنسان عليها، والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. ولولا أن الحب من أغلى الأشياء، لما ذهب كثير من زمن الأنبياء فيه، وقد جاء تأكيد النبي، صلى الله عليه وسلم، لهذا المفهوم بأن نار الحب إذا اشتعلت لا يطفئها إلا النكاح وذلك بقوله: «لم ير للمتحابين مثل النكاح» (ابن ماجة: ١٨٤٧)، فالحب الذي يبقى مقيداً بلجام العفاف والتقوى لا حرج فيه، وسبيله الوحيد النكاح، فإن لم يحصل كان الصبر مع مرارته هو الحل الوحيد.

إننا نفرق بين الحب كممارسة وسلوك وبين الحب كمشاعر. فالحلال منه إذا كان مجرد مشاعر، أما إذا تحول الحب إلى سلوك كلمسة وقبلة وضمة ففي هذه الحالة يكون حكمه حراماً وينتج عنه سلبيات كثيرة لأنه من الصعب على المحب ضبط حبه. ولكن ما هو الحب الذي نريده؟ نريد الحب الذي يغير القلوب والنفوس. نريد الحب الذي يدفع بأصحابه للقيام بأعمال يسطرها لهم التاريخ كأحلى قصة بين متحابين.

- موقع جاسم المطوع الإلكتروني

أصبحت تستهويني قراءة تعليقاتكم على القصة. فبعد إيميلي الأخير وصلني ما يقارب مئة رسالة! قرأتها جميعاً لأتأكد من أننا شعب اتفق على ألا يتفق، فمن متعاطف مع قمرة إلى محتقر لها، ومن مؤيد لراشد إلى ناقم عليه. أؤكد لكم أنني استمتعت بقراءة كل رأي من آرائكم المتباينة حتى التي أختلف معها. سعيدة أنا بمتابعتكم رسائلي، وسعيدة أكثر باختلافاتكم لأنها تشير إلى بداية تكوين بعضكم لفكر مستقل عن رأي الأغلبية؛ رأي يقتنعون به ويؤمنون بمبادئه ويتمسكون به (أو هذا ما أتمناه)! وهذه أروع الفوائد التي جنيتها معكم من إيميلاتي.

* * *

وجدت ميشيل في فيصل كل ما كانت تبحث عنه في الرجل، فقد كان يختلف عن بقية الشبان الذين تعرفت إليهم منذ استقرارها في السعودية، وأكبر دليل على ذلك استمرار العلاقة بينهما لما يقارب العام، مع أن أطول علاقاتها السابقة لم تدم أكثر من ثلاثة أشهر.

كان فيصل شاباً متحضراً، يعرف تماماً كيف يتعامل مع المرأة ولا يستغل الفرص كما يفعل الآخرون. كان لديه العديد من الصديقات كما كان لدى ميشيل العديد من الأصدقاء، لكنهما أصبحا «كوبل» بعد فترة قصيرة من تعارفهما وحرصا على إعلان ذلك أمام جميع أصدقائهما.

رقته الآسرة وسلوكه الرفيع جعلاها تعيد النظر في حساباتها وتغير الانطباع السيئ الذي كونته عن الشباب في بلدها بعد عدد من التجارب القصيرة. لم يخطر ببالها قبل تعرفها إلى فيصل أن بإمكان الشاب السعودي أن يكون رومانسياً كغيره من شباب العالم المتحضر. كان فيصل يتبعها بسيارته كل صباح وهي في طريقها إلى الجامعة مع سائقها

الخاص. كانت رؤيته في الساعة السابعة صباحاً يجوب شوارع الرياض معها وهو يغالب النعاس بصعوبة ـ خاصة في الأيام التي لا تبدأ محاضراته فيها قبل الظهر ـ تدغدغ قلبها بحنان لا يسعها إلا الاعتراف به والتلذذ بطعمه.

لم تستطع يوماً أن تشرح لأحد أصدقائها أو حتى صديقاتها المقربات ما تشعر به من ضياع. فرغم أن صديقاتها كن يدركن مدى كراهيتها للمجتمع السعودي وتقاليده الصارمة واستهزائها بما يفرضه على الفتاة من قيود، إلا أن ما بداخلها من صراع حضاري كان بحاجة لعقل واعٍ وفكرٍ مستنير وشخص متفتح الذهن حتى يستوعب ما يدور في ذهنها من تداخلات.

وجدت ميشيل لذتها بعد ذلك مع فيصل، الذي أدرك تماماً ما تعانيه، فصارت تبثه همومها في كل حين. بعد أن عثرت أخيراً على الفتى الذي يفهمها بعد سنوات من التخبط، كيف لها أن تصوم من جديد عن لذة البوح؟ فتحت ميشيل صندوقها الأسود القابع في أعماقها وقامت بعرض محتوياته بحرص على فيصل، الذي ساعدها على نفض الغبار عن كل قطعة منها، ثم أعاد طيها قبل أن يُوْدعها الصندوق من جديد، بعد أن تأكد كلاهما من أن مفتاح الصندوق الوحيد أصبح في جيبه هو.

في منزل أم نوير اجتمعت به. تؤمن أم نوير بالحب ولم تحاول يوماً تصويره للشابات الأربع على أنه نجاسة يجب الترفع عنها، إلا أنها كانت تعلم أن الحب الصادق لا يجد له متنفساً في هذا البلد، وأن أية علاقة مهما كانت عفيفة لا بد من أن تُقابَل بالرفض والكبت اللذين قد يدفعان أبطالها للوقوع في الكثير من الأخطاء، لذا فعندما أخبرتها ميشيل عن

عزمها على دعوة فيصل إلى منزلها (في غياب أبويها) بعد أن ملت لقاءه في المقاهي والمطاعم التي يندسان خلف ستائرها كل مرة كهاربين من العدالة، وطلبت منها الإذن بأن تخبر أبويها أنها ستمضي السهرة في منزلها، عندها فتحت أم نوير باب منزلها في وجه الحبيبين الحائرين حماية لحبهما من نفسيهما، وحماية لعلاقتهما البريئة من التحول إلى ما هو أكبر من ذلك قبل أن يتم الارتباط الرسمي بينهما ليحفظ لكل منهما حقوقه، في زمن لا يعترف إلا بالأوراق الرسمية.

أمسك فيصل بكلب ميشيل المدلل «باودر» يداعبه، وهو كلب أبيض صغير من فصيلة البودل، وراح يستمع إلى ميشيل وهي تسرد له إحدى قصصها، كعادتها باللغة الإنكليزية، التي تمنحها حرية أكبر في البوح والانطلاق:

- «عندما كان عمري خمس سنوات، وكنا آنذاك لا نزال في أميركا، اكتشف الأطباء إصابة ماما بسرطان عنق الرحم. خضعت ماما للعلاج الكيميائي ثم أجريت لها عملية استئصال للرحم، وهكذا فقدت قدرتها على الحمل والإنجاب.

بمجرد عودتنا إلى الرياض بعد انتهاء العلاج الإشعاعي، وقبل أن تستعيد أمي شعرها المتساقط، بدلاً من مواساتنا اقترحت عمتي أمام أمي وأمامي تزويج أبي من أخرى تستطيع أن تنجب ابناً يحمل اسمه، وكأنني أحمل اسم رجل غريب! ما علينا، لو أنني سأقف عند كل خطأ يُرتكب في هذا المجتمع المتناقض لما انتهيت من الحديث قط! دادي أصر على رأيه ورفض أن يتزوج من امرأة أخرى، فهو يحب مامي كثيراً ومتعلق بها. أحبها منذ أن رآها لأول مرة في أميركا في ليلة رأس السنة التي كان

يقضيها عند أحد الأصدقاء. تعرف إليها في تلك الليلة وتزوجها بعدها بشهرين. عائلة أبي لم ترض يوماً عن هذه الزيجة وظلت جدتي تتأفف عند زيارة أمي لها حتى اليوم.

عاد أبي معنا إلى أميركا بعد أقل من شهر من رحيلنا عنها؛ أبي الذي كان يحلم بالعودة إلى وطنه حتى أشبّ على أرضه كفتاة سعودية، عجز عن تعليم أقاربه احترام خصوصياته، فآثر الهجرة من جديد. . .

تدخل عليهما أم نوير لتفقد الأوضاع. كم هي طيبة أم نوير، فهي على الرغم من تحررها إلا أنها تخاف على البنات الأربع كبناتها وتعمد على مراقبتهن بطرقها اللطيفة المكشوفة. تجلس معهما لدقائق، تسأل فيصل عن صحة الوالدة التي لم ترها والإخوة الذين لا تعرف أياً منهم، تلتفت إلى ميشيل وتسألها عن الشريط الكئيب الذي يستمعان إليه.

- بنك فلويد، آنتي.

- (مبديةً امتعاضها): ويه! قميصه وا عَليّا عليه! اش حقه جذي؟ الحين هذا بدال ما تحطين له: آه يا الأسمر يا زين، الشوق أمرني أطيعك وانسى خلاني! تحطين له هاللي يتحلطم!؟

تغمز أم نوير باتجاه فيصل الذي يضحك بحبور حتى تبدو غمازتاه الجذابتان. تصرخ ميشيل:

- آنتي ؟بليز لا تكبّرين راسه علي! ما صدّقنا نلقى واحد حلو وما هو شايف نفسه!

ويضحكون جميعاً.

تعود لتكمل قصتها بعد انصراف أم نوير وهما يتناولان ما وضعته

أمامهما من مكسرات وبَنَك ونِقل تأتي بها من الكويت.

- «عدنا بعد ذلك بثلاث سنوات إلى الرياض ومعنا مشعل. هل تصدق أنني أنا التي اخترت ميشو من بين مئات الأطفال حتى يكون أخاً لي؟ لقد شعرت حينها بأنني أصنع القدر! أعجبني شعره الأسود القريب من لون شعري ووجهه البريء. أحسسته قريباً مني. كان في شهْره السابع عندما تبنيناه، كان سو كيوت! حالما رأيته أخبرت أمي وأبي أن هذا الطفل هو أخي الذي يبحثان عنه.

عندما عدنا إلى الرياض، اجتمع أبي بأبويه وإخوته وأخواته، وقال لهم بوضوح إن مشعل الصغير سوف يكون ابنه الذي لم يشأ الله أن يهبه إياه عن طريق دايان - والدتي - وأن عليهم جميعاً احترام قراره، وأن يعدوه بألا يكشفوا هذا السر أمام مشعل في يوم من الأيام. كان أفراد العائلة المقربون الوحيدين الذين علموا بمرض أمي لأن أحداً لم يرها هنا طوال فترتَي مرضها وعلاجها، ولم يسمح أبي بانتشار الخبر.

خيّر أبي أهله ما بين رضوخهم لقراراته مقابل بقائه معهم، وما بين عودته للعيش في أميركا إن لم يوافقوا. بعد أسبوع من المداولات العائلية، وافقت الأسرة على انضمام مشعل الصغير إليها. أبي كان متأكداً من موافقتهم، لا لحبهم له وإنما لأن «البزنس» العائلي كان بحاجة ماسة لخبرات والدي وطاقاته. عدنا إلى أميركا لتصفية شؤوننا هناك، وبعد سنة كنا نحن الأربعة في الرياض، نبدأ مرحلة جديدة من حياتنا...

عوّدها فيصل على صمته أثناء حديثها خاصة إذا كان حديثاً ذا شجون كهذا، لكنها خافت صمته هذه المرة، فراحت تبحث في عينيه عن ردة فعل أو انفعال ما يشي بما يفكر فيه بعد سماع كلامها. ولمّا لم تجد ما يطمئنها أضافت بحزن:

ـ «نحن لا نخاف من أحد ولم نُخفِ حقيقة مشعل عن الناس لأننا نخجل من ذلك. صدقني كان أبي على استعداد لنشر الحقيقة على صفحات الجرائد والمجلات لولا تأكده من أن مجتمعه هنا لن يتقبل ابنه بالحفاوة نفسها التي تقبله بها مجتمع زوجته في أميركا. أليس من المحزن أن أضطر لإخفاء حقيقة مثل هذه عن ميشو وعن صديقاتي؟ ليتني كنت أستطيع إخبارهن، لكنهن لن يفهمن! سوف يسمونه بأسماء مؤلمة من وراء ظهري وسيعاملونه وفقاً لتلك المسميات الجارحة، وهذا ما لن أقبل به! إنها حياة أبي وأمي وقد اختارا أن يعيشاها بهذه الطريقة فلِمَ يتدخل الجميع في شؤونهما؟ لِمَ أُجبَر على التمثيل أمام الآخرين حتى لا يضطهدوني؟ لِمَ لا يحترم المجتمع اختلاف أسرتي عن بقية الأسر السعودية؟ الجميع يعتبرونني فتاة سيئة لمجرد أن والدتي أميركية! كيف أستطيع العيش في مجتمع جائر كهذا؟ قل لي كيف يا فيصل؟!».

تندفع في البكاء الذي أصبح يلذ لها وهي بصحبته. وحده الذي يعرف كم دمعة بالضبط يجب أن يدعها تذرف قبل أن يداعبها بلطف لتتوقف عن البكاء. وحده يعرف أنها ستقهقه رغماً عنها لو اشترى لها من أقرب دكان للبقالة «قوطي شاني» أو «حلاو بقر»!

فيصل هذه المرة كان يفكر بنفسه. راح يواسيها برقة وهو يتخيل الحوار الذي سيدور بينه وبين والدته حالما يعود إلى المنزل. لقد حاول تأجيل هذا الحوار مراراً لكنه هذه المرة عازم على أن يفتح (أو يقفل!) الموضوع مع والدته. «الله يستر!» حدّث نفسه ومضى.

(١٥)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 21/5/2004
Subject: ألبي! ألبي!

ومِنهم مَنْ يَسْتَمِعُون إلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُمَّ وَلَوْ كَانُوا لاَ يَعْقِلُون. وَمِنْهُمْ مَنْ ينْظرُ إلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدي العُمْيَ ولو كانُوا لا يُبْصِرون. إنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً ولَكنَّ النَّاسَ أَنفسَهُمْ يظْلِمون:

سورة يونس: ٤٢ـ٤٤

أعرف أنكم تتوقون لمعرفة ما حدث بين فيصل ووالدته، ولذلك نعود اليوم إلى فصل فيصل وميشيل من القصة؛ ميشيل التي احتار الناس في كوني إياها أو سديم! فأنا ميشيل إذا ما استخدمت مصطلحات إنكليزية، ثم أصبح سديم في الأسبوع التالي إذا ما كتبت قصيدة لنزار قباني... يا حياة الشقا!

* * *

فينك يا يوسف يا وهبي تيجي تشوف اللي بيحصل. حركة أو «لازمة» «ألبي ألبي!» التي ابتدعتَها لتُضحكنا أصبحت من الخِدَع الأكثر

انتشاراً في أوساطنا المحلية مؤخراً، وخصوصاً بين الأمهات، عندما يحين الوقت للتعامل مع طلبات الأبناء المدللين.

حالما سمعت أم فيصل اسم ميشيل ركبها «ستمية عفريت!» تدارك فيصل خطأه بسرعة: ينادونها ميشيل لكن اسمها الحقيقي مشاعل! مشاعل العبد الرحمن! نظرة سوداء من عيني أمه أصابته بالرعب وعقدت لسانه! خشي الشاب أن تكون هناك عداوة قديمة ما بين العائلتين، لكن اتضح له أن الأم لم تكن قد سمعت باسم عائلة ميشيل من قبل.

من هو العبد الرحمن؟ وأي عبد للرحمن؟ ما أكثر عباد الرحمن! كان اسم عائلتها عادياً جداً، لا يرقى إلى مصاف العوائل التي تناسب أو تخالط عائلة البطران! حاول أن يوضح لها أن أبا ميشيل لم يستقر في البلد سوى من سنوات قليلة، ولذلك فإن اسمه غير معروف للكثيرين من أهل الرياض. لكنها لم تفهم. سألته: من هم إخوته؟ فأجاب بحماسة أن والد ميشيل هو أنجح مَن بالعبد الرحمن! وقد اعتاد بعد عودته من أميركا التي عاش فيها طويلاً ألا يختلط إلا بمن يوافقونه تمدناً وأفكاراً، ولكن ذلك كأنما زادها امتعاضاً.

عائلة تلك الفتاة ليست من مواخيذهم. لا بد من سؤال الأب، فهو أعرف منها بمسائل الأنساب، لكن الموضوع منذ بدايته لا يبشر بخير. لقد ضحكت عليه البنت! آه من بنات هذه الأيام!! ويا لابنها الصغير الغر الذي لم تكن تتوقع منه أن يقع في شباك فتاة كهذه! سألته عن أخوال البنت، وأراد أن يكحلها فعماها! عندما سمعت الأم أن أم الفتاة أميركية قررت أن تقفل باب هذا النقاش العقيم حول هذه المهزلة إلى غير رجعة بأن تلجأ لتكنيك يوسف بيه وهبي بعد السعوَدة:

- قم يا وليدي. قم بسرعة جب لي دوا الضغط والقلب، شكل السكر انخفض معي!

حاول الابن أن يقنعها، أن يكسب رضاها عن ميشيل. عدَّد لها محاسن الفتاة. حدثها عن أشياء لا تهمها؛ فتاة مهذبة متعلمة وطالبة جامعية مثقفة، تعجبه بخليطها الشرقي الغربي. البنت تفهمه، البنت متحضرة وليست قروية كبقية البنات اللواتي سبق له التعرف إليهن أو اللاتي تلمح والدته إلى مشاريعها في تزويجه إحداهن. لم يستطع أن يقول لها صراحة إن البنت تحبه وإنه هو يحبها أكثر.

تناولت الأم أدويتها التي إن لم تكن تنفع فهي لا تضر، وهي تسح دموعاً كثيرة، وتتحدث وهي تمسح على شعره بحنان عن آمالها الكبيرة في تزويج ابنها الأصغر من أحسن البنات، وإهدائه أحسن منزل وأحسن سيارة وتذاكر لقضاء أحسن شهر عسل.

بكى فيصل اليائس، فيصل البائس تحت قدمي أمه الغالية، أمه التي لا يحب أحداً في الكون أكثر منها ولم يعارضها يوماً. بكى البنتَ المتحضرة، حبيبته التي تفهمه ويفهمها أكثر من أي اثنين في هذا العالم، ميشيل ذات الجمال النجدي والشخصية الأميركية، التي لن تكون من نصيبه.

(١٦)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 28/5/2004
Subject: هل هذا هو الاستقرار العاطفي؟

أيها الشاعر: كم من زهرةٍ عوقبت لم تدرِ يوماً ذنبها
إبراهيم ناجي

لم يصدق الكثيرون ما فعله فيصل، أو بالأحرى ما لم يفعله! أؤكد لكم أن هذا ما حصل، وأنه روى تفاصيل حواره مع والدته - التي سردتها لكم - لميشيل بعد بضعة أسابيع عاشها في حيرة وتخبط، بين قلب يهوى وعقل يعرف تماماً الحدود المرسومة مسبقاً من الأهل لخياراته في الحياة.

لا أعرف سبب استغرابكم! إن مثل هذه القصص تحدث عندنا يومياً من دون أن يشعر أحد سوى الاثنين المعنيين بها، والمكتويين بنارها، وإلا فمن أين أتت كل هذه الأشعار الحزينة والأغاني الكئيبة في تراثنا؟ إن صفحات الشعر في الجرائد وبرامج الإذاعة والمنتديات الأدبية على الإنترنت تقتات على مثل هذه القصص والأحزان وخيبات الأمل!

أنا سأروي لكم الأحداث التي تحدث في منازلنا والمشاعر التي تعترينا نحن الفتيات عند مرورنا بمثل هذه الأحداث. لن أتطرق إلى ما في صدور التماسيح لأنني ببساطة لست على علم كافٍ بطبيعتهم التمساحية، ثم إنهم بصراحة لا يقعون ضمن اختصاصاتي واهتماماتي. أنا أتحدث عن صديقاتي فقط، وعلى من يجد في نفسه من التماسيح رغبة في التعبير عن أصدقائه، أن يكتب لي ويخبرني عما يدور في مستنقعاتهم، لأننا ـ معشر السحالي ـ في أمسّ الحاجة لمعرفة أفكارهم وفهم دوافعهم التي تخفى علينا دائماً.

البعض أقام الدنيا ولم يُقعدها بعد إيميلي الأخير وقصة فيصل مع ميشيل، وهؤلاء للأسف تعلو أصواتهم دائماً على أصوات البقية لأنهم من أتباع سياسة «خذوهم بالصوت لا يغلبوكو». أليس أحرى بهؤلاء الناقمين إن أرادوا الثورة، أن يثوروا على أفكار بشعة وتقاليد مريضة بدلاً من أن يثوروا على من تحاول فقط الحديث عنها؟

يستهجن الجميع جرأتي في الكتابة، ويلومونني على ما أثيره من مواضيع «التابو» التي لم نعتد مناقشتها في مجتمعنا بهذه الصراحة، وخاصة من قِبَل فتاة صغيرة مثلي، ولكن أليس لكل شيء بداية؟ من كان يتخيل أن مارتن لوثر كنغ القس المسالم سوف يحرر السود في أميركا من قوانين التمييز العنصري ويبدأ حركة المساواة بين البيض والملونين باحتجاج بسيط منه وأفراد كنيسته على الفصل بين البيض والسود في مقاعد الحافلات في مدينته؟

من يدري؟ قد أواجه المصاعب الآن كما واجهها لوثر كنغ الذي اعتُقل منذ نصف قرن وهو في بداية نضاله ضد المعتقدات الخاطئة في مجتمعه. ضحى هذا الرجل بنفسه لخدمة القضية، ولم يقل إنه ليس

بالإمكان إصلاح العالم، وها هو يُذكر الآن كبطل من أبطال هذا القرن بعد أن عومل كمجرم في حياته.

قد أجد قليلاً من المؤمنين بقضيتي الآن وقد لا أجد، لكنني أشك في أن أجد كثيراً من المعارضين بعد نصف قرن من الآن.

* * *

عادت قمرة إلى بيت أهلها في زيارة عادية. أمها التي كانت تعلم كل شيء آثرت إخفاء النبأ عن الجميع. «سحابة صيف»، هكذا كانت تسمي شجار ابنتها مع راشد ووعده إياها بالطلاق. حتى أبوها الذي كان في إجازة في المغرب آنذاك، قررت ألا تخبره عما حدث. هو بالذات لم يهتم بأي من أفراد هذا البيت يوماً ولن يهتم. كانت أم قمرة العقل المدبر والمحرك لهذا البيت وستبقى كذلك.

عندما زارتها النسوة مهنئات بالحمل كانت قمرة تردد ما لقنته إياها أمها:

- راشد يا عميري طول وقته بهالجامعة، حتى الإجازة ما يرضى ياخذها. يوم درى إني حامل ويحلف إني أبشر أهلي وأنا وسطهم. كلها شهر وأرجع له. أعرفه ما يطيق يصبر عني!

كانت أمها تقول: «كلش ولا الطلاق وانا أمتس، ولو أخوك طلق حرمته بس حنا بناتنا ما يتطلقن...».

لم يمهلهما راشد التنبل طويلاً حتى تتمكن الأم من تدبير حل للمشكلة. وكما حدث مع سديم، أتت ورقة الطلاق إلى والد قمرة بعد وصولها للرياض بأسبوعين لتقطع على الأم سير خططها، وكأن راشد كان بانتظار اللحظة التي يتخلص فيها من هذه الزوجة المفروضة عليه.

وصلتها الورقة البعبع التي كانت تراها في الأفلام المصرية. لم تكن

الورقة مفزعة لشكلها وإنما لمضمونها. عندما ناولها إياها أخوها، قرأت قمرة السطور المكتوبة فتهاوت على أقرب مقعد وهي تصيح: «يمه طلقني! يمه راشد طلقني خلاص طلقني!». احتضنتها والدتها وهي تبكي وتدعو على الظالم: «الله يحرق قلبك وقلب أميمتك يا راشد مثل ما حرقت قلبي على بنيتي!».

أختها حصة التي تزوجت قبلها بسنة وكانت حاملاً في شهرها الثامن في عرس قمرة، كانت تدعو معهما ولكن على الرجال كافة، فهي أيضاً تعاني منذ زواجها. زوجها خالد الذي كان في غاية الدماثة والرقة أثناء فترة المِلكة، تحول بعد الزواج إلى شخص آخر، لا يعبأ بها ولا يلتفت لرغباتها. كانت تشكو لأمها دوماً من إهماله لها، فهو لا يهتم إذا ما غضبت ولا يذهب بها إلى الطبيب إذا مرضت. أثناء حملها كانت تذهب مع والدتها لمتابعة تطور الحمل، وكانت تذهب مع أختها الكبرى نفلة لشراء مستلزمات الطفلة بعد الولادة، وأكثر ما كان يغيظها في خالد هو بخله المستفز وتقتيره غير المبرر عليها مع أنه ميسور الحال ولا يبخل بأي شيء على نفسه. فهو مثلاً لا يعطيها مصروفاً شهرياً كما يفعل زوج أختها نفلة مع أختها وكذلك والدها مع والدتها، وإنما كان يعطيها عندما تلحّ في الطلب حتى تشعر بالمهانة.

كانت إذا ما طلبت منه ثلاثة آلاف ريال لشراء فستان ترتديه في عرس قريبتها، تذرّع بأي حجة كي لا يعطيها النقود: «ما في داعي للفستان، عندك فساتين كثيرة»، أو «أنا ما شريت لك فستان قبل ستة شهور؟»، أو «أنا فلوسي على قدي، خذي من أبوك اللي كل يوم جايب لواحد من إخوانك سيارة جديدة... ولاّ هم رموك علي وتبروا منك؟!»... وغيرها من الأعذار المستفزة التي كانت تدفعها في أغلب الأحيان لصرف النظر عن

أي مطلب تريده. وفي تلك المرات القليلة التي يعطيها فيها نقوداً، يعطيها خمسمئة بدلاً من الثلاثة آلاف التي طلبتها، أو خمسين إن هي طلبت الخمسمئة منذ البداية حتى لا تعرض نفسها لإذلاله. ولسبب تجهله، كانت أمه العقربة كما تلقبها، تساعده وتصفق له في تقتيره وتنكيده عليها!

عانت قمرة الكثير بعد طلاقها من راشد، فعلى الرغم مما سمعته من سديم عن مرارة معاناتها بعد انفصالها عن وليد، إلا أن كثيراً من المشاعر التي اجتاحت قمرة لم تختبرها سديم، فالأخيرة لم تخنقها العبرة كل ليلة عندما يحل وقت النوم الذي صار أسوأ الأوقات من كل يوم. منذ عودتها إلى بيت أهلها وهي لا تستطيع النوم لأكثر من ثلاث ساعات متواصلة، تصحو بعدها في ضيق وبمزاج نكِد، وهي التي لم يكن يستعصي عليها أن تنام العشر والعشرين ساعةً متواصلة قبل الزواج وحتى أثناءه. هل كان هذا هو الاستقرار العاطفي الذي كان الحديث الشاغل لرفيقاتها غير المتزوجات؟ لم تلاحظ يوماً أهمية وجود راشد في حياتها حتى خرج منها.

عندما تضطجع على جانبها الأيسر وركبتها اليسرى تكاد تلتصق بذقنها بينما ساقها اليمنى ممدودة، فلا تجد قدمها قدم راشد إلى جانبها، تتقلب كثيراً وتشعر بأن السرير يشتعل من تحتها، أو أن خيوطه تتحول إلى إبر تنغرز في مسام جلدها. تبسمل وتحوقل وتقرأ المعوذتين وآية الكرسي وما تحفظه من أدعية ما قبل النوم ثم تحتضن وسادتها وتضطجع على بطنها فتغفو بعد لأي ورأسها عند زاوية الفراش اليمنى بينما قدماها عند الزاوية اليسرى. فقط عندما تضطجع بالورب على هذا النحو، تستطيع أن تملأ جزءاً كبيراً من الفراغ الذي خلفه راشد في سريرها، وجزءاً صغيراً من ذلك الفراغ الذي خلفه في حياتها.

(١٧)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 11/6/2004
Subject: كله ولا السعودي!

أَلَمْ نشرحْ لكَ صدْرَكَ ووضَعْنا عَنْك وِزْرَكَ الَّذي أَنْقضَ ظَهْرَك وَرفَعْنا لَك ذِكْرَكَ فَإِنَّ معَ العُسْرِ يُسْراً إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً فإذَا فرَغْتَ فَانْصَبْ وإلى ربِّكَ فارغَبْ.

سورة الشرح: ١ـ٨

قرأت خلال الأسابيع الماضية أخباراً في صحف محلية شهيرة كـ«الرياض» و«الجزيرة» و«الوطن»، تتحدث عني! أعني عن إيميلاتي تحديداً. كتبوا عن:

«ضجة تعم الأوساط المحلية حالياً تقف وراءها فتاة مجهولة ترسل إيميلاً نهار كل جمعة إلى معظم مستخدمي الإنترنت في السعودية، وتقص في هذه الرسائل قصص صديقاتها الأربع: قمرة القصمنجي وسديم الحريملي ولميس جداوي وميشيل العبد الرحمن. الفتيات اللواتي ينتمين إلى الطبقة المخملية من طبقات المجتمع، التي لا يعرف أخبارها عادة سوى من ينتمي إليها.

تطل الكاتبة كل أسبوع على الناس بتطورات جديدة وأحداث شيقة جعلت الجميع ينتظر يوم الجمعة للحصول عليها، وتنقلب الدوائر الحكومية وقاعات الجامعات وأروقة المستشفيات وفصول المدارس صباح كل سبت إلى ساحات لمناقشة أحداث الإيميل الأخير، والكل يدلي بدلوه، فمن مؤيد لهذه الفتاة ومن معارض لها. هناك من يرى أن ما تقوم به الصبايا هو شيء طبيعي ومعروف، وهناك من يغلي غيظاً وهو لا يصدق ما يدور حوله من تجاوزات في مجتمعنا المحافظ.

أياً كانت النتيجة، فإن ما لا شك فيه أن هذه الرسائل الغريبة قد قامت بخلق ثورة داخل مجتمعنا الذي لم يعتد مثل هذه الأمور، وعليه فإنها ستظل مادة خصبة للمداولة والحوار مدة طويلة، حتى بعد توقف الإيميلات عن الصدور...».

* * *

بدأت سديم تستمتع بعملها الصيفي في بنك HSBC وبدأت تندمج مع زملائها من الموظفين. كان الجميع يعاملونها بود ولطف كونها أصغر العاملين الموجودين، ويحاولون تقديم المساعدة والنصح لها باستمرار. ارتاحت لطاهر بشكل خاص؛ الموظف الباكستاني المسلم الأكثر مرحاً وظرفاً.

لم يكن عملها شاقاً. كانت مهمتها تقتصر على استقبال المراجعين ومساعدتهم على تعبئة الاستمارات المطلوبة، أو فرز بعض الأوراق والملفات وترتيبها.

لم يكن من بين زملائها في العمل من يستهويها إلى حد الإعجاب ولذلك فقد كانت تتصرف مع الجميع بعفوية وانطلاق، كما أنه لم يكن

بين الموظفين أي عربي، ولذلك كانت تتصرف كأنها واحدة منهم، تمازح هذا وتضحك مع ذاك، ولا تضع لنفسها قيوداً كالتي تضعها عادة وهي برفقة مجموعة عربية وخاصة خليجية وتحديداً سعودية.

إدوارد صاحب العينين الزرقاوين والشعر الأسود الذي يتهدل إلى أسفل أذنيه بقليل، صاحب البورش الذي كان يأتي للبنك مرتدياً أغلى الثياب، وحده كان يلفت انتباهها. عندما رأته أول مرة مرتدياً بدلة كحلية غامقة مع قميص خمري وربطة عنق من اللون نفسه تأكدت من أنه مختلف في وسامته وأناقته وحتى في لكنته الأيرلندية عن الآخرين، أما طاهر فقد كان محبوباً من قِبَل الجميع على الرغم من بساطته.

رحلتها من شقتها في ساوث كنزنغتون حتى البنك الواقع في كناري وورف باستخدام المترو، كانت تستغرق ما يقارب أربعين دقيقة كل صباح. كانت تقضي رحلتها اليومية في تصفح جرائد المترو المجانية الملقاة على المقاعد، وسماع فيروز من مسجلها الصغير «الووكمان».

اقترح عليهم إدوارد بعد انتهاء الدوام في أحد الأيام، أن يذهبوا جميعاً إلى البيانو بار على هاي ستريت كنزنغتون. وافقت سديم على المجيء مع مجموعة الموظفين لوجود طاهر من ضمنهم، ولأن البار الذي يريدون الذهاب إليه لا يبعد كثيراً عن شقتها، لكنها أعلنت أنها ستنصرف عندما يأتي صديق طاهر لاصطحابه لمشاهدة فيلم في السينما، فطاهر صار مثل الأخ الأكبر الذي تشعر في وجوده بالراحة والاطمئنان.

ظلت سديم تتأمل البيانو الذي رُصّت فوقه الكؤوس الرطبة وقد بدت أوتاره من خلال غطائه الزجاجي الشفاف. ذكّرها هذا البيانو بالبيانو الأبيض الذي كان في منزل خالتها بدرية القديم بالرياض. كان

طارق ابن خالتها يتلقى دروساً في العزف عليه، وكان ينقل إليها كل ما يتعلمه من دروس. كانت في الثانية عشرة من عمرها آنذاك بينما كان هو في الخامسة عشرة.

الساعة تقارب السادسة مساءً. كان الوقت ما يزال مبكراً والمكان شبه خالٍ، ولم يكن العزف على البيانو يبدأ عادة قبل الساعة السابعة والنصف مساءً. قررت سديم أن تحاول العزف رغم أنها لم تتمرن منذ سبع سنوات. اعتذرت مسبقاً عن العزف الرديء وبدأت ترتجل النّوَت واحدة تلو الأخرى حتى تصل إلى النوت المطلوبة، ثم أعادت العزف من البداية بإتقان أكبر هذه المرة. عزفت إحدى مقطوعات عمر خيرت، موسيقيها المفضل. كان العزف صعباً هذه المرة بدون طارق الذي كان يُغْنيها عن استخدام يدها اليسرى أثناء العزف.

كان صديق طاهر متجهاً إلى البار لاصطحاب صديقه إلى السينما، لكن الأنغام العربية المنبعثة من الأسفل استوقفته. من موقعه على درجات السلم، أطل فراس من النافذة الزجاجية الموجودة ليستكشف مصدر هذا اللحن العربي. لمح شابة جميلة لم يسبق له أن التقاها ضمن شلة طاهر. ظل مصغياً إلى عزفها حتى علا صوت التصفيق وعادت الفتاة إلى مقعدها إلى جانب صديقه.

نزل فراس الدرجات الباقية حتى وصل إلى طاولة صديقه. ألقى تحية سريعة على الحاضرين ثم طلب من صديقه الإسراع في الخروج معه حتى يلحقا بالفيلم.

سأل طاهر سديم إن كانت متأكدة من أنها لا تريد مشاركته وصديقه الذهاب إلى سينما أوديون القريبة، لكنها اعتذرت متمنية لهما قضاء

وقت ممتع، فاتجها وحدهما يساراً باتجاه السينما بينما اتجهت هي يميناً نحو شقتها.

بعد أسبوع من ذلك اليوم أقام طاهر حفلة عيد ميلاده الثلاثين، في مقهى كوليكشنز. هناك التقاها فراس للمرة الثانية، لكنه هذه المرة قرر أن يخبرها أنه سعودي مثلها، فلا بد من أنها تظنه باكستانياً كصديقه، والحق معها، فطاهر نسي أن يقوم بواجب التعارف بينهما في البيانو بار، ولو أنه سعد بذلك! يمكنه الآن أن يعرّفها بنفسه على طريقته:

- الأخت عربية؟

- (سديم طايرة عيونها!) هاه؟؟ أنت عربي؟!

- سعودي. فراس الشرقاوي.

- سديم الحريملي... أنا آسفة كنت أحسبك باكستانياً مثل طاهر!

- (ضاحكاً من صراحتها المحرجة) وأنتي اللي يشوفك يقول عنك إسبانية، حتى إنكليزيتك ما شاء الله ؟ بيرفكت!

- أنا سعودية.

- (مبتسماً) حي الله أهلنا.

- (تقول في سرها: حي الله أهلنا؟ فاقدهم مرة يعني؟ كل السعودية في لندن الحين وأنت مسوي فيها وطني ومتشقق تشوف أحد من أهلك! يا نصبك!) امم... هلا بك..

- أنا سمعتك ذاك اليوم وأنتِ تعزفين فعرفت أنك عربية، وبعدين لما سألت طاهر قال لي إنك سعودية.

- باللهِ؟؟ ما أتذكر أنك جيت وأنا أعزف!

- لأني بقيت متخبي على الدرج وأناظرك من الشباك. كانت أول مرة أسمع فيها عزف شرقي في البيانو بار. الصراحة، كان عزفك رهيب.
- شكراً، هذا من ذوقك (وهي تلتقط حقيبتها من المقعد المجاور) طيب أنا لازم أمشي الحين. أستأذن.
- لسه بدري!
- معلش وراي موعد.
- طيب ما تنتظرين شوي لحد ما تسلّمين على طاهر؟ أتوقع أنه تحت على البار.
- ما أقدر. بليز سلم لي عليه واعتذر لي منه إذا شفته.
- مع السلامة وإن شاء الله ما أكون أزعجتك. على العموم فرصة سعيدة.
- (أزعجتني ويس؟ إلا قول فقعت مرارتي! معذور. هماك سعودي!) أنا الأسعد، باي.
- باي.

عادت سديم إلى شقتها وهي تلعن حظها بعد أن اكتشفت أن صديق طاهر سعودي! راحت تسترجع في ذهنها جميع الأحداث التي جرت في المرة التي رأت فيها فراس في البيانو بار قبل أسبوع. هل ارتكبت أياً من التجاوزات التي لا يفترض أن يراها شاب سعودي من ابنة بلده؟ هل صدر منها أي تعليق جريء؟ هل كان ما ترتديه لائقاً؟

«الله يقلعه! وش جايبه!؟ حتى هنا ماني قادرة آخذ راحتي وأتصرف على طبيعتي؟ هالسعوديين وراي وراي!! عزّ الله إنه بيفضحني وبكرة

أخباري كلها واصلة الرياض! الله لا يعافيك يا طاهر أنت وخويك ذا البئر اللي يتميلح! قال أيش قال الأخت عربية!!».

في أول أيام الأسبوع التالي، سألت سديم طاهر عن صديقه فراس، وعاتبته على إخفائه حقيقة جنسيته عنها، لكن طاهر نفى أن يكون قدَ تعمد ذلك. أخبرها بأنه لم يتذكر كونها من دولة فراس نفسها إلا عندما أثارت الموضوع أمامه. قال لها إن فراس ليس من النوع الذي تخشاه، فقد تعرف إليه منذ التحاقه بجامعة ويست منيستر. كان فراس يدرس الدكتوراه في العلوم السياسية بينما كان طاهر ينهي رسالة الماجستير في المحاسبة. اشتركا في غرفة واحدة لمدة ستة أشهر في سكن الجامعة في ماريليبون هول. كان أكثر ما يعجبهما في موقع السكن هو قربه من ريجنت بارك، حيث يقع المسجد الكبير الذي يحرصان على أداء صلاة الجمعة فيه. بعد أن حصل طاهر على شهادته انتقل للعيش في شقته الحالية بمايدا فيل، وانتقل فراس بعده هو الآخر للسكن في شقته الحالية في سينت جونز وود، وقد كان طوال هذه السنين نِعْم الصديق.

لم يأت طاهر على ذكر فراس بعد ذلك اليوم، ولم تسأله هي عنه، لكنها كانت تخشى أن يكون طاهر قد أبلغ فراس عن ضِيقها به وتبرمها بلقائه في حفلة عيد الميلاد. كم سيكون ذلك محرجاً بالنسبة لها! عموماً، يدرك الجميع أن الفتاة السعودية ترتاح للاختلاط بالرجال غير السعوديين أكثر من الرجال السعوديين! لن يكون فراس الأول ولا الأخير الذي يصاب بمثل هذه الصدمة بفتاة من بلاده تفضل لقاء صديقه الباكستاني على لقائه!

رغم تحررها النسبي وعدم اهتمامها عادة بتعليقات الآخرين، إلا أنها تمنت لو أنها تستطيع لقاء هذا الرجل من جديد حتى تستشف عن صورتها في داخله. كان يزعجها التفكير بأنه قد يسيء الظن بها، فمع أنها لا تعرفه، ولكنه شاب سعودي، قد يثير حولها زوبعة من الكلام تصل من لندن حتى الرياض!

كانت قد اعتادت أن تقضي صباح كل سبت في شارع أوكسفورد. تذهب للتسوق من محلاته الكثيرة قبل أن تُنهي جولتها الأسبوعية بساعات داخل مكتبة بوردرز. تتجول في أرجاء المكتبة الضخمة ذات الأدوار الخمسة لتقرأ المجلات وتستمع إلى أحدث الاسطوانات، بعد أن تتناول إفطاراً خفيفاً في مقهى ستاربكس الموجود بالداخل.

هناك وجدته! رتب لها القدر لقاءً لائقاً بهذا الغريب للمرة الثالثة على التوالي. «لا بد من أن يعني ذلك شيئاً!». تفكر سديم وعبارة أم نوير التي تكررها دائماً ترن في ذهنها: «ثلّثنا وغدا الشر». كان عاكفاً على قراءة جريدة وهو يحمل في يده اليمنى كوباً من القهوة، وعلى طاولته أوراق كثيرة مبعثرة ولاب توب.

«أروح أسلم عليه؟ وإذا سوى نفسه ما يعرفني؟ أعرف حركات الشباب لما يسوون فيها ثقل على البنات! أكيد بيستعبط ويسوي نفسه ما يعرفني... ياللّه وات إيفر! ما وراي شي خليني أسلم عليه...». اتجهت إليه وحيته بهدوء. صافحها باحترام، وأزالت «كيف الحال سديم؟ فرصة طيبة» ظنونها السيئة فيه. تحدثا وقوفاً عما يفعله كل منهما في المكتبة. بعد دقائق قليلة ساعدها في نقل فنجان قهوتها وكرواسان الجبن من مائدتها إلى مائدته حتى لا تتناول طعامها وحيدة.

جرى بينهما الحديث سلساً وممتعاً. لسبب لم تعرفه تلاشى من ذهنها أنه الشاب السعودي الذي أرادت أن تقطع لسانه قبل أن يبدأ في نشر الأقاويل عنها. سألته عن جامعته وموضوع رسالته، وسألها عن دراستها وعملها الصيفي. استفسرت منه عن الأوراق المبعثرة فاعترف لها بأنه يتوجب عليه قراءة كل هذه الأوراق التي تزيد على المئتين هذا الصباح لكنه كعادته لم يستطع أن يقاوم إغراء جريدة، بخشخشة صفحاتها ورائحتها الورقية! ضحكت منه عندما خبأ عنها بشقاوة طفولية ما على الكرسي المجاور لكرسيه من جرائد كثيرة وادعى أنه لم يشترِ هذا الصباح سوى «الحياة» و«الشرق الأوسط» و«التايمز»، التي أقر بأنه قد قرأها جميعها بدلاً من قراءة أبحاثه!

أدهشتها ثقافته الموسيقية واطلاعه الفني بشكل عام، فعلى الرغم من عمله في مجال السياسة إلا أنه برع في مناقشتها حول مناظر رامبرانت الطبيعية وخطوط كاندينسكي التجريدية، وأذهلها عندما حدثها بإسهاب عن إبداع موسيقيه المفضل موتزارت الذي كان يؤلف المقطوعة خلال جلسة واحدة، ووعدها بأن يُسمعها مقطع «ملكة الليل» من أوبرا الناي السحري لموتزارت التي أبدعت في أدائها السوبرانو لويزا كينيدي، ثم تحول الحديث إلى التعليق على السياح الخليجيين في لندن في مثل هذا الوقت من كل عام. شاركته سديم، مولودة برج العذراء صاحبة النقد اللاذع، متعة الذّب والحش اللتين لا يجيدهما الكثيرون؛ فملأت هي وفراس، مولود الجدي صاحب الدم الخفيف، جو المقهى بضحكاتهما الصاخبة!

عصافير الكيمستري أو الكيمياء كانت تحلق حول رأسيهما كما تحلق عصافير توم حول رأس جيري! لاحظت سديم أن الأمطار بدأت

تهطل بغزارة بعد أن كانت الشمس ساطعة لساعات قبل دخولها المكتبة. سألها فراس إن كان معها سيارة، فأجابت بالنفي. عرض عليها أن يوصلها بسيارته إلى شقتها أو المكان الذي تريده فرفضت بأدب، وأخبرته بأنها ستكمل التسوق في المحلات القريبة ثم تستقل سيارة أجرة أو حافلة إلى منزلها. لم يلح عليها، إلا أنه طلب منها أن تنتظره لدقائق ريثما يذهب لإحضار شيء من سيارته.

عاد وهو يحمل في يده مظلة ومعطفاً واقياً من المطر ناولها إياهما. حاولت أن تقنعه بالاحتفاظ بأحدهما لنفسه لكنه أصر على موقفه، فقبلتهما منه شاكرة وممتنة.

تمنت قبل انصرافها لو أنه يتجرأ فيطلب منها رقم هاتفها حتى لا تنعدم بينهما وسائل الاتصال، خاصة أنه لم يتبق لها في لندن سوى أيام معدودة تعود بعدها إلى الرياض لتستأنف دراستها، لكنه خيب ظنها عندما مد يده مصافحاً وشكرها بلطف على مشاركتها إياه فطوره الصباحي، فانصرفت عائدة إلى شقتها وهي تخط بقدميها نهاية قصة لم تكتب بدايتها.

(١٨)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 11/6/2004
Subject: مجتمع معجون بالتناقضات

أسماء أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، زوجات النبي صلى الله عليه وسلم:

خديجة بنت خويلد؛ سوداء بنت زمعة؛ عائشة بنت أبي بكر الصدّيق؛ حفصة بنت عمر بن الخطاب؛ زينب بنت خزيمة؛ هند بنت أبي أمية؛ زينب بنت جحش؛ جويرية بنت الحارث؛ صفية بنت حيي بن الأخطب؛ أم حبيبة بنت أبي سفيان؛ مارية القبطية؛ ميمونة بنت الحارث.

تزوج النبي الكريم عليه الصلاة والسلام من عربيات وغير عربيات، قرشيات وغير قرشيات، مسلمات وغير مسلمات، مسيحيات ويهوديات أسلمن قبل أن يبني بهن، ثيبات وأبكاراً.

عمرو خالد، «أمهات المؤمنين»

لاحظت أن رسائلي قد بدأت تجد أخيراً أصداءً طيبة بين أخواتي السحالي، رغم أن غالبية رسائل التشجيع ما زالت تصلني من التماسيح، ما تحرمش منهم!

بوسعي أن أتخيل منظر البنت كل أسبوع وهي على الإنترنت من بعد صلاة الجمعة مباشرة بانتظار وصول إيميلي، فإذا وصلها تصفحته بسرعة بحثاً عن دلائل تشير إليها من قريب أو بعيد، فإن لم تجد تنفست الصعداء واتصلت بصديقاتها لتطمئن إلى أحوالهن المشابهة، وكل واحدة منهن تهنئ الأخرى بمرورها سالمة من الفضيحة هذا الأسبوع أيضاً! أما إن وجدت في القصة ما يشبه واقعة مرت بها قبل سنوات، أو كان الشارع الذي سارت فيه إحدى البطلات يشبه الشارع الذي يطل عليه منزل عمها في الخرخير، فالويل لي!

إيميلات كثيرة تصلني مليئة بالتهديد والوعيد «والله لنفضحكِ مثل ما فضحتينا! حنا عارفينك أصلاً! أنتِ فلانة بنت عم خال حرمة أخوي! مقهورة مني لأن ولد عمك خطبني وما خطبك! من زينه!! والاّ تكونين علانة جارتنا في البيت القديم في منفوحة، غايرة مننا ليش نقلنا للعليا وأنت للحين منثبرة في ذاك!».

والله إنكن تحف يا بنات! وتقولون ليش البنات مو مثل العيال على قلب واحد! أنا الود ودي أكنسل على كل صديقاتي وأستبدلهن بشنبات! بس يالله، لنا الجنة إن شاء الله!

* * *

أخبرَها نصف الحقيقة.

قال لها إن والدته لم تؤيد فكرة زواجه بها، وحدثها بما دار بينهما تاركاً لها مهمة استنتاج الأسباب الواضحة لغضب الأم. لم تصدق ميشيل ما تسمع! أهذا فيصل الذي أبهرها بتفتحه؟ يتخلى عنها بهذه

البساطة لأن أمه تريد أن تزوجه فتاة من وسطهم؟؟ فتاة غبية كالأخريات؟ أهذا ما سينتهي إليه فيصل؟!! مثله كبقية الشبان التافهين الذين تحتقرهم؟!

كانت الصدمة قوية جداً على ميشيل، وكان فيصل يتجنب تبرير موقفه لإيمانه بأنه ما من فائدة مما يمكن أن يقوله لها، ولذا فقد بدا موقفه ضعيفاً وتفاعله بارداً مع الصدمة. كان كل ما قاله أنه يرجو منها أن تتصور عقبات تحديه لعائلته وأنه ما من سلطة تستطيع أن تصد كيدهم له ولها إن هو أصر على موقفه بالارتباط بها. هو لم يحاول أن يعترض لأن النتيجة معروفة مسبقاً، وليس لأنه لا يحبها. إنهم لا يؤمنون بالحب! لا يؤمنون سوى بموروثاتهم وتقاليدهم عبر السنين، فكيف السبيل إلى إقناعهم؟

ظلت ميشيل صامتة في المطعم تحملق في وجهه الذي لم تعد تعرفه. بلل كفيها بدموعه قبل أن ينصرف مودعاً. كان آخر ما قاله لها أنها محظوظة لأنها ليست من هذا الوسط المعقد. حياتها أبسط وأوضح وقراراتها بيدها لا بيد القبيلة. لن يلوث عقلها بأحكامهم ولن يقتل براءتها بأفكارهم السامة، لا حاجة لإدخالها في متاهات هي في غنى عنها.

ابتعد فيصل عن حبيبته ميشيل. قدم لها الحقيقة بعد أن ستر جسدها القبيح بأسمال وهلاهيل، ثم تهرب حتى من مسؤوليته في امتصاص ردة فعلها. تركها حتى لا يرى صورته المشوهة في عينيها. لم يكن أنانياً! كل ما هنالك أنه رغم كل شيء ما زال يريد الاحتفاظ بذكرى جميلة عن حبها له.

بكثير من الجهد والصبر ورغبة صادقة في التغلب على الحزن، وبعون من الله الذي كان يعلم قسوة ما تعانيه، راحت ميشيل تترفع عن الذكريات المؤلمة بإباء وجَلَد، وتفلت من بين يديها ذيول الماضي الجميل، بانتظار أن يعود للأشياء البسيطة في حياتها طعمها ولو ببطء شديد.

لجأت ميشيل إلى طبيب نفسي بعد أن انعدمت أمامها الحلول. ذهبت إلى طبيب مصري كانت قد سمعت عنه من أم نوير التي كانت تلجأ إليه في بداية مرحلة طلاقها.

لم يكن هناك شيزلونج لتتمدد عليه وتطلق للسانها وعقلها وقلبها العنان. بدا الدكتور متحفظاً في تعاطيه معها ولم يتمكن من إجابة السؤال الحزين الذي ستظل إجابته مخبأة عنها بقية العمر:

what more could I've done or said to make him stay?

بعد أربع زيارات اكتشفت ميشيل أنها بحاجة لعلاج أعمق من كلمات هذا الطبيب الساذج عن خداع فيصل لها وقصة تغرير الذئب بالنعجة قبل افتراسها. لم تكن نعجة ولا كان حبيبها فيصل ذئباً! هل هذا هو أحدث ما توصل إليه الطب النفسي عند العرب؟ وهل يمكن لطبيب مصري أن يفهم أبعاد مشكلة تصيب نفسيتها السعودية مع اختلاف الخلفية الاجتماعية لهما؟

على الرغم من جرحه لها إلا أنها متأكدة من أن فيصل قد أحبها بصدق عنيف، وما زال يحبها كما تحبه، لكنه ضعيف وسلبي وخاضع لإرادة المجتمع التي تشل إرادة أفراده. إنه مجتمع معجون بالتناقضات وعليها إما أن تتقبل تناقضاته وتخضع لها، أو أن تغادره للعيش في مجتمع أكثر تحرراً يضمن لأفراده حياة أكثر استقلالية.

عندما طرحت فكرة الدراسة في الخارج على أبيها هذه المرة لم تُجابَه برفض مباشر كما حدث قبل عام، ربما كان للكيلوغرامات التي نقصتها وللشحوب الذي اعترى وجهها مؤخراً تأثير على قراره. أصبح جو المنزل كئيباً مع حزنها وكآبتها وسفر أخيها مشعل إلى سويسرا لقضاء العطلة الصيفية في مدرسة داخلية هناك. وافق الأبوان على أن تسافر ميشيل للدراسة في سان فرانسيسكو حيث يسكن خالها، فبدأت في مراسلة الجامعات هناك في اليوم نفسه وخلال الأيام التالية بإلحاح حتى لا تفوتها فرصة التسجيل قبل بداية العام الدراسي الجديد.

ظلت ميشيل بانتظار قبولها في إحدى الجامعات هناك حتى تحزم أمتعتها وترحل عن هذا البلد الذي يسوس أفراده كما البهائم ـ كما تكرر لنفسها ـ. لن ترضى لنفسها أن يملي أحد عليها ما يجب أن تفعله وما لا يجب! إذاً، فما فائدة الحياة؟! إنها حياتها وحدها وستحرص على أن تعيشها بالطريقة التي تحلو لها... لها فقط.

(١٩)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 18/6/2004
Subject: بين النجوم. . . فوق السحاب

ربَّنا لا تُزِغْ قُلُوبنا بَعد إذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لنا مِنْ لَدُنْك رَحْمَة إنَّك أنت الوَهَّاب.

سورة آل عمران: ٨

قامت الدنيا عليّ ولم تقعد، واشتعل صندوق إيميلي بالرسائل المفخخة. البعض يحذرني من الاقتراب من الخطوط الحمراء، والبعض يعتبر أنني قد تجاوزتها بالفعل وسوف أعاقَب على تدخلي في شؤون الآخرين حتى أكون عبرة لكل من تسول له نفسه تحدي المجتمع وتقاليده بهذه الجرأة والصفاقة والثقة بالنفس.

على من تقرأ كتابك يا موسى؟!.

* * *

على سلم الطائرة بكت سديم، كأنها تحاول التخلص مما تبقى بداخلها من دموع قبل أن تعود إلى الرياض. تريد أن تعود لحياتها

الطبيعية هناك، حياتها قبل وليد. تريد أن تعود إلى جامعتها ودروسها واجتهادها المعتاد، وإلى صديقاتها المقربات وسوالف الخالة أم نوير الممتعة.

اتخذت مقعدها بين مقاعد الدرجة الأولى ووضعت سماعات الووكمان في أذنيها وأغمضت عينيها لتطير بين النجوم، فوق السحاب على أنغام الأغنية:

خذني بيدي... معك أبتدي
آن الأوان... أنسى اللي كان
حتى لو طال الزمان
لازم أوصل للربيع... قبل ما عمري يضيع
وألقى الحنان... أنا لي مكان
بين النجوم... فوق السحاب
أغسل بألوان الفرح كل العذاب

اختارت سديم لتزجية وقتها في طريق العودة إلى الوطن، مجموعة من الأغاني تختلف تمام الاختلاف عن أغانيها في طريق القدوم إلى لندن. كان في نيتها هذه المرة توديع الحزن وفتح ذراعيها لاستقبال الفرح المنتظر. قررت أن تدفن أحزانها في أرض لندن وتعود إلى الرياض بروح صبية في مثل سنها كانت قد فقدت اتصالها بها منذ أن فقدت اتصالها بوليد.

بعدما أُطفئت إشارة ربط الأحزمة، توجهت سديم كعادتها في كل

رحلة دولية إلى حمام الطائرة لارتداء عباءتها، فهي تكره أن تفعل ذلك قبل هبوط الطائرة على أرض المملكة بقليل، عندما تصطف النساء والرجال صفوفاً أمام أبواب الحمامات لارتداء الزي الرسمي، فترتدي النسوة عباءاتهن وأغطية شعرهن ونقاباتهن، بينما يتخلى الرجال عن أطقم الكاروهات والبناطيل التي يشدون أحزمتها تحت كروشهم الرجراجة بما تحويه من ألبان وشحوم ولحوم، ليعودوا إلى الأثواب البيض التي تستر جرائمهم الغذائية والشمغ الحمر التي تغطي صلعاتهم اللامعة.

في طريقها نحو مقعدها لمحت رجلاً خُيّل لها أنه يبتسم من بعيد. قلصت من فتحة عينيها وزوت بين حاجبيها حتى تتمكن من استيضاح معالم وجهه بشكل أدق. لو أنها تحسن ارتداء عدساتها اللاصقة ـ التي يضعها لها اختصاصي العيون في محل النظارات في كل مرة ترغب فيها بارتدائها ـ لما كانت تعاني مثل هذه المعاناة كل يوم. عندما وصلت إلى مقعدها كان لم يتبق لها سوى أربع خطوات حتى تصل إلى مقعد ذلك الشاب. صدرت منها شهقة مرتفعة بعض الشيء أحرجتها وكشفت عن حماستها غير المبررة:

ـ فراس!!

أكملت خطاها نحوه. نهض من مقعده مرحباً بها بفرح ظاهر، ثم دعاها للجلوس في المقعد الذي رتب القدر بقاءه شاغراً إلى جانبه!

ـ كيفك سديم؟ وش هالصدف الحلوة؟

ـ الله يحلي أيامك! والله من جد صدفة حلوة! ما تخيلت أني راح أشوفك بعد ذاك اليوم اللي في المكتبة.

- تصدقين عاد؟ اليوم كان حجزي انتظار. يعني ما كنت متأكد أني باسافر الليلة. جت من ربي. بس زين أنك قمتي تلبسين عباءتك والاّ ما كنت شفتك!.

- غريبة! انت ما شالله عليك جاي ذاهب ولابس ثوبك من قبل ما تركب الطيارة.

- إيه أنا ما حب أغيّر ملابسي في الطيارة. أحس اني مصاب بانفصام في الشخصية! كأني دكتور جيكل إذا جاء يتحول لمستر هايد!

- ههههه... بس زين أنك عرفتني وأنا بالعباءة. أحس أن شكلي يصير مرة غير فيها.

- شكلك أحلى فيها.

هل يمزح هذا الرجل؟ أيكون ذوقه سيئاً إلى هذا الحد أم أنه يراها بشعة إلى الدرجة التي يفضل فيها أن تتغطى وتلتف بعباءتها لتُغطيه من قبحها؟؟

- عيونك الحلوة. على فكرة ترى مظلتك وجاكيتك لسه عندي.

- حلالك. وش دعوه!

- عسى بس ما تمرضت ذاك اليوم بسببي ودعيت علي؟

- لا الحمد لله. أصلاً لما تعيشين هنا تتعودين أنك تخلّين المظلة والرين كوت دائماً في السيارة لأن الجو هنا ممكن يقلب بأي لحظة، وبعدين أنا يومها ركبت سيارتي على طول ورجعت البيت. كنت خايف عليكِ أنتِ تمرضين من المشي في ذاك الجو.

- لا ما جاني شي الحمد لله. الله يخلي لي مظلتي وجاكيتي، ما صرت أمشي من غيرهم.

- تقطعينهم بالعافية.

- الله يعافيك. على فكرة، أنت الحين راجع بتستقر في الرياض والاَّ ناوي ترجع لندن مرة ثانية؟

- والله للحين ما قررت، بس إلى أن تتضح الصورة بيكون وقتي موزع ما بين الرياض وجدة والخُبَر، بما أن الرياض هي العاصمة الرسمية وجدة العاصمة غير الرسمية والخبر عاصمة الأهل.

- أنت من الخُبَر؟

- إي نعم. أصلنا من نجد لكن لنا مدة طويلة مستقرين في المنطقة الشرقية.

- مو تعب عليك كذا؟ أحسك كبير على هالمشورة كل أسبوع كأنك طالب جامعي!

- (ضاحكاً) لا والله عادي. المسألة رأس مالها تذكرة الطيارة اللي بيتكفل فيها السواق كل أسبوع، وملابس هنا وهناك، وأهم شي فرش الأسنان، واحدة في كل بيت يعني أنا ما عندي أي مشاكل مع تعدد الزوجات بعد كل هذا التدريب.

- لا يا شيخ. والله طلعت ملكّع بجد! إلاَّ صحيح متى تاريخ ميلادك؟

- ليه؟ ناوية تجيبين لي هدية؟ ترى ما عندي مشكلة تجيبينها بأي وقت.

- هههه... لا وشو له أجيب لك هدية؟ بعدين أنت كبرت على ذي الحركات... خلها لنا حنا يالشباب.

- خمسة وثلاثين ماهوب كبير واجد.
- طيب علمني وش برجك.
- أنتِ تفهمين بهالأشياء؟
- لا بس واحدة من صديقاتي خبيرة بهالأمور، وعودتني على أن أسأل أي أحد أقابله عن برجه.
- برجي الجدي، ولو أني ما أعترف بذي الحاجات. على قولتك، كبرنا. يالله حسن الخاتمة!

لاحظت سديم أثناء رحلتهما أن فراس كان حريصاً على ألا يقدم لها أي من المضيفين أو المضيفات شراباً مسكراً عن طريق الخطأ، أو طعاماً يحتوي على لحم خنزير. لم يكن هو نفسه يتناول هذه المشروبات أو يأكل هذا النوع من الأطعمة، لكن حرصه على أن لا يقع خطأ في حقها أعجبها نوعاً ما، فهي المهووسة بطبعها بدقائق الأمور - والذي يفسره انتماؤها لبرج العذراء كما أقنعتها لميس - لم تصادف في حياتها شخصاً في مثل حرصها ودقتها قبل هذا الجدي!

- الله يعينك ويسهل عليك. تلاقي الوالدة الحين طايرة من الفرحة برجعتك.
- إيه والله متشققة بس إنها ما زالت في باريس مع خَواتي. يا حبني لها مسكينة طول فترة دراستي وهي كل يوم تتصل علي وتقول لي: يا وليدي ما هونت؟ ما طاب خاطرك؟ ما ودك ترجع؟ ما ودك تعرس؟
- والله معها حق. ما ودك تعرس؟ (سألت سديم بعفوية وعيناها معلقتان بالفلجة الكبيرة بين سنيه الأماميتين).

- أفا... هاذي ثاني دقة في غضون دقيقة! حرام عليكِ، لهالدرجة شايفتني شايب؟

- لا لا مو قصدي والله لا تفهمني غلط! بس يعني، ماني متعودة أشوف شاب سعودي فوق الثلاثين وما هو متزوج. العادة شبابنا من قبل ما يخط الشنب وهم مرتكزين في الطالعة والنازلة عند أميماتهم: يمه تكفين أبي أعرس! تكفين زوجيني!

- أنا صعب شوي، وعندي مواصفات معينة صعب تتواجد في بنات كثير هاليومين. بصراحة أنا معطي أهلي من سنين مواصفات البنت اللي أبغى أرتبط فيها وقايل لهم دوروا براحتكم، بس للحين ما لقوا لي البنت اللي على مزاجي. على العموم، أنا مرتاح كدا وما ناقصني شي.

- ممكن أعرف وش تطلع هاذي المواصفات الصعبة اللي ما في أحد قادر يلقى لك إياها؟

- تأمرين أمر. بس ممكن قبل ما أنسى أطلب منك طلب صغير؟

- (وهي تتأمل أسنانه البيضاء وتفكر بعمق: هل يمكنها يا ترى أن تمرر طرف بنصرها عبر تلك الفلجة؟) تفضل...

- ممكن أسمع صوتك الليلة قبل ما أنام؟

(٢٠)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 25/6/2004
Subject: العودة إلى أم نوير

وأُفوّضُ أمْري إلى اللّه إِنَّ اللّهَ بَصيرٌ بالعباد.

سورة غافر: ٤٤

إحدى القارئات المتابعات لرسائلي بعثت لي برسالة تقول فيها:

«للولولولولولولولولوولولولولولولويييي!!!

أخيراً! ما بغينا!! نفد صبرنا ونحن بانتظار هذا الثور يتلحلح! على البركة لسديم».

ما أجمل هذا التفاعل الذي يدفعني للاستمرار في سلسلتي الفضائحية الهادفة. أليست مثل هذه الرسائل أجمل بكثير من تلك التي تصلني يومياً لتتحدث عن ليبراليتي وانحلالي؟

هناك من قالوا إنني أدّعي العصمة من الأخطاء حينما أسرد قصة صديقاتي مقتلعة نفسي من أحداثها. لا طبعاً، لست أدعي العصمة أو المثالية، لأنني لا أعتبر صديقاتي خاطئات أترفع عن مشاركتهن

قصصهن. ما الذي يجبرني على الكتابة عنهن إن لم أكن مؤمنة بهن؟

أنا كل واحدة من صديقاتي، وقصتي هي قصصهن، وإذا كنت قد امتنعت عن الإفصاح عن هويتي حالياً لأسباب خاصة، فقد أفصح عنها في يوم ما عندما تزول هذه الأسباب، وأسرد لكم حينها قصتي ـ أنا ـ كاملة، كما تتوقون لسماعها، بصدق وشفافية. أما الآن، فدعونا نَعُدْ إلى قمورة.

* * *

كانت قمرة خلال ذلك الوقت تفكر في مستقبلها المجهول. مثل سديم، ظلت لأسابيع طويلة تحلم بأن يراجعها راشد أو على الأقل أن يحاول الاتصال بها بعد أن يندم على فعلته الشنعاء معها وخطئه العظيم في حقها، لكن شيئاً لم يحدث. بدأت تفكر في ما سيؤول إليه أمرها. هل ستبقى مركونة في بيت أبيها كقطعة أثاث قديمة في مخزن الخردوات؟ هل تعود لاستكمال دراستها الجامعية؟ هل ستسمح لها أنظمة الجامعة بذلك بعد أن تأخرت سنة كاملة عن زميلاتها؟ أم تلتحق بإحدى الدورات التي توفرها المعاهد الخاصة والجمعيات النسائية لتشغل وقت فراغها وتحصل على شهادة من أي نوع؟

- يمه مشتهية ليمون وملح.

- يا بنيتي ماهيب زينتن كثرة الليمون، بعدين يوجعتس بطنتس.

- يوووووه! احمدوا ربكم إن وحامي جاي على الليمون والملح! أجل لو أني قايلتن مشتهية منغا وش كان سويتوا؟؟

- أعوذ بالله من لسانتس! جيبوا لها هالليمون كود تجيها حموضة ثمن «ثم» تتربى!

كان أخوا قمرة الصغيران ـ نايف ونواف ـ فرحَين بعودتها ويحاولان التسرية عنها على الدوام بدعوتها لمشاركتهما لعب النينتندو والبلاي ستيشن، إلا أن قمرة كانت تعاني اكتئاباً حاداً سببه راشد وابن راشد الذي بدأ يتحكم في حياتها حتى قبل أن يولد، فيقلب مزاجها في اليوم مئة مرة ويجعلها متوترة وسريعة الانفعال لأتفه الأسباب.

«هل راح أظل على هالحال مدة طويلة؟؟ الله لا يربحك يا راشد ولا يحللك وين ما كنت واش ما سويت! ويا مال الهاري يا كاري!! جعلك تشوف اللي سويته فيني يا راشد يتسوى بخواتك وبناتك! يا رب تبرّد قلبي وتحرق قلبه وترفع عني وتخسف بُه هو ويا هالشيفة!».

اتصلت سديم بصديقاتها حال وصولها إلى الرياض، واتفقنَ أربعتهنَّ على اللقاء في الغد في منزل أم نوير التي لم يجتمعن بها منذ بداية العطلة الصيفية لانشغال كل منهن بظروفها.

قدمت لهن أم نوير أكواب الشاي الممزوج بالحليب والهيل والمحلى بالكثير من السكر على الطريقة الهندية ـ الكويتية، وهي تعاتبهن على تقصيرهن في زيارتها. كانت سديم الوحيدة التي تذكرت أم نوير في سفرها، فجلبت لها شالاً فخماً من الكشمير أفرحها كثيراً، وراحت تبارك لها عودة ابنها نوري من أميركا.حيث كانت قد ألحقته قبل عامين بمدرسة داخلية هناك.

عندما أخبر المدرسون والاستشاريون النفسيون أم نوير أن حالة ابنها نوري سيكولوجية وليست فيسيولوجية؛ وأنها حالةِ عارضة قد يمر بها أي مراهق، خاصة أولئك الذين يعانون من مشاكل أسرية، تنفست أم نوري الصعداء، فهي تعرف أن الشذوذ قد لا يُعَد مرضاً في أميركا، لكنه

يُعَد مصيبة حيث تعيش هي وابنها. كاد يغمى عليها عندما أخبرها الأطباء في بداية الأمر أن حالة ابنها تدعى تغيراً جنسياً وأن عليها أن تصبر حتى يتمكن ابنها من تحديد هويته مع الأيام ليختار الذكورة أو الأنوثة. وفي حال اختياره الأنوثة، يمكنهم حينها التدخل طبياً لمساعدته، وذلك بإجراء عملية جراحية وعلاج بالهرمونات إلى جانب العلاج النفسي.

بقي نوري في تلك المدرسة لمدة عامين، عاد بعدها إلى حضن أمه التي عادت إليها الروح وهي تتأمل وحيدها الذي شب وأضحى رجلاً «تدبه» في عين أبيه وفي عين كل من لمزها واحتقرها هي وابنها من قريبات وجارات وزميلات في العمل.

ميشيل لم تكن تتحدث سوى عن فساد المجتمع وتخلفه ورجعيته وتعقيداته، وقد كانت في غاية الحماسة للسفر بعد غد حتى تبدأ حياتها من جديد في بيئة صحية غير هذه البيئة المتعفنة التي تجلب المرض. وسديم كانت تلعن وليد بعد كل جملة. أما قمرة فلم تتوقف عن الشكوى من تضييق والدتها عليها ومنعها إياها من الخروج كما في السابق، فهي الآن مطلقة والأعين مثبتة عليها لاصطياد عثراتها ونسج أبشع الإشاعات حولها.

كانت قمرة متأكدة من ثقة والدتها بها إلا أنها عجزت عن إقناعها بأن من راقب الناس مات هماً. صار موال «ما يصير، نسيتِ إنتس مطلقة؟» يكرر على مسمعها عشرات المرات كل يوم، ويحد من حريتها بشكل فظيع! لم تنسَ يوماً أنها مطلقة، ولكن ألا يكفيها الهم الذي تعيشه حتى يضاف إليه هم الناس وكلامهم؟ لم تتمكن من الخروج من

المنزل منذ عودتها من أميركا قبل ثلاثة أسابيع إلا في ذلك اليوم، ولا تظن أن والدتها ستسمح لها بتكرار ذلك عما قريب.

لميس «الرايقة» دخلت على المجموعة وفي يدها طبق من اللازانيا وآخر من الكريم بروليه تحلف عليهن أن يتذوقنهما! نظرت إليها الفتيات الثلاث بغيظ فقامت إليها أم نوير لتحمل معها الطبقين إلى المطبخ:

- أقول حبّوبة، ترى هالبنات كل واحدة فيها اللي مكفيها وأنتي داخلة عليهم تبينهم يذوقون معكرونتج وحلوج؟ لميسوه أنتِ ما تيوزين عن خرابيطج؟!!

- إيش أسوي لَهُم يعني؟ أقتُل نفسي؟ الله يعوض عليهم بس كمان هادي ما هي حالة! شايفة كيف كل واحدة قاعدة مبوزة وحكاويها تجيب الهم؟!

- ويه يا لميس... الله لا يبلاج ما بلاهم قولي آمين! خَنَت حيلي كل واحدة سالفتها ألعن من الثانية... الله لا يعافيهم من ريابيل جانهم عوار راس وعوار قلب!

- أيش تطلع خدت حيلي هادي؟

- خنت حيلي مو خذت حيلي يا حظي!

لميس مصرة على انتشال صديقاتها من هوة الحزن التي تقرفصن فيها. أخرجت من حقيبتها أحدث إصدارات ماغي فرح عن الأبراج التي اشترتها هذا الصيف من لبنان، فبدأ التفاعل كالعادة:

سديم: لميس بليز شوفي لي مواصفات الرجل الجدي.

لميس: الرجل الجدي عاطفي بطبيعته لكنه قليل البراعة في

استخدام المبادئ الأساسية والأساليب التي توقظ المشاعر والعواطف مع الشريك الآخر. إنه مخلوق عاقل لا ينفعل سريعاً ولكنه إذا انفعل يفقد صوابه تماماً ولا يمكنه السيطرة على تصرفاته. مولود صارم ومتمسك بالعادات والتقاليد ولا يميل بتاتاً إلى المغامرة والمخاطرة. يتبع هذا المولود عقله دائماً ولا تقوده العاطفة ونادراً ما يتأثر بهذه الأخيرة، وهو كائن حذر وحي الضمير يبني الأشياء على أسس متينة. متعلق بأسرته إلى حد كبير. يتحلى بشخصية محببة وفطنة مميزة وثقة عالية بالنفس. من عيوبه الكبرياء والأنانية والوصولية.

ميشيل: كم نسبة النجاح بين المرأة الأسد والرجل السرطان؟

لميس: ٨٠٪.

سديم: العذراء متوافقة أكثر مع الحمل والاّ مع الجدي؟

لميس: مع الجدي طبعاً ومن غير ما أقرأ في الكتاب! العذراء يتفقوا؟! مع الجدي والتور أكتر حاجة وبعدين بقية الأبراج. شوفي أيش مكتوب هنا: «نسبة توافق المرأة العذراء مع الرجل الحمل لا تتجاوز الـ ٦٠٪، أما بين المرأة العذراء والرجل الجدي فالنسبة لا تقل عن ٩٥٪». قو ببيبي!! والله برافو عليكِ. ما عندِك لعب ولا مضيعة وقت. راح الحمل وجاء الجدي. تعجبيني! اعترفي يالله يطلع مين هادا الجدي.

قمرة: اسمعوها نصيحة مني يا بنات. لا تحلمون! اتركوا عنكم هالأفكار وخلوها على الله! لا تتمنون شي في الرجال لأنه بيجيكم عكس اللي تمنيتوه تماماً! صدقوني!

لميس: ولمّا هو عكس اللي أتمناه تماماً إيش اللي يغصبني على إني آخده؟

قمرة: النصيب.

ميشيل: خلينا صريحين مع بعض. لو ما كان عاجبك يا قمرة ما كان أخذتيه. بلاش كل شي نقول عنه نصيب وما لنا يد فيه! دائماً نمثل دور المغلوبين على أمرنا وأن ما لنا كلمة ولا رأي! منتهى السلبية! إلى متى نظل جبناء وما عندنا حتى الشجاعة أن نتحمل نتيجة اختياراتنا ويذر إتس رايت أور رونق؟!

تتكهرب الأجواء كالعادة كلما عبرت ميشيل عن آرائها الحادة، وتقوم أم نوير كالعادة بتلطيف الجو بنكاتها وتعليقاتها. كانت الليلة آخر ليلة تجتمع فيها الصديقات الثلاث مع ميشيل قبل سفرها للدراسة في أميركا، ولذلك فقد تمكن الجميع من التجاوز عن صراحتها الجارحة، لكن قمرة التي كانت تخشى أن تخيّر صديقتيها سديم ولميس بينها وبين ميشيل فتكون هي الخاسرة في النهاية، ظلت تنفر بداخلها من تعليقات ميشيل المؤذية في حقها كلما اجتمعتا مع بقية الشلة.

(٢١)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 2/7/2004
Subject: فاطمة «الشيعية»

لا بأس من أن تفعلي شيئاً يستهجنه الجميع، فما يبدو صحيحاً بالنسبة لك قد لا يبدو كذلك في نظر الآخرين.

إلين كادي

اخترت لكم اليوم أظرف رسالة وصلتني خلال الأسبوع المنصرم، لصاحبها «المهاتما علوش»:

ودعت أيام الكيرم والبلوت، وامتلا وقتي، إنترنت وبسكوت

شابكٍ أون لاين أستنيٍ الحبيب، يتكرّم، ويتعطف، أو يجيب

قمت أغير لامنّي لقيت، رسايله في كل جيب

هذا يقرا، وهذا يسمع، وذاك يقول بس بس! عرفته!

وأنا كني فار، منخش في ركنٍ قريب

ودي أصرخ! هاذي حبي! معجبٍ فيها وأحلم بالنصيب!

محّد عطاني وجه لكن، من كثر ما قلبي يرقع

اسمعوه وقالوا رايح، فيها هذا ومتولّع

قاموا وطقوا لي موتر، ومهر وألماس يتلمّع

واحلفوا أني أجي لك، خاطبٍ وأنا متقطّع

قلت غالي، والطلب أرخص! ولكن!! مهنا أشين، مني والله، ومهنا أبشع!

قالوا ما لك شغل! اخطب، واحنا بالباقي نتبرّع

واحدة خِبلة وجاها واحد خِبل! والله عيلة، ما في أروع!!

***

بعد انتقال لميس إلى مبنى كلية الطب بالملز، تعرضت علاقتها بميشيل للكثير من الصعوبات، التي جاهدت كلتاهما لتجاوزها، إلا أن شيئاً ما كان قد بدأ بالتسلل للعلاقة التي دامت قوية لخمس سنوات؛ كانت فاطمة أخطر تلك الصعوبات.

«فاطمة الشيعية»، هكذا كانت تلقبها الشلة. كانت لميس متأكدة من أن أياً من صديقاتها لا تهتم بكون فاطمة شيعية أو سنية أو صوفية أو مسيحية أو حتى يهودية، بقدر ما تهتم بكونها غريبة عن وسطهن. كل ما هنالك أن مسألة «المماشاة» في هذا المجتمع تتعدى كونها مجرد علاقة صداقة والسلام. إنها عملية حساسة وخطوة اجتماعية مهمة أشبه بالخطبة والزواج.

تتذكر لميس صديقة طفولتها فدوى الحسودي، التي استمرت علاقتها بها حتى تعرفها على ميشيل. لم تكن فدوى من الشخصيات

التي تعجبها، حيث كانت لميس تفضل البنات المرحات والأوجه البشوشة بعكس ما عليه فدوى، إلا أن هذه الأخيرة فاجأتها صبيحة أحد الأيام بسؤال مباغت:

- لميس تصيرين البيست فريند حقتي؟

هكذا وبلا مقدمات كزواج من زيجات لاس فيغاس السريعة جاءها العرض، ووافقت لميس التي لم تتخيل أن تصبح فدوى يوماً أكثر الفتيات غيرة منها وحسداً لها.

«ماشت» لميس فدوى لعدة سنوات بناءً على طلبها، ثم تعرفت إلى ميشيل، التي أصبحت في ما بعد صديقتها المقربة. كانت علاقتها بميشيل في بداية الأمر لا تتعدى كونها رفقاً بالطالبة الجديدة التي لا تعرف أياً من الطالبات. فدوى التي لم تعجبها فكرة مشاركة صديقتها مع فتاة أخرى بدأت تشن حملات التشهير بلميس بين جميع الطالبات في المدرسة، وكانت الأخبار تصل للميس بسرعة من مصدر جديد في كل مرة: «فدوى تقول إنك تكلمين شباب». «فدوى تقول إن أختك تماضر أذكى منك وإنك تغشين منها عشان تجيبين درجات». كان أكثر ما يغيظ لميس أن فدوى بوجهين، فهي ظلت تدعي البراءة أمامها حتى تخرجهما من الثانوية العامة. لم تستطع لميس سوى أن تتصنع البرود معها حتى تخرجتا واتجهت كل واحدة منهن لدراسة تخصص مختلف.

كانت علاقة لميس بفاطمة من نوع آخر. لأول مرة تجد لميس نفسها مشدودة لفتاة إلى هذا الحد. أعجبت بقوة فاطمة ومرحها، وأحبت فاطمة جرأة لميس وذكاءها، ووجدت كل منهما نفسها مع مرور الوقت أقرب صديقات الأخرى من دون تخطيط مسبق كما كان مع فدوى.

استطاعت لميس بعد عناء أن تتجرأ وتسأل فاطمة عن بعض المسائل التي تحيرها بخصوص الشيعة. كانت البداية في أحد أيام رمضان عندما أخذت لميس طعام الفطور إلى فاطمة في شقتها لتفطر معها، وهي تتذكر الأيام التي كانت تخاف أن تأكل فيها أي طعام تقدمه لها طالبة شيعية من زميلاتها في الجامعة. كانت قمرة وسديم تحذرانها من طعام الشيعة، فهم ينجسون طعامهم خفية إن عرفوا بأن سنياً سيأكل منه، ولا يتورعون عن دس السم فيه لينالوا ثواب قتل سني! كانت لميس تقبل ما تعرض عليها زميلاتها الشيعيات من فطائر أو معجنات شاكرة، ثم لا تلبث أن ترمي بها في سلة المهملات بعد أن تبتعد عنهن قليلاً. حتى الحلوى وقطع العلك الملفوفة، كانت تخاف أن يكن قد فعلن بها شيئاً قبل تقديمها لها! لم تتشجع لميس وتتناول شيئاً من أيدي زميلاتها الشيعيات إلا بعد تقربها من فاطمة.

لاحظت لميس أن فاطمة تمتنع عن تناول التمرة التي وضعتها أمامها بعد سماعهما أذان المغرب. راحت فاطمة تشغل نفسها بإعداد القيمتو والسَّلَطة ولم تفطر إلا بعد الأذان بحوالي ثلث الساعة. أخبرتها فاطمة بعد أن رأت استغرابها أنهم لا يفطرون حال سماع الأذان بل ينتظرون قليلاً تحرياً للدقة، ولا تعرف فاطمة السبب الحقيقي وراء ذلك. لميس التي أثار الموضوع فضولها اندفعت تسأل صديقتها عن الزينة المعلقة على الجدران في شقتها والتي تشير كتاباتها إلى مناسبة دينية. أوضحت لها فاطمة أن الزينة تخص مناسبة «حج ومدينة» التي يحييها الشيعة في منتصف شهر شعبان من كل عام.

سألتها عن بعض الصور الغريبة التي شاهدتها ضمن ألبوم زفاف أخت فاطمة الكبرى، وكبحت نفسها عن الاستفسار عنها في حينها.

كانت بعض الصور تُظهر جدتي العروسين وهما تريقان بعض الماء على قدمي كل من العروسين الموضوعتين في إناء فضي كبير وقد تناثرت قطع معدنية من النقود في قاع الإناء. أخبرتها فاطمة أن هذا من تقاليدهم في الأعراس، مثل الحنة والجَلوة. تُفرك قدما العريس والعروس تحت ماء قد قرئت عليه آيات قرآنية وأدعية معينة وترمى النقود تحت قدميهما صدقة حتى يتبارك زواجهما.

كانت فاطمة تجيب عن أسئلة صديقتها الفضولية ببساطة وهي تضحك من معالم الإثارة البادية على وجه لميس! عندما وصل النقاش إلى الأئمة الاثني عشر وسرداب سامراء، شعرت كلتاهما بتوتر الأجواء واستعداد كل منهما للتجريح في مذهب الأخرى فتوقفتا عن الجدال، وانتقلتا بهدوء إلى غرفة المعيشة لتتابعا أحداث المسلسل الرمضاني الشهير «طاش ما طاش» على القناة السعودية الأولى، الذي لا يختلف السنة والشيعة على متابعته!

كانت تماضر أول الرافضين لعلاقة أختها بهذه الرافضية. حاولت مراراً أن توضح للميس أن جميع زميلاتهن في الكلية يتندرن حول هذه العلاقة الغريبة:

- يا لميس والله سمعت البنات بيقولوا عنها كلام مش كويس بالمرة! بيقولوا ساكنة لوحدها وعايشة على كيفها إمتى ما تطلع تطلع وإمتى ما ترجع ترجع. تزور اللي تبغاه ويزورها اللي تبغاه كمان!

- أيش قصدك؟ أنا رحت لها وشفت بعيني السيكيورتي اللي ما يرضى يدخل أي أحد إلا بالعافية وهي نفسها ما تقدر تطلع من السكن لوحدها إلا لو جاء أخوها بنفسه يطلّعها.

- يا لميس إحنا ما لنا دعوة بهادا الحكي كلّو. ما دام الكل دحينا بيتكلم عنّها، بكرة يقولوا عليكي مشيك بطال زيها! إش بك إنتي؟ من فدوى السايكو للأميرة سارة لفاطمة الشيعية؟ لا وأحسن واحدة تعرفيها جاية من أميركا فيوزاتها ضاربة!

تتذكر لميس صديقتها سارة؛ الأميرة التي التحقت بمدرستهن في السنة الأخيرة من الثانوية. أحبت لميس سارة بصدق، سحرتها بتواضعها وأخلاقها، هي التي لم تكن تتوقع من الأميرات إلا التفاخر والعجرفة. لم يكن يعنيها ما تردده البنات عن سر علاقتها بسارة، فقد كانت توقظها كل صباح لسبب بسيط هو خوفها من أن تنسى الخادمات إيقاظها في ذلك القصر الواسع المليء بالحاشية، وكانت تحل لها بعض فروضها المدرسية وليس كلها كما كان يزعم البعض، وذلك عندما تلاحظ انشغال سارة بما هو أهم، من مناسبات رسمية وعائلية وواجبات اجتماعية تحدثها عنها سارة مسبقاً، وكانت تدعوها للاستذكار في منزلها المتواضع في أيام الامتحانات الشهرية حتى تتمكن من التركيز بشكل أكبر. أما ما واجهتها به تماضر أيامها مما انتشر بين البنات في المدرسة من إشاعات جارحة، فلم يؤثر فيها بل زادها تقرباً من صديقتها الجديدة حرصاً على إثبات اقتناعها التام بما تفعل.

مع فاطمة، وجدت لميس نفسها لأول مرة مع فتاة تشبهها إلى درجة فظيعة! كانت تشعر كلما ازدادت قرباً من فاطمة بأنها تتفحص ملامح وجهها وانحناءات جسمها أمام مرآة كبيرة. كعادتها، لم تتأثر لميس بما يقوله عنها الآخرون، إلا أنها خافت هذه المرة على مشاعر ميشيل. غفرت لها ميشيل علاقتها بسارة عندما رأت بنفسها تخلّي سارة عنها بمجرد تخرجهن من المدرسة. سافرت سارة للدراسة في أميركا

ولم تتصل بلميس بعدها. شعرت ميشيل حينها بالقوة وهي ترى ندم لميس وطلبها الصفح ورغبتها الصادقة في أن تعودا لصداقتهما المعهودة. هل ستسامحها ميشيل هذه المرة إن هي تخلت عن صداقتهما للمرة الثانية؟ كان الحل الأنسب في نظر لميس هو إخفاء العلاقة عن ميشيل وعن بقية الشلة، لكن قرارها لم ينجح. تماضر التي اغتاظت كثيراً من عناد أختها تولت أمر إخبار الشلة عن كل شيء، وبالأخص ميشيل.

توترت علاقتها بميشيل بعد ذلك. عرفت ميشيل السبب وراء اختفاء لميس طوال تلك الأسابيع. كانت لميس تتذرع بدراسة الطب الصعبة، وإذا بالحقيقة أنها تفضل الاجتماع بصديقتها الجديدة على الاجتماع بشلتها القديمة.

حاولت لميس تبرير موقفها أمام سديم؛ أكثر الصديقات مرونة:

- افهميني يا سدومة! أنا أحب ميشيل. طول عمرنا صاحبات، وراح نفضل صاحبات، لكن هيَ مش من حقها تمنعني من أن أصاحب بنات تانيات! فاطمة فيها حاجات مش موجودة في ميشيل. إنتي كمان بتحبي قمرة لكن فيها حاجات ناقصة، لو لقيتيها عند بنت تانية راح تتعلقي فيها.
- لكن يا لموسة غلط إنك بعد كل هذه السنين تتركين صديقة عمرك عشان ناقصها شي توّك تكتشفينه بعد ما لقيتيه عند واحدة ثانية. إنتِ ما كان فارق معاكِ هذا الشيء بدليل إنك عشتِ سنين من غيره بدون ما تعترضين. بعدين المفروض إنكم تكونون مع بعض على الحلوة والمرة. افرضي إنك تزوجتي وطلع زوجك ناقصه شي، بتدورين على اللي ناقصه عند غيره؟!

- يمكن! ولو ما عاجبو خليه يكمل الناقص ويريح نفسه ويريحني معاه!

- يا شديد إنتا! طيب بالله أنا عندي سؤال يقرقع في صدري من يومي عن الشيعة وماني عارفة جوابه.

- **إيش هوا؟**

- **الحين رجال الشيعة، يلبسون سراويل السنة تحت الأثواب والاَ لأ؟**

- **الله يرجّك يا شيخة!**

(٢٢)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 9/7/2004
Subject: ميشيل تلتقي ماتي

ليس من السهل أن نجد السعادة في داخلنا، لكنه من المستحيل أن نجدها في أي مكان آخر.

آجنس ريلير

تمددت فوق «ولدي الكسول»، وهي الترجمة العربية لـ «ليزي بوي» الذي أجلس إليه عادة عند الكتابة، والذي يمكن استخدامه ككرسي هزاز للقراءة أو كسرير مريح إذا ما قمت بمد سنادة القدمين وإرجاع ظهره للوراء كمقاعد الدرجة الأولى في الطيارة (ألا يمكننا إضافة ترجمة أقصر وأفضل وأكثر حشمة من هرطي هذا إلى مورد منير البعلبكي؟؟).

من على «الليزي بوي»، كتبت لكم هذه السطور:

***

هبطت الطائرة في مطار سان فرانسيسكو الدولي عند حوالى الساعة

العاشرة صباحاً. لم تكن تلك المرة الأولى التي تزور فيها ميشيل سان فرانسيسكو ولكنها كانت المرة الأولى التي تزورها فيها وحيدة بدون أبويها وأخيها ميشو.

هواء المكان مشبع بالرطوبة والحرية. ألوان بشرية وأعراق متنوعة تسير في جميع الاتجاهات من حولها. لا أحد يكترث بكونها سعودية، أو بكون جارها سنغالياً. كل مشغول بحاله.

أبرزت التأشيرة الخاصة بها التي تثبت كونها طالبة من السعودية أتت للدراسة في أميركا. أخبرتها موظفة الجمارك أنها أجمل فتاة عربية رأتها منذ بداية عملها في هذا المطار حتى ذلك اليوم.

بعدما أنهت ميشيل جميع الإجراءات اللازمة، بدأت تبحث بين أوجه المستقبلين عن وجه مألوف. لمحت ابن خالها ماثيو يلوح لها من بعيد فاتجهت نحوه بسعادة.

- هاي ماتي!
- هاي سويتي. لونغ تايم نو سي غيرل!

احتضنها ماتي بشوق وهو يسألها عن حال أمها وأبيها وأخيها. لاحظت ميشيل أن ماتي هو الفرد الوحيد من أفراد عائلة خالها الصغيرة الموجود في المطار.

- أين البقية؟ والداك وجيمي وماغي؟
- والداي في العمل، وجيمي وماغي في المدرسة.
- وأنت؟ ما الذي أتى بك لاستقبالي؟ أليست لديك محاضرات؟

- محاضراتي هذا الصباح ملغاة لاستقبال ابنة عمتي العزيزة. سوف نمضي النهار معاً حتى يصل بقية أفراد العائلة، ثم سأذهب لإلقاء محاضرة في المساء. بإمكانك الحضور معي إن أردتِ لأريك الجامعة التي ستدرسين فيها ولتلقي نظرة على غرفتك في السكن. أما زلت تصرين على السكن في مسكن الجامعة بدلاً من بيتنا؟

- هكذا أفضل. أتوق لتجربة العيش باستقلالية.

- كما تريدين، ولكنني أشفق عليك. عموماً، لقد أعددت لك كل شيء. اخترت لك غرفة مع إحدى طالباتي أعتقد أنك ستستمتعين بصحبتها كثيراً. هي في مثل سنك وشقاوتك ولكنك أجمل منها بكثير.

- ماتي! ألن تكف عن تدليلي؟ لقد كبرت وأستطيع أن أتدبر أموري بنفسي.

- سوف نرى، لكني أكره أن أغامر.

أخذها في جولة نهارية ممتعة في فيشرمانز وورف. أمضيا الوقت في السير وتأمل المحلات المختلفة. ورغم رائحة السمك التي تعبق في الأجواء، إلا أن ذلك لم يمنعها من الاستمتاع بكل ما حولها من مؤدّي استعراضات ورسامين ومغنين هنا وهناك. وعندما شعرا بالجوع تناولا حساء كلامب شاودر مقدماً في وعاء كبير مصنوع من رغيف خبز.

ساعدها ماتي على تدبير شؤون سكنها في الجامعة واختيار المقررات التي ستدرسها خلال ذلك الفصل. قررت مبدئياً أن تدرس

مهارات التواصل مثل ابن خالتها بعدما أثنى لها على ذلك التخصص، وأدرجت المادة التي يدرّسها في الجامعة والتي هي وسائل الاتصال غير المنطوقة ضمن موادها.

بدأت ميشيل تنهمك في الدراسة والأنشطة الجامعية علها تنسى ما كان، وقد كان لها ما أرادت. استطاعت أخيراً أن تنسى فيصل، كل يوم.

(٢٣)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 16/7/2004
Subject: مغامرة لا تنسى

وحدهم الذين يقومون بالمجازفة، يمكن أن يكتشفوا إلى أي مدى يمكنهم البلوغ.

تي أس إليوت

إن الآيات والأحاديث والاقتباسات الدينية التي أُوردها في إيميلاتي تُلهمني، والمقولات المشهورة والأغاني التي تحتويها رسائلي تُلهمني أيضاً. فهل هذا تناقض كما يزعم البعض؟ هل أكذب وأدّعي أنني أحادية الهوى وبدائية التركيب؟! أنا كأي فتاة في سني، بل كأي إنسان في أي مكان! فرقي الوحيد عنهم أنني لا أتوارى ولا أحب السكوت ولا أستحي مما أنا عليه.

***

تعرفت لميس إلى شقيق صديقتها فاطمة عندما أوصلتها بسيارتها إلى محطة القطار في أحد الأيام. كان علي يكبرهما بأربعة أعوام،

ويدرس الطب. أيضاً، إلا أنها لم تلتق به إلا ذلك اليوم أمام القطار المتجه إلى القطيف، وقرر أن يستقله هذا الأسبوع مع أخته لأن سيارته التي عادة ما يسافر بها معطلة.

كانت علاقة فاطمة بأخيها غريبة بالنسبة إلى لميس، فعلي يسكن مع أصدقائه في إحدى الشقق التي تُؤجَّر للطلاب القادمين من خارج الرياض، بينما تسكن أخته مع صديقاتها في شقة أخرى في سكن آخر. لم يكن يأتي لزيارتها كثيراً لأن كلاً منهما كان يفضل قضاء وقته مع أصحابه. كان هو يسافر في نهاية كل أسبوع بسيارته أو سيارة أي من زملائه المتجهين للقطيف بينما تسافر هي مع صديقاتها بواسطة القطار.

أعجبت لميس بعلي لطوله قبل كل شيء! كان معظم الشباب الذين تلتقيهم أقصر منها أو في مثل طولها الذي يبلغ مئة وستة وسبعين سنتيمتراً. كان طول علي لا يقل عن مئة وتسعين سنتيمتراً، وكانت سمرته الجذابة المشربة بحمرة وحاجباه الكثان، تُضفي عليه سحراً ورجولة طاغية.

التقت لميس بعلي بعد تعارفهما بأسبوع في المستشفى الذي توجهت إليه في ذلك اليوم مع فاطمة لشراء بعض المراجع، قبل أن يتنظمن فيه في السنوات القادمة. كثرت بعد ذلك لقاءاتهما في المستشفى ليشرح لها ما تستصعبه من دروس كبقية زميلاتها في الكلية اللواتي تستعين كل منهن بالطالب الذي تراه «مناسباً» ليساعدها على الفهم والاستيعاب، ثم صارت تلتقي به خارج المستشفى، في أحد المقاهي (الكافيهات) المنتشرة في كل مكان.

استمرت علاقة لميس بعلي لمدة شهور، لم تُطْلع فيها أياً من

صديقاتها عليها. وحدها فاطمة كانت تعلم عن طريق أخيها، إلا أنها كانت تتصرف أمام صديقتها كأنها لا تعلم شيئاً عما يدور بينهما، مع أنها كانت هي التي دبرت لقاءهما في محطة القطار ذلك اليوم نزولاً عند رغبة أخيها الذي أعجب بصورة لميس التي رآها في غرفة أخته في منزلهم بالقطيف. كانت الصورة ملتقطة للميس وفاطمة وبعض الزميلات وهن بالمعاطف الطبية البيضاء إلى جانب إحدى الجثث التي قمن بتشريحها في مشرحة كلية الطب للبنات بالملز، تلك المشرحة الكئيبة التي تختلط فيها رائحة الفورمالين والجثث المتحللة برائحة بخور رخيص.

كان علي في السنة الأخيرة من سنوات دراسة الطب البشري وكان عليه أن يبدأ التطبيق («الامتياز») بعد تخرجه مباشرة في أحد مستشفيات المنطقة الشرقية، أما لميس وفاطمة فكانتا لا تزالان في سنتهما الجامعية الثانية.

خلال أحد لقاءات لميس بعلي في أحد المقاهي في شارع الثلاثين، انقضت عليهما جوقة من رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محاطين بأفراد من الشرطة واقتادوهما بسرعة إلى سيارتين منفصلتين من نوع الجمس «الجي أم سي» توجهتا بهما نحو أقرب مركز للهيئة.

هناك تم أخذ كل من لميس وعلي في غرفة على حدة، وبدأ التحقيق معهما. لم تستطع لميس تحمل الأسئلة الجارحة التي وُجهت إليها. راحوا يسألونها عن تفاصيل علاقتها بعلي بفظاظة، ويُسمعونها كلمات تخجل من التلفظ بها أمام أقرب صديقاتها، فانهارت باكية بعد أن جاهدت ساعات لتبدو واثقة من نفسها ومقتنعة بفعلها الذي لا تعتقد

أن فيه ما يُشين. وفي الغرفة المجاورة كان المحقق يضغط على علي الذي فقد أعصابه أمام ادعاءات الرجل بأن لميس قد اعترفت بكل شيء وأن لا مجال أمامه للإنكار.

اتصل مسؤولو الهيئة بوالد لميس وأخبروه أنه قد تم ضبط ابنته مع شاب في أحد المقاهي وإيقافها في مركز الهيئة، وعليه أن يأتي لاستلامها بعد أن يوقع تعهداً بعدم تكرارها لهذا الفعل المخل بالآداب مرة أخرى.

جاء والدها مصفر الوجه. وقع التعهدات المطلوبة عن ابنته قبل أن يُسمح له باصطحابها للمنزل. في طريق عودتهما، حاول الأب كتم غيظه وتهدئة ابنته المنتحبة قدر المستطاع. وعدها ألا يخبر والدتها وأختها عما حصل، على ألا تعود للقاء زميلها هذا خارج مبنى الجامعة مرة ثانية. صحيح أنه يسمح لها بالخروج وحيدة مع أبناء عمومتها وأبناء أصدقائه وصديقات والدتها في جدة، ولكن جدة غير!

شعرت لميس بالشفقة على علي بعد أن سمعت الشرطي يهمس في أذن والدها في مبنى الهيئة أنهم اكتشفوا أن الفتى الذي كان معها من الرافضة، وأن عقابه سوف يكون أقسى بكثير من عقابها هي. لأول مرة تجد في الرياض اضطهاداً لفئة من المواطنين أكثر من اضطهادهم لأهل الحجاز!

انقطعت علاقة لميس بعلي منذ ذلك اليوم، كما انقطعت علاقتها بأخته فاطمة، التي استمرت تجحدها بنظرات حارقة كلما التقت عيناهما، كأنها تحمّلها مسؤولية ما حدث. مسكين علي. لقد كان شاباً لطيفاً، وبصراحة، لو لم يكن شيعياً، لكانت أحبته!

(٢٤)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 23/7/2004
Subject: فراس: الرجل شبه الكامل!

للنساء غرائز تحبب إليهن القسوة، وقد فعلنا نحن الرجال كثيراً لتحريرهن، فأبين إلا أن يكنّ لنا عبيداً، وإلا أن نكون لهن أسياداً.

أوسكار وايلد

لقد مللت من الردود التي تتنبأ بشخصيتي بعد كل إيميل! هل هذا حقاً ما يهمكم بعد كل ما كتبت؟ أن أكون قمرة أو ميشيل أو سديم أو لميس؟ لَك كبروا عقلاتكون شوي!

* * *

قالت سديم لقمرة بحماس:

- ما كنت عارفة إن الشوبنغ للبيبي ممتع كذا! يا لبّي سلّم (يا ربي سلّم)! حاجاتهم مرة كيوت! بس لو الله يهديك وترضين تشوفين بالسونار البيبي ولد ولا بنت كان عرفنا وش نشتري له من ملابس!

مع انشغال أختي قمرة الأكبر منها ـ نفلة وحصة ـ بزوجيهما وأبنائهما، وانشغال أختها شهلاء طالبة الثانوية العامة بدراستها وامتحاناتها، اقترحت سديم على قمرة أن تذهب معها لشراء مستلزمات الوليد المنتظر، وفي بعض الأيام عندما تشتد على والدة أم قمرة آلام الروماتيزم، كانت سديم تصطحب صديقتها بدلاً منها لمراجعة طبيبة النساء والولادة لمتابعة تطورات الحمل.

- لاحقين، بعدين ما تفرق. خلينا نشتري الأشياء الأساسية والباقي بعد الولادة.

- يا برودك ياختي! أنا لو منك كان ما قدرت أصبر إلى أن يقولون لي! وانتِ تجيك الدكتورة إلى حد عندك وتقولين لها ما أبغى أشوف!

- يا سديم أنتِ مانتِ فاهمة. أنا ماني متحمسة لهذا البيبي! هذا البيبي بيجيني ويغيّر كل حياتي. بعده مين بيرضى يتزوجني؟ خلاص يعني؟ باعيش باقي حياتي مرتبطة بهالولد اللي أبوه ما يبيه ولا يبي أمه؟! يروح راشد يعيش حياته حر ومن غير قيود ويحب ويتزوج ويسوي كل اللي يبغاه وأنا أعيش في هم ونكد باقي عمري!! ما أبغى هالبيبي يا سديم! ما أبغاه!

تنخرط قمرة في بكاء يائس داخل السيارة وهما في طريقهما إلى منزل قمرة، وتعجز سديم عن إيجاد الكلمات المقنعة لمواساتها. لو أن قمرة عادت للدراسة معها في الجامعة! لكنها أصرت على كسلها. جسمها الذي كان يضرب به المثل في النحول حتى كان الجميع يسميها «أم العصاقيل» أصبح مكتنزاً بالشحوم من كثرة الخمول وقلة الحركة! لا بد من أنها تعاني من الملل وهي حبيسة المنزل. حتى أختها شهلاء التي تصغرها كانت أكثر حرية منها بحكم أنها «ليست مطلقة»، وموضي ابنة

عمتها الآتية من القصيم للسكن معهم بعد أن التحقت بكلية في الرياض لا تكف عن مضايقتها بانتقاداتها لنمص الحواجب وعباءة الكتف التي ترتديها قمرة عوضاً عن عباءات الرأس الساترة. أما أكبر أخوتها الذكور، محمد وأحمد فكل منهما مشغول بأصدقائه ومغامراته مع الفتيات اللواتي «يرقمهن» كل يوم. لم يتبق لها من يؤنسها سوى نايف ونواف اللذين لم يتعديا سن العاشرة والثانية عشرة.

ماذا تقول سديم لقمرة وكيف تسرّي عنها؟ ليس هناك أسوأ ممن يدعي مواساة حزين وجداول السعادة تترقرق في عينيه! لو أنها تستطيع تصنُّع التعاسة على الأقل! ولكن كيف تستطيع ذلك ومعها فراس؟!

لقد استجاب الله دعاءها وأهداها فراس من عنده. كم تضرعت لله بعد انفصالها عن وليد حتى يعيده إليها! بعد أن تعرفت إلى فراس صارت حرارة دعائها تخفت تدريجياً، حتى تحول الدعاء من رغبة في عودة وليد إلى دعاء لتقرب فراس. لم يكن فراس رجلاً عادياً! كان مخلوقاً رائعاً يستحق منها أن تشكر الله عليه ليلاً ونهاراً.

ما الذي ينقصه؟ لا بد من أن شيئاً ما ينقصه، أو أن ثمة أمراً يُعيبه! لا يمكن لبشر أن يكتمل إلى هذا الحد! فالكامل وجه الله. لكنها عاجزة عن إدراك هذا النقص، واكتشاف هذا العيب.

الدكتور فراس الشرقاوي؛ صاحب المركز المرموق ومستشار علية القوم، الدبلوماسي المثقف، صاحب العلاقات الاجتماعية المميزة. الشخصية القوية التي تقود ولا تقاد، تحكم ولا تُحكَم، العقلية الفذة التي تثمر يومياً عن قرارات مدروسة، تُثبت بسرعة نجاحها وحكمة صاحبها.

سرعان ما ذاع صيت فراس بعد عودته من لندن، وصارت صوره تتصدر صفحات الصحف والمجلات، بصفته مستشاراً في الديوان

الملكي. كانت سديمْ تشتري نسختين من كل صحيفة أو مجلة تحوي لقاءً معه أو خبراً أو صورة؛ نسخة لتحتفظ بها، والأخرى من أجله، فمشاغله اليومية تمنعه من متابعة أخباره على الصحف والمجلات، وأهله كما استشفت منه ليسوا بحريصين كثيراً على قراءة الجرائد وتتبع أخباره فيها، فأبوه «الشايب»، كما يسميه، رجل طاعن في السن يعاني الكثير من المشاكل الصحية، وأمه ربة منزل لا تحسن القراءة ولا الكتابة، وأخواته آخر همهن السياسة وأعلامها.

رفعت ظروفه العائلية من قَدْره في عينيها، هذا هو الرجل المكافح الذي صنع كل شيء من لا شيء وسيصل يوماً بجهده وحده إلى أعلى المناصب. كانت حريصة على أن تقرأ له كل ما يُكتب عنه، وصنعت له سراً دفتراً مليئاً بقصاصات عنه، لتهديه إياه في يوم زفافهما.

لم تتسرع في تفكيرها وتخطيطها، حتى نحن صديقاتها لم نعتقد أنها تسرعت في ذلك. بدا الأمر محتوماً بالنسبة للجميع؛ لها ولنا وله. كانت تلميحاته واضحة لا غبار عليها، ومع أنه لم يذكر الزواج صريحاً، إلا أن الفكرة كانت تدور في باله منذ يوم عُمْرَته.

من داخل الحرم اتصل بها، كان في رحلة رسمية لأداء العمرة مع بعض الشخصيات المهمة، سألها عما تود منه الدعاء لها به.

- ادعُ لي إن الله ينوّلني اللي بقلبي، وأنت عارف «اللي بقلبي»!

أخبرها بعد أيام أن اعترافها الخجول ذلك اليوم أغرق قلبه في بحر من اللذة التي لم يشعر بمثلها من قبل. بعد جرأتها معه تجرأ هو في أفكاره وبدأ يبحر بخياله منذ ذلك اليوم نحو الارتباط بها. كشف لها عن إحساسه بانجرافه الشديد نحوها، وهو الرجل الرصين الذي يحسب لكل خطوة من خطواته ألف حساب، وصار لا يخفي غيرته عليها وحرصه

على معرفة كل ما يدور في حياتها. أقر لها بأنها الوحيدة التي استطاعت أن تتسرب إلى حياته وتعبث بجدوله اليومي الدقيق وتحرضه من دون جهد منها على السهر وإهمال أعماله وتأجيل مواعيده في سبيل قضاء أكبر وقت معها على الهاتف!

كان الغريب في فراس التزامه بالدين على الرغم من قضائه ما يزيد عن عشر سنوات في الخارج، فهو لم يبد متأثراً بالتحرر الغربي أو متأففاً من أوضاع البلد كغيره ممن يقضي بضع سنوات في الخارج فيصبح كارهاً لكل شيء في بلاده، حتى مع كونه من أشد المعجبين به والمدافعين عن سياسته قبل السفر!

لم تتبرم بمحاولاته للتأثير عليها، بل على العكس، وجدت في نفسها ميلاً قوياً واستعداداً لتقبل جميع أفكاره واعتناقها، خاصة أنه لم يكن صريحاً في محاولاته، وهذا ما أعجبها! مجرد تأخير لمكالمة ما قبل النوم حتى تتوافق وموعد صلاة الفجر، وتلميح بريء حول الحجاب كذلك الذي قام به وهما على متن الطائرة، وتحذير غيور من مضايقات الشبان الذين يلاحقون الفتيات الكاشفات أوجههن في الأسواق. هكذا وبالتدريج، جهدت سديم في سبيل الاقتراب من الكمال حتى يحق لها الارتباط بفراس، الأقرب منها بكثير إلى الكمال!

لم يُشعرها فراس يوماً بأنها بحاجة لبذل الجهد في سبيل الوصول إليه. كان هو الأحرص على الاتصال بها والقرب منها. كان لا يسافر إلا بعد أن يطلعها على جهة سفره وموعده ويملي عليها عناوين وأرقاماً يمكنها الاتصال به عليها إن تعذر عليه هو الاتصال لطمأنتها. كان الهاتف هو المتنفس الوحيد تقريباً للحب الذي جمع سديم بفراس، مثل كثير من الأحباء في بلدهما. لذلك أسلاك الهاتف في هذه البلاد كانت

قد اتسعت أكثر من غيرها في البلدان الأخرى لتتحمل كل ما يسري فيها من قصص العشاق وتنهداتهم وتأوهاتهم وقبلاتهم التي لا يمكنهم «أو هم لا يريدون، نظراً للتعاليم الدينية والتقاليد الاجتماعية» استراقها على أرض الواقع.

شيء وحيد كان ينغص على سديم هناءها وسعادتها: علاقتها السابقة بوليد.

سألها فراس عن ماضيها في بداية علاقتهما فانطلقت تخبره كل شيء عن وليد، كبوة ماضيها الوحيدة التي تخفي جراحها عن الجميع. استزادها وتعمق في التفاصيل لكنه بعد الشرح بدا متفهماً وحنوناً، إلا أن ما أربكها هو طلبه ألا تحدثه عن هذا الموضوع مرة أخرى! هل أزعجه الحديث عن ماضيها إلى هذه الدرجة؟ مع أنها كانت تود لو يقلب صفحات قلبها بنفسه كل ليلة حتى يتأكد من خلوه من كل شيء سواه. ودت لو شاركته كل ما في نفسها، لكنه كان صارماً في قراره كالعادة، فصار وليد الشيء الوحيد الذي لا يمكن لها مناقشته مع نفسها: فراس!

- طيب وأنت يا فراس؟ ما كانت لك تجارب سابقة؟

لم يكن سؤالاً بغرض التحقيق أو التنقيب عن جرح في قلبه يقابل جرحها ويساويه بها. كان حبها لفراس أكبر من أن يتأثر بماض أو حاضر أو مستقبل، وكانت ستظل الأبعد بينهما دائماً عن الكمال! كانت مجرد محاولة فضولية ساذجة للعثور على خدش في ركبة فراس يثبت لها أنه بشر مثلها!

- لا تسأليني هذا السؤال مرة ثانية إن كنت حريصة علي.

ومَنْ أحرص منها عليه؟ لا كان سؤالاً ولا كانت هي، وليذهب الفضول إلى الجحيم!

(٢٥)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 30/7/2004
Subject: ولادة متعسرة لابن المتعسر

حدثنا يحيى بن بكير: حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب: أخبرني أبو سلمة قال: قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله: يسب بنو آدم الدهر، وأنا الدهر، بيدي الليل والنهار».

صحيح البخاري: ٦١٨١

أنا أدعو للرذيلة والانحلال! أنا أشجع الفساد وأتمنى أن أرى الفاحشة تعم في مجتمعنا المثالي! أنا أريد استغلال المشاعر المقدسة في غير غرضها الشريف! أنا!

سامح الله الجميع، وأزال عن أعينهم الغمة السوداء التي تجعلهم يفسرون كل ما أقول على أنه فسق ومجون. لا أملك سوى الدعاء لهؤلاء بأن يُنير الله بصائرهم ليسعهم رؤية بعض مما يدور حولهم على حقيقته، ويهديهم إلى سبل الحوار الراقي من دون تكفير أو تحقير أو استهزاء.

استغرقت ولادة قمرة تسع مناوبات بين أمها وأخواتها الثلاث وسديم. لم تكن الولادة متعسرة، لكنها بكر والبكر كما تقول أمها تلد بصعوبة أكثر ممن سبق لها الولادة من قبل.

قضت أم قمرة الساعات السبع الأخيرة من الولادة في غرفة الولادة مع ابنتها، لتعمل على تهدئتها والتخفيف عنها. كانت قمرة تصرخ مع كل طلقة:

- الله ياخذك يا راشد!
- يا رب يصير فيك هاللي فيني وأكثر!
- ما أبغى ولده ما أبيه! خلوه جوا ما أبغى أولد!
- يمه نادي راشد... يمه قولي له يجي... يمه حرام عليه ليش يسوي فيني كذا... والله ما سويت له شي... والله تعبت! ماني قادرة أستحمل!

وتشهق بالبكاء بمرارة بصوت يخفت تدريجياً كلما ازداد دوارها مع تسارع الطلق واشتداد الألم.

- أبغى أموت وأرتاح. خلاص ما أبغى أولد! ليه كذا يصير فيني؟ ليه يمه ليه؟!

بعد ست وثلاثين ساعة من المخاض، سُمِع بكاء طفل حديث الولادة في غرفة قمرة. تقافزت شهلاء وسديم فرحاً خارج الغرفة وهما بانتظار معرفة جنس المولود الذي أخبرتهم الممرضة الهندية بعد دقائق أنه صبي.

رفضت قمرة حمل وليدها بعد أن لمحته ملطخاً بالدماء ومستطيل الرأس ومجعد البشرة بشكل مخيف! ضحكت الأم منها وأخذته بعد أن

قامت الممرضة بتنظيفه وهي تسمي عليه وتذكر الله: «قمر يا بنيتي! ما شاء الله! طالع على أميمته!».

سألت سديم صديقتها بعد ساعات وهي تتأمل بحنان بالغ ذلك الصغير مغمض العينين بين يديها، وتبحث عن أصابعه الناعمة لتقبض على سبابتها برقة.

- وش قررتي تسمينه؟
- صالح.
- صالح على مين؟
- أبو راشد.

كان راشد لا يزال في أميركا عند ولادة قمرة، ورغم أن والدته قد قامت بزيارتها في المستشفى وبعد عودتها إلى منزل أهلها عدة مرات، ووالده أيضاً قد عادها مرتين وفرح كثيراً بتسمية الطفل على اسمه، إلا أن قلب قمرة حدثها أن هذه الزيارات من أهله والهدايا والنقود هي أقصى ما سيمنحها إياه راشد هي وابنهما.

في فصل الصيف، قررت الأم أن تسري عن ابنتها التي شاخت قبل أوانها، فسافرت وإياها وبقية العائلة لمدة شهر إلى لبنان، تاركين الطفل الرضيع عند خالته نفلة.

في لبنان، خضعت قمرة لبرنامج «سمكرة» معتبرَة! بداية بعملية تجميل للأنف، وصولاً إلى جلسات تقشير البشرة وتنظيفها والعناية بها، مروراً بنظام الريجيم القاسي والتمارين الرياضية تحت إشراف اختصاصيي رشاقة، وانتهاءً بصبغ الشعر وقصه على أيدي أمهر المزينين في لبنان.

عادت قمرة إلى الرياض وهي أجمل بقليل من ذي قبل، إلا أن الفرق بدا واضحاً للذين لم يروها منذ زمن. أما من شاهدوها قبل أن تتمكن من نزع غطاء الجرح عن أنفها كموضي، فأخبرتهم أن أنفها قد كُسر في حادث تعرضت له في لبنان، واستلزم الأمر تدخلاً جراحياً، لكنها لم تجر عملية تجميل بعده كما عرض عليها الطبيب، لأنها تؤمن كما يؤمنَ الجميع بأن عمليات التجميل حرام.

(٢٦)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 6/8/2004
Subject: عالم التشات؛ عالم آخر!

ولِلَّهِ غيْبُ السَّماوات والأرْضِ وإليْهِ يُرْجَعُ الأمرُ كُلُّهُ فاعْبُدْهُ وتوكَّلْ عليْهِ وما ربُّكَ بِغافِلٍ عمَّا تعْمَلُون.

سورة هود: ١٢٣

تملأني النشوة وأنا أستمع للحديث الدائر عني في كل مجلس أكون فيه! أحب دائماً أن أشارك الحضور في حديثهم وأعطي توقعاتي مثلهم، وفي منزلنا أطبع الإيميل الذي أرسله كل جمعة لكم وأقرأه على أهل البيت مثلما تفعل جميع البنات! أشعر في تلك اللحظات بلذة توازي لذة التمدد تحت غطاء سرير ناعم بعد عناء يوم شتوي شاق، أو لذة من يدير المذياع في لحظة ملل ليفاجأ بأن أغنيته المفضلة تذاع من بدايتها!

* * *

بدأت علاقة لميس بالإنترنت مذ كانت في الخامسة عشرة من عمرها، عندما بدأ والدها باستخدام الإنترنت عن طريق البحرين، ثم مع

دخول الإنترنت السعودية وهي في السابعة عشرة بدأت تتعرف إلى ذلك العالم المثير عن قرب. كانت في الصف الثالث الثانوي عندما قام والدها بالاشتراك بخدمة الإنترنت، فظلت علاقتها بالإنترنت محدودة بحكم خوفها على معدلها في تلك السنة المصيرية، أما بعد التخرج فصارت تقضي ما لا يقل عن أربع ساعات يومياً على الإنترنت، ٩٩٪ منها على برامج المحادثة المختلفة «التشات» من «ياهو»، و«مايكروسوفت»، و«آي سي كيو»، و«أم آي آر سي»، و«أي أو أل».

كانت لميس تشتهر بسرعة بين أعضاء التشات بخفة دمها وشقاوتها، وحتى مع حرصها على تغيير لقبها في التشات باستمرار إلا أن الكثيرين كانوا يكتشفون أن «السوسة» هي نفسها «عفريتة» و«معسل» هي «دلوعة بابا» و «فرخة الجمعية» هي «بلاك بيرل»!

كانت تضحك من شكوك جميع الشبان الذي تحادثهم والذين لايصدقون كونها بنتاً!

- يا بو شنب اخلص علينا والله مانت بنية.
- ليه طيب؟
- ياخي البنات ماصلات ودمهم ثقيل وأنت بصراحة محشش!
- يعني لازم أسوي نفسي تقيلة دم عشان تصدق أني ماني ولد؟
- لا أنا عندي لك حل! إن كنت فعلاً بنت، سمعنا صوتك.
- هههههه... لا يا شيخ؟ كان غيرك أشطر! العب غيرها.
- تكفين بس عطيني ألو، وإذا ما ودك بالتليفون خليها في المايك، بس عشان تثبتين لي أنك بنت مانتِ بولد.

- عنك ما صدقت يا حبيبي!
- أخخخخخخ. عورني قلبي على هالكلمة! لا خلاص، صدقت أنك بنت! كلمة حبيبي طالعة من بُقك زي العسل!
- ههههههه... لا خلاص خليني أبو شنب أحسن من العسل وبلاويه!
- لا لا لا. أنا أشهد أنك أحلى شنبة «واحد ما هو عارف وش يختار ولد ولا بنت! محتااااااار».
- أحسن!
- طيب باسألك سؤال بيخليني أعرف إن كنت بنت ولاّ ولد.
- اسأل يا عملي الأسود في حياتي.
- رُكَبك سود والاّ بيض؟؟؟
- هههههههههه... حلوة! طيب أنا كمان باسألك سؤال أعرف منو إذا كنت بنت ولاّ ولد.
- اسألي يا بعد عمري!
- أظافر رجولك سودا والا بيضا؟؟؟
- هههههههههه... قوية! وش دراكِ؟ عاد هاذي ماركتنا المسجلة!
- شفت كيف؟! قال ركب سودة قال! روحوا يا حبايبي شوفوا البلاوي اللي فيكو بعدين تعالوا تكلموا!

حصلت لميس من خلال التشات على عدد هائل من أرقام هواتف الشبان الذين عجزوا عن أن يحصلوا منها على أكثر من كلمات مكتوبة على شاشة. صرح لها المئات بإعجابهم بشخصيتها، والعشرات بحبهم

لها، لكنها ظلت على قناعتها: التشات مجرد وسيلة للضحك والتسلية و«الاستهبال» على الشبان في مجتمع لا يسمح بذلك في أي مكان آخر.

تعرفت قمرة إلى التشات من خلال لميس. كانت لميس في بداية الأمر تدعوها للدخول معها أثناء الساعات التي تقضيها على النت لتعرفها بأصدقائها أون لاين، وشيئاً فشيئاً أدمنت قمرة التشات وصارت تصل الليل بالنهار وهي تحادث هذا الشاب أو ذاك أو ذاك أو ذاك!

منذ البداية، أوضحت لميس لقمرة حقائق التشات وخفاياه. أخبرتها عن حيل الشباب المعروفة وألاعيبهم المكشوفة التي قد تنطلي على حديثة عهد بالإنترنت مثل قمرة، حتى أنها قرأت لها بعضاً من الأحاديث القديمة لها مع أصدقائها على الإنترنت التي تختزن أوتوماتيكياً على جهاز الكمبيوتر في بعض برامج المحادثة.

- «شوفي يا قمورة، كل الشباب ستايلهم واحد لكن بينهم اختلافات بسيطة. مثلاً اللي يجي من الرياض غير عن اللي من الشرقية غير عن اللي من الغربية وكدا. خليني أكلمك عن ستايل شباب الرياض بما إنهم يور مين إنترست:

أول حاجة حيقول لك: ممكن أعرف اسمك؟ انتي طبعاً ما تديلو اسمك الحقيقي، إما تديه أي اسم يعجبك أو تقولي لو سوري ما أبغى أقول اسمي. أنا عن نفسي أشتري دماغي وأقول أي اسم، بس انتبهي كل واحد أديتيه أي اسم! أنصحك تعملي زيي، تسجليهم في دفتر علشان ما تتلخبطي، أو تختاري اسم واحد ثابت، بس كده أنا أحسو زهق!

بعد الاسم بكم يوم حيقول لك أنا معجب بشخصيتك وما عمري

شفت زيك، ممكن نتكلم بالتليفون؟ حيطفشك ويزن عليكِ وما حتوافقي طبعاً بس برضو حيدّيكي رقمو! بعد كم يوم حيطلب صورتك علشان يبعت لك صورتو، بس في الأخير حيمل ويبعتها من غير ما تبعتي لو حاجة.

ساعتها يا ستي حتشوفي واحد من اتنين! إما واحد جالس ورا مكتب وماسك قلم ووراه علم السعودية، أو واحد عامل فيها بَدَوي وجالس جلسة عربية على الأرض ومتلتم وواحدة من ركبتيه مرفوعة ومسند دراعو عليها، وما ناقصو غير صقر على كتفو ويطلع في برنامج مضارب البادية!

بعدين حيقول لك إنو حب واحدة قبل سنتين وتزوجت. كانت تموت في دباديبو بس جالَها عريس كويس وما قدرت تقول لأهلها لأ، وهو يا حبة عين أمو كان لسه صغير وما يقدر يفتح بيت فاضطر يضحي بسعادتو علشان سعادتها، وقال لها يا بنت الحلال لا تربطي نفسك بيا وشوفي مستقبلك ونصيبك والله يوفقك!

بعد الاعترافات راح يبدا يترك لك مسجات أون لاين؛ أغنية رومانسية والاّ قصيدة والا عنوان موقع شاعري حلو على الإنترنت، وكمان كم يوم حيعترف لك بحبه. راح يقول لك أنا كنت أدوّر على بنت متلك من زمان وأبغى أخطبك بس احنا لازم نعرف بعض أكتر ونتكلم على التليفون «وفي بالو إنو راح يطلع معاكِ بس ما راح يصرح لك بكده وكفاية التليفونات في البداية عشان ما يخوفك»!

بعدين شويه شويه حتبدا مرحلة تقالة الدم، واستلمي: ليش مطنشتني؟ ليش ما بتردي على مسجاتي بسرعة؟ لا تكوني تكلمي واحد تاني؟ ما أبغاكي تكلمي واحد غيري. باغير عليكي. إذا جيتي مرة تانية

وما لقيتيني لا تظلي أون لاين، ومن هادا الكلام اللي يسم البدن ويخليكي تديلو بلوك والاّ اقنور على وشّو زي الحلاوة علشان يبطل يعمل نفسو طرزان عليكي مرة تانية، وتروحي تشوفي غيرو.

أهم حاجة يا قمورة إنك ما تثقي بأحد ولا تصدقي أي واحد. حطي في بالك إنو مجرد لعب وإنو كل هدول الشباب نصابين ويبغوا يضحكوا على البنات الهُبل...».

لم يكن أسلوب قمرة في التشات بجمال أسلوب لميس، ولذلك فإن من تحمسوا لها بعد معرفتهم أنها صديقة لميس سرعان ما انفضّوا من حولها بعد أن اكتشفوا أنها ليست بخفة دم صديقتها وسرعة بديهتها.

بدأت قمرة تكوين صداقات جديدة بنفسها، تعرفت إلى أناس من بلدان مختلفة، وأعمار متفاوتة. ومثل لميس، لم تتعرف إلى أي من الفتيات. كان كل من على لوائحها للأصدقاء من الجنس الآخر.

في إحدى الأمسيات المملة تعرفت إلى سلطان؛ شاب بسيط ولبق في الخامسة والعشرين من عمره، يعمل بائعاً في أحد محلات الملبوسات الرجالية. كان حديثه ممتعاً وكان يقرأ ما تكتبه له باهتمام، ويضحك لنكاتها بمرح ويكتب لها الكثير من أبيات الشعر النبطي التي ينظمها بنفسه.

مع مرور الأيام، صارت تكتفي هي من الأصدقاء بسلطان وصار هو يكتفي من الصديقات بها، كان يدعوها بلقبها على الإنترنت: شموخ.

حدثها كثيراً عن نفسه، وبدا لها صريحاً وصادقاً وخلوقاً، إلا أنها لم تستطع أن تعترف له بشيء عنها، فاكتفت باسم شموخ، وكذبة صغيرة مفادها أنها طالبة في أحد الأقسام العلمية بالجامعة.

في تلك الأثناء، كانت لميس قد تعرفت عبر الإنترنت أيضاً إلى أحمد؛ طالب الطب في جامعتها. وكان كلاهما في السنة الثالثة. صار أحمد يضع لها نسخاً من الملخصات المهمة في إحدى المطابع لتستلمها من هناك في ما بعد، وكانت هي ترسل له رسائل إلكترونية تحمل أهم النقاط التي قام الدكتور بالتركيز عليها قبل الامتحان، فقد كان الدكاترة يتساهلون مع الطالبات أكثر من تساهلهم مع الطلاب، والعكس صحيح، ولذلك فقد كان الشاطر مَن تصله أخبار الدكاترة من البنات، والشاطرة مَن تصلها أخبار الدكتورات من الأولاد!

لأسباب مهنية بحتة مثل اقتراب موعد الامتحانات وتقلص ساعات الجلوس أمام شاشات الكمبيوتر وازدياد الحاجة لردود سريعة تتعلق بسؤال في أحد الامتحانات أو ملاحظة خاصة بأسلوب أحد الأساتذة في الاختبارات الشفوية، انتقلت العلاقة بين أحمد ولميس من شاشة الكمبيوتر إلى سماعة الهاتف الجوال.

(٢٧)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 13/8/2004
Subject: سلطان الإنترنتي

إذا ما كنتش قد الحب ما تحبش!

محمود المليجي

لم يعد يمر أسبوع من دون أن أقرأ موضوعاً يتناولني في جريدة أو مجلة أو منتدى على الإنترنت. فوجئت عند وقوفي في صف المحاسبة في السيفواي بمجلة شهيرة معروضة وقد كتب على غلافها: «آراء المشاهير في القضية الأكثر سخونة حالياً في الشارع السعودي». لم أشك طبعاً بكوني تلك القضية الساخنة. ابتعت المجلة بهدوء وتصفحتها في السيارة وأنا أكاد أطير من الفرح! أربع صفحات مليئة بصور كتّاب وصحافيين وسياسيين وممثلين ومطربين ورياضيين يدلون بدلوهم في قضية الإيميلات ذات المصدر المجهول والتي تشغل الشارع السعودي منذ أشهر!

قرأت بضعة أسطر من حديث الأدباء فلم أفهم شيئاً. قالوا إنني

أنتمي للمدرسة الانطباعية التعبيرية السريالية الميتافيزيقية، وعلى الرغم من التناقض بين الانطباعية التأثيرية والتعبيرية إلا أن صاحب الرأي يصر على أنني أول من جمع بين الاثنتين! لو يدري أنني لا أعرف معنى أي منهما حتى أجمع بينهما! انتقلت لأسطر اللاعبين والممثلين وقرأت مديحاً يُثلج الصدر، إيه! هذا الكلام! ما لنا والسرياليّة الميتافيزيقية التأثيرية الحنطفيسية!!

* * *

- سديم، تتوقعين أن في أمل راشد يحن على ولده ويجي يشوفه في يوم من الأيام؟ تدرين أن أبو راشد جاب لصالح «سماوة» عشاني سميته على اسمه، وراشد ولا هو هنا؟!
- ما عليكِ منه. هماه يرسل فلوس مع أمه والاّ أبوه؟ خلاص هو بقريح! وش تبين به بعد كل اللي سواه؟ من عافنا عفناه يا قمور لو كان غالي!

تتأمل قمرة بعد انتهاء مكالمتها لسديم ألبوم صور زواجها من راشد. تلاحظ عبوسه في جميع الصور بينما تبدو السعادة والانشراح على محياها.

استوقفتها صورة لها وسط أخوات راشد؛ ليلى المتزوجة أم لطفلين، وغادة في مثل سنها، وإيمان في الخامسة عشرة. توقفت لدقائق أمام هذه الصورة وهي تفكر، وبعد أن توصلت إلى قرارها انطلقت بسرعة نحو جهاز الكمبيوتر، وقامت بإدخال الصورة إلى الماسحة الضوئية «السكانر»، وفي خلال ثوان ظهرت الصورة على شاشة الكمبيوتر أمامها. وببعض الخطوات البسيطة، أخفت صورتها هي وليلى وإيمان، وأبقت على صورة غادة فقط.

في المساء، عندما التقت بسلطان على الماسنجر ككل ليلة، أقنعته بأنها قد وافقت أخيراً على إرسال صورتها له، مقابل صوره الكثيرة التي أرسلها إليها.

أرسلت له صورة غادة وهي ترتجف. أخبرته مقدماً أن الصورة قد التقطت لها وصديقاتها في عرس إحدى الصديقات، وقد أخفت صورهن جميعاً أمانة منها. بعد أن انتهى من تحميل الصورة على جهازه، وبعدما عبر لها عن مدى دهشته وإعجابه بجمالها الذي لم يكن يتصوره، ألقت إليه بتتمة الكذبة؛ أخبرته أن اسمها الحقيقي هو غادة صالح التنبل!

***

تتصل حصة بأختها الكبرى نفلة لاستشارتها في مشاكلها الدائمة مع زوجها خالد:

- تخيلي ياختي إنه صار يعيرني بقمرة! ما غير يقول لي وش سوت الداشرة ووش ما سوت!! كله عشان سمع من أخواني إنهم ركبوا لها نت في البيت!
- ما يستحي على وجهه يقول ذا الكلام! بس وراه ما علمتي أمي من أول؟
- علمتها بس تدرين وش قالت لي؟ قالت زوجك ما عليه من قمرة! البنت ما عندها شي تفرح بوه وكفاية حبستها بهالبيت ليل ونهار. على الأقل مقابل هالكمبيوتر أهون من الدوران في الشوارع بأنصاف الليالي!
- أمي مكسور خاطرها على قمرة ليش إنها تطلقت.

ـ ويعني ما دام قمرة تطلقت تبيني أنا بعد ألحقها وأتطلق؟؟ رَجلي يبيها من الله! والله إن سمع عنها شي تسذا ولا تسذا لَيرمينن أنا وعيالي في الشارع!

ـ ما يخسى إلا هو! وشو ما عندتس بيت أهل تقعدين بوه؟

ـ من زين قعدة بيت الأهل الحين! أنا والله كل ما شفت حالة قمرة وهالعيشة اللي عايشتها حمدت ربي على هالبلا اللي عندي، على قولة المثل: اقضب قريدك لا يجيك اللي أقرد منه! يالله، الحمد لله والشكر على كل حال.

***

منذ أن أرسلت له صورة غادة أخت راشد (أو صورتها) وسلطان يكاد لا يفارق النت! ألح عليها كثيراً حتى تقبل بمحادثته هاتفياً إلا أنها أصرت على الرفض لأنها ليست من «ذلك النوع» من الفتيات. كانت كلما ازدادت رفضاً، ازداد سلطان تعلقاً بها وتمجيداً لأخلاقها.

في الحقيقة، كانت قمرة قد فكرت ملياً في مسألة المكالمات هذه وقررت أنها لا تستطيع القيام بها لسببين: أولهما أن هاتفها الجوال باسم والدها، وهكذا فإن بإمكان سلطان اكتشاف كذبتها ومعرفة أنها ليست صاحبة الاسم الذي تدعيه؛ وثانيهما أنها لم تتحمس يوماً لفكِرة محادثة شاب غريب هاتفياً، وإن كانت تشعر بقرب سلطان منها وتحس بصدقه والتزامه، إلا أن شيئاً ما بداخلها ظل رافضاً للفكرة ومستهجناً إياها..

بعد ليالٍ طويلة من السهاد، ودموع كثيرة ذرفتها ندماً على فعلتها غير المبررة باستغلال صورة غادة للانتقام من راشد، وبعدما حدثتها والدتها عن مشاكل حصة مع زوجها بسبب إدمانها هي على الإنترنت،

اتخذت قمرة قرارها الصعب بالانسحاب من عالم التشات السحري والبعد عن طريق سلطان الطيب الذي لا يستحق هذا العبث منها، خاصة بعد أن بدأ يحدثها عن رغبته بالاقتران بها. اختفت قمرة بلا مقدمات وانقطعت أخبارها ورسائلها عن سلطان الذي ظل يكتب لها إيميلات الشوق والحب والاستعطاف لشهور طويلة من دون أن ترد عليه يوماً.

(٢٨)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 20/8/2004
Subject: هل أحبها ماتي وهل أحبته؟

عندما تبرد المحبة في قلب المرأة، لا تعود كل أجواخ العالم تُدفئها.
نيلسون

نصحني القارئ إبراهيم بأن أصنع لنفسي ـ أو أن يصنع هو لي ـ موقعاً على الإنترنت أنشر فيه رسائلي، منذ الرسالة الأولى وحتى الأخيرة، حماية لها من السرقة والضياع، وحتى أضمن المزيد من القراء لرسائلي حيث سيتم وضع إعلانات وروابط وأشياء أخرى في الموقع كتب لي عنها بإسهاب.

أشكرك يا أخي على حرصك وتعاونك، ولكنني لا أفهم في تصميم المواقع أكثر مما أفهم في طبخ البامية، ولا يمكنني أن أحملك يا إبراهيم عبئاً كهذا قد تحقد علي بعده، ولذلك فإني سأظل على أسلوبي العتيق في إرسال الإيميلات الأسبوعية بانتظار عرض أفضل؛ كعمود أسبوعي

في صحيفة أو برنامج إذاعي أو تلفزيوني أو أي اقتراح تجود به قرائحكم! «شحّاذة وتتشرط!».

* * *

استطاع ماتي أن يجعل من حياة ميشيل مغامرة ممتعة لا تنقطع، وساعدها معنوياً وعملياً على التأقلم مع نمط معيشتها الجديد. كان يشرح لها ما تستصعبه من دروس، سواء في المادة التي يدرّسها إياها أو في غيرها من المواد، وكان يهتم بمتابعة شؤونها في السكن الجامعي، ويحاول مساعدتها في حل أي مشكلة تواجهها. ورغم استمتاعها بسكنها المستقل وتلذذها بطعم الحرية التي تجربها لأول مرة في حياتها، إلا أنها كانت تقضي في منزل خالها يومياً أكثر مما تقضيه في سكن الجامعة.

بعد تجاوز صعوبة الأشهر الأولى، واعتيادها على الروتين الجامعي اليومي، بدأت تندمج في نشاطات الجامعة وتشرك معها ابن خالها ماثيو «ماتي» الذي كان يُشركها بدوره في نشاطاته الأسبوعية هو ورفاقه.

نظمت الجامعة لها ولزملائها رحلة برية للتخييم في حدائق يوسِمِتي أثناء عطلة نهاية الأسبوع، وانضم ماتي إلى مجموعة المشاركين بصفته رئيس جمعية أصدقاء الطبيعة في الجامعة. هناك، بين أحضان الطبيعة الساحرة التي لم تر ميشيل شيئاً بجمالها من قبل، كان ماتي المرافق المناسب في المكان المناسب. كان يوقظها باكراً حتى تجلس معه فوق الصخور الصغيرة في مكان بعيد ليرقبا شروق الشمس التي تتكسر أشعتها على مياه الشلال المتدفقة أمامهما. كانا يتسابقان لالتقاط أجمل الصور لتلك المناظر الخلابة. تثير غيرته بصورة التقطتها لقبلة بين سنجابين

حبيبين، فيرد عليها بعد قليل بصورة لغزال يسد برأسه قرص الشمس، فتبدو أشعتها كأنها قرون عظيمة تمتد على مرمى النظر.

اصطحبها معه في إحدى اللونق ويك إندز إلى نابا فالي التي دعاه إليها ويليام مونداڤي؛ حفيد عائلة مونداڤي أصحاب أشهر مصانع الخمور في العالم، وأحد أصدقائه المقربين. في مزرعة ويليام أو بيلي كما يناديه الجميع، تذوقت أفضل أنواع المربى الطازجة واللحوم المشوية والمعكرونة المحضرة من قمح المزرعة، إلى جانب أفخر أنواع النبيذ من الشاردونيه والكابرنيه سوفنيو.

كانت هذه أمثلة من عطل نهاية كل أسبوع، أما في العطل الطويلة إلى حد ما والتي لا تسافر فيها إلى السعودية كعطلة عيد الفصح، فقد كان يصطحبها بسيارته إلى لاس فيغاس أو لوس أنجليس. كان خالها يُعَد من أبناء الطبقة الراقية أو ما فوق المتوسطة في سان فرانسيسكو، ولذلك فقد كان ماتي براتبه الشهري من الجامعة ومساعدة والده، إلى جانب ما يرسله لها والدها من مصروف شهري كبير، يرسم لهما معاً خططاً ممتعة لقضاء أي إجازة بشكل غير اعتيادي.

أخذها في لاس فيغاس إلى عرض راقص لفرقة لورد أوف ذا دانس الشهيرة، كما فاجأها بتذكرتين لحضور العرض المائي الباهر «ذي أو شو» للسيرك دو سوليه، أما في لوس أنجليس فقد كانت هي قائدة الرحلة بحكم زيارتها لها من قبل. أخذته إلى الروديو درايف في السنسيت بوليفارد لتمارس أولاً وقبل كل شيء هوايتها في التسوق رغم تذمره، ثم أمضيا السهرة في تدخين الشيشة في جبسي كافيه. أما في اليوم التالي فاستمتعا بالسير في البالم بيتش قبل أن يسهرا في مطعم بيبلوس الذي لاحظت تواجد السعوديين فيه بكثرة بصحبة صديقات

هنديات وإيرانيات. كان السعوديون يشكّون بكونها سعودية بسبب ملامحها ويستغربون وجودها مع شاب أميركي، لكن لكنتها الأميركية المتقنة أثناء حديثها مع ماتي بدّدت شكوكهم وأبعدتهم عن ملاحقتها بنظراتهم التي تتصيد الفتيات الخليجيات.

خلال أيام الأسبوع، كان يأخذها إلى الحي الصيني حيث الدكاكين الصغيرة والمطاعم الصينية التقليدية. كانا في كل مرة يزوران فيها الحي الصيني يتناولان عصير الكوكتيل الممزوج بالتابيوكا التي تجعل الشراب لزجاً بعض الشيء وأشبه بالصمغ.

في فصل الربيع كان يحب اصطحابها لتأمل منظر الغروب من على شاطئ سوساليتو القريب من القولدن قيت. كان يعزف لها أنغاماً ساحرة على غيتاره حتى تنغمس كعكة الشمس في كوب البحر، أما في أيام الشتاء فكان كثيراً ما يصطحبها لشرب الكاكاو الساخن في جيراديللي الذي يطل على سجن الكاتراز الشهير العائم وسط البحر، فيحتسيان شرابهما الساخن وهما يتأملان منارته المضيئة من بعيد والتي تقف دليلاً للسواح والمقيمين على ماضٍ أميركي مثير للاشمئزاز في قسوته وسواده.

كان أكثر ما يعجبها في ماتي احترامه لوجهة نظرها مهما يكن الاختلاف بينهما. هي نفسها كانت تُلاحظ تسلطها في إقناعه بوجهة نظرها في كثير من الأحيان، إلا أنه كان دوماً يشرح لها أن اختلافاتهما لا تعني أكثر من كونها اختلافات في وجهات النظر، وعلى ذلك فليس من المجدي أن يُزعجا نفسيهما بمحاولة تغيير أحدهما الآخر من أجل أن يشبها بعضهما في كل شيء! اعتادت ميشيل في بلادها أن تنسحب من

النقاشات بعد أن يتحول الحوار إلى مشادات كلامية ساخنة وتسفيه للآراء، وكانت تتحاشى التعبير عن آرائها صراحة إلا أمام من «تمون» عليهم كصديقاتها المقربات. كانت تلاحظ أن الرأي العام في بلادها لا يعبر بالضرورة عن الرأي العام الفعلي، لأن الناس كانوا يترددون كثيراً قبل أن يدلوا برأيهم في قضية ما بانتظار أن تتحدث إحدى الشخصيات القوية أو أحد أصحاب الكلمة المسموعة بين الناس ليقوم البقية بتأييده. كان الرأي العام هناك علاقة متعدية تترتب على رأي واحد؛ رأي الأقوى.

هل أحبها ماتي وهل أحبته؟ لا يمكن إنكار أن كل هذا القرب على مدى عامين متواصلين، والاهتمامات المشتركة ساهمت في التقريب بينهما إلى حد كبير، وأنه مرت عليها لحظات تخيلت فيها أنها تحبه بصدق، خاصة بعد أمسية شاعرية على رمال المحيط، أو بعد نجاحها بتفوق في مادة من أصعب المواد بعد استماتة ماتي في تدريسها إياها قبل الامتحان. لكن فيصل ظل مخبئاً في أحافير قلبها؛ سراً دفيناً لا تستطيع البوح به لماتي الذي يعرف عن السعودية أقل مما أعرف أنا عن تصميم المواقع وطبخ البامية مجتمعَين، ولا يمكنه بأي حال من الأحوال تخيل القيود التي أُحكمت بقسوة على حبها لفيصل ومنعته من الارتباط بها.

يظن ماتي الذي ينحدر من بلاد الحرية أن الحب كائن خارق يصنع المعجزات. هي نفسها كانت تعتقد ذلك في بداية صباها، قبل أن تعود من أميركا للعيش في بلادها التي يُعامَل الحب فيها كنكتة خارجة يمكن التندر بها لفترة قبل أن يُمنع تداولها من قبل جهاتٍ عليا.

(٢٩)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 27/8/2004
Subject: فراس غير

متى أحبت المرأة، كان الحب عندها دِيناً، وكان حبيبها موضع التقديس والعبادة.

طاغور

خالد «الشريه» بعث لي دعوة للكتابة في مجلة «الديمن» لصاحبها «ابن السبيت»، وترأس تحريرها الدكتورة شريفة «الهاص».

بما أنني اكتشفت الآن أن الشحاذ قد يحصل على ما يريد عندما يتشرط، فسأنتظر حتى أحصل على عرض بتقديم برنامج تلفزيوني أو إذاعي مثل برنامج إضاءات لتركي الدخيل. ما فيش حد أحسن من حد!

استمروا في تدليلي، فأنا بحاجة إلى دفعة أسبوعية من الدلع والتدليل حتى أستمر، لتستمتعوا بما أرسله لكم كل جمعة. تذكروا أنكم أنتم الرابحون أولاً وأخيراً.

* * *

تضع أم نوير صحن الحلاوة الطحينية «الرَّهَش» وإبريق الشاي أمام سديم، وتصب هذه الأخيرة بيالة لكل منهما، لترشفاها مع قطع الحلاوة الدسمة.

- تصدقين يا خالتي، ما عرفت أن وليد ما يسوى إلا بعد ما تعرفت على فراس.

- عسى بس ما ييي (يجي) اليوم اللي تعرفين فيه أن فراس هَم ما يسوى، بعد ما تتعرفين على اللي وراه!

- فال الله ولا فالك! الله لا يقوله!! أنا ما أبغى من هالدنيا إلا فراس. فراس وبس.

- كنتِ تقولين نفس هالكلام عن وليد، وبيبي يوم واذكرج!

- بس فراس وين ووليد وين يا خالتي أم نوري!

- ويه مالت عليهم اثنينهم! على قولة المصارية: إيش جاب لجاب؟ بين الشبشب والقبقاب!

- مدري وش فيكِ ما تحبين فراس، مع إنه وش ملحه!

- أنا ما أحب كل الرياييل. سليمة صكتهم واحد واحد! نسيتي لما قلت لج إن وليد مو عاجبني وماعجبج كلامي؟

- لا ما نسيت. كنت خبلة وعلى نياتي، والاّ واحد يجي يقول لي في المِلكة إنه راقب كل تليفونات البيت الثابتة والنقالة قبل ما يخطبني، وفحص سجلات المكالمات الصادرة والواردة لمدة ٦ أشهر قبل الخطوبة، وأنا بكل غباء أقول له الحمد لله أني نجحت بالامتحان! لا وفخورة بنفسي بعد! مالت عليّ!

- مدَمّغة! قلت لج يومها هاللي يسوي جذيه مريض بالشك ومعقد بس ما صدقتيني! ذبحتينا أحبه وأحبه! قلت لج باتشر (باكر) يسوي أكثر وما بتخلصين من هالامتحانات، تشنّج (كأنك) داخلة ثانوية عامة مو زواج! وهذا هو، سوّى لج امتحان آخر شي مثل ويهه (وجهه)، ولما ما يبتي (جبتي) النتيجة اللي كان هو يبيها قطج (رمى بك) على صخر!! قطّوه بجهنم الحمرا قولي آمين!

- بس فراس غير يا خالتي، والله عمره ما عرّضني لموقّف مثل كذا ولا عمره سألني أسئلة من طقة أسئلة وليدوه. فراس مخه نظيف وما يشوف كل شي بوساخة مثل وليد!

- بس يا سدوم ما يصير تحسسينه إنه كل شي بحياتج! إنتي صايرة تسوّين له «تبسط كفيها وتؤرجحهما أمامها» يا دهينة لاتنكتين!

- وش أسوي يا خالتي تعودت عليه! صار كل شي بحياتي! أول صوت أسمعه أول ما أقوم الصباح وآخر صوت أسمعه قبل ما أنام، وطول اليوم هو معاي وين ما كنت ووين ما كان. يا خالتي تخيلي إنه يسألني عن امتحاناتي قبل أبوي، ويتذكر البحوث اللي علي أكثر مني، وإن صارت لي مشكلة بدقيقة حلها لي بعلاقاته وواسطاته، وإن احتجت لشي حتى لو بيبسي بنص الليل قام ووصى أحد يجيبه لي. تخيلي إنه مرة من المرات راح بنفسه للصيدلية الساعة أربعة الفجر عشان يجيب لي «أولويز» لأن سواقي كان نايم! راح بنفسه وشراه لي وحط الكيس عند باب بيتنا ومشى! يعني معقول يا خالتي بعد كل هالدلع اللي مدلعني إياه ما تبينه يصير كل حياتي؟ أصلاً أنا وربي ما عدت أذكر كيف كنت عايشة بدونه!

- عَدال يا معوده سويتيه حسين فهمي! إنزين. الله لا يغير عليكم، ويعطيج خيره ويكفيج شره! بس والله إن قلبي مو مرتاح له.
- ليش بس؟ علميني!
- الحين ما دامه يحبج على قولتج عَيَل ليش ليما الحين ما خطبج؟
- هذا اللي محيرني يا خالتي.
- إنتي ما قلتي لي إنه تغير من يوم ما درى إنج كنتي عاقدة على وليد؟
- هو ما تغير بس، يعني. . . حسيت إنه فرق علي شوي. هو ما زال على حنانه ورقته وحرصه علي، لكن كأن في شي بداخله ما صار يطلعه قدامي، يمكن يكون هالشي غيرة! أو قهر أنه ما هو أول إنسان بحياتي مثل ما أنا أول بنت بحياته.
- وإنتي من قاص عليج بَالله وقايل لج إنج أول بنت بحياته؟!
- مجرد إحساس! قلبي يقول لي إني الحب الوحيد بحياته، وحتى لو كان عرف بنات قبلي بحكم سنه وعيشته برا، فأنا متأكدة أنه ما حب واحدة وتعلق فيها ودمج حياته بحياتها مثل ما سوا معي. الواحد ما يحب ويوصل لهالمستوى من العطاء والبذل وهو في هالسن إلا إن كان شايف أن اللي حابها ومتعلق فيها واحدة غير! واحدة من جد تستاهله، لأنه ما عاد صغير، وتفكيره في هالسن ما هو تفكير شاب توه في العشرينات! الرجال في هالسن إذا حب على طول يفكر بالاستقرار والزواج، ما عنده لعب وتعالي نتعرف على بعض ونشوف ومن هالحكي حق العيال، والدليل أنه إلى الآن ما عمره طلب مني أنه يشوفني بعد أيام لندن غير هذيك المرة اللي على طريق الشرقية!

- أنا مادري شلون تجرأتي تخلينه يمر يمكم (جنبكم) بالسيارة وإنتي راكبة مع أبوج! مجنونة! افرضي أن أبوج صادج؟ إش كان سويتي؟!

- أنا ما تجرأت ولا شي، المسألة كلها صارت بالصدفة! كان المفروض أني أسافر الشرقية بالسيارة مع أبوي عشان نحضر عزاء، وفراس كان رايح لأهله يقضي الويك إند معهم وطيارته فاتته فقرر يروح بالسيارة. أبوي طلع من الشغل بدري يومها وقال خلينا نمشي وفراس اللي كان المفروض يمشي من الظهر تأخر للعصر بسبب الشغل! صدفت ساعتها أننا صرنا أنا وهو على الخط، وظلينا على المسجات وكل واحد يقول للثاني كم كيلو باقي له ويوصل، وأنا أحاول أقنعه يبطل يكتب مسجات وهو يسوق! فجأة لقيته يقول لي وش سيارة أبوك؟ قلت له لكزس سماوي، ليه؟ قال أبد بس التفتي يسار بعد خمس ثواني وبتشوفيني! آه يا خالتي... ماقدر أوصف لك شعوري لحظة ما شفته! عمري ما تصورت أني ألقى إنسان أحبه للدرجة هاذي. مع وليد الزفت كنت أحس أني مستعدة أقدم أي تنازلات علشان يرضى عني، لكن مع فراس المسألة ما هي استعداد للتضحية، المسألة معاه رغبة في العطاء بلا حدود. ودي أعطيه وأعطيه وأعطيه! تصدقين يا خالتي، أحياناً تجيني أفكار أستحي منها.

- مثل شنو؟

- يعني مثلاً أتخيل نفسي وانا أستقبله كل يوم في بيتنا بعد الزواج وهو راجع من الدوام تعبان. أجلّسه هو على الكنب واجلس أنا على الأرض قدامه. أتخيل نفسي أغسل رجوله بموية دافية وأبوسهم وامسح بهم على وجهي! مدري كيف يثيرني هذا الخيال يا خالتي،

يثيرني بدرجة جنونية! مع أن عمري ما تخيلت أني ممكن أفكر أسوي كذا لأي رجال مهما كان! مدري كيف هالفراس قلب كل مفاهيمي يا خالتي وخلاني أعشقه بهذا الشكل المتطرف!

تسحب أم نوير نفساً طويلاً لتطلقه تنهيدة عميقة وهي تقول:

- ما أقول غير الله يعطيج على قد نيتج يا حبيبتي ويكافيج الشر. قولي آمين.

(٣٠)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 3/9/2004
Subject: قمرة التي لم تتغير

وإنْ يَمْسَسْكَ اللّهُ بضُرٍّ فلا كاشِفَ لَهُ إلاَّ هُوَ وإنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فلا رَادَّ لفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ وهوَ الغَفُورُ الرَّحيم.

سورة يونس: ١٠٧

تردني رسائل كثيرة تحوي قدحاً في أم نوير، وتذم أهالي صديقاتي الذين سمحوا لبناتهم بالتردد على منزل امرأة مطلقة وحيدة. هل الطلاق كبيرة من الكبائر ترتكبها المرأة دون الرجل؟ لمَ لا يُضطهد الرجل المطلق في مجتمعنا كاضطهاد المرأة المطلقة؟ أعرف أنكم تستنكرون أسئلتي الساذجة ولكنها أسئلة منطقية جديرة بإجابات عادلة تحمي أم نوير وقمرة وغيرهما من المطلقات من هذه النظرة الفوقية التي يتصدق بها المجتمع عليهن، فيما الرجال المطلقون يعيشون حيواتهم من دون أي معاناة أو رقابة.

* * *

لم تتغير حياة قمرة بعد ولادة طفلها كثيراً، فأعباء العناية به كانت ملقاة على عاتق المربية الفلبينية التي استقدمتها أم قمرة خصيصاً لهذا الشأن، لمعرفتها بكسل ابنتها وإهمالها حتى لنفسها، فكيف بطفل حديث الولادة؟ بقيت قمرة على حالها، بل عادت إلى حالها قبل الزواج. كان يكفيها الاكتئاب الحاد الذي أصابها بعد انقطاعها عن التشات. ظلت تفكر بسلطان لمدة ليست بالقصيرة. كانت كثيراً ما تشعر برغبة عارمة في محادثته لكنها كانت تعدل عن ذلك بعد أن تتذكر وضعه ووضعها اللذين يصعب اجتماعهما بسهولة.

تأخذها الأفكار بعيداً كل ليلة. تلاحق صديقاتها الثلاث، وتقارن حياتها بحياة كل واحدة منهن؛ فهذه سديم غارقة في حب سياسي ناجح وشخصية معروفة، قد يتقدم لخطبتها في أية لحظة بناءً على ما تخبرها سديم عن حبهما الرائع وتفاهمهما حول كل شيء. . . «والله وبتطيحين واقفة يا سديم! أحسن من هالشباب الصغار اللي ما يعرفون وش يبغون من الدنيا!».

لميس في سنتها الجامعية الثالثة، وستصبح عما قريب دكتورة قدّ الدنيا! لا بأس إن تأخر زواجها، فتأخر سن الزواج شائع في أوساط الطبيبات، وقد اعتاد المجتمع على ذلك حتى صار من المستهجن والمستغرب أن تتزوج طالبة الطب صغيرة! إن أرادت الفتاة أن تعنّس من دون أن تنال لقب «عانس» فما عليها إلا أن تدرس الطب، فالأبصار مغضوضة عن هؤلاء! أما طالبات الكليات الأدبية والدبلوم ومن لا تلتحق بأية جامعة، فأصابع الاتهام بالعنوسة تبدأ في الاتجاه نحوهن بمجرد بلوغهن العشرين.

«بس لميس محظوظة بأمها ما شاء الله. أمها فاهمة ومثقفة ودايم

تقعد وتتكلم معها ومع تماضر، ومتعودين يسولفون لها عن كل شي بدون مِسْتَحَى. الله يخلف على أميمتي اللي على قدها وما تعرف لهالخرابيط وكل ما قلنا لها شي قالت لا، وما كنا نسوي تسذا وما كنا نقول تسذا، وكل شي تنقد عليه! ذاك اليوم لما اشترت شهلاء شوية قمصان نوم وبيجامات حرير تقول كل صديقاتها عندهن مثلها هاوشتها وأخذت منها كل الحاجات ورمتهن بالزبالة وهي تصارخ: بعد ما بقى إلا ذا! تبين تلبسين «قلة حيا» وأنتِ ما بعد أعرستِ!؟ من بكرة راحت شرت لها درزن ملابس داخلية من طيبة وعويس وجابتهن لها بزعمها تراضيها! عطتها الأغراض وقالت لها: الحين ما لك إلا ذولي، والخرابيط فيك لاحقتن عليها لين أعرستِ!».

حتى ميشيل التي تخلى عنها فيصل كانت أوفر حظ منها، فأهلها قد سمحوا لها بالدراسة في أميركا بينما هي لا يُسمح لها حتى بالخروج من المنزل وحدها. وفي زياراتها القليلة لبيت سديم، كانت أمها تجبر أحداً من إخوتها على إيصالها بنفسه والعودة بها رغم وجود السواق! «يا حظك يا ميشيل، بتاخذين راحتك وتعيشين حياتك مثل ما تبين! ما وراك أحد يسأل وين رايحة ومنين جاية! بتكونين حرة نفسك وماعليتس من أحد ولا عليتس من كلام الناس اللي ما ينخلص منه».

كانت إذا اجتمعت بصديقاتها الثلاث شعرت بالفرق الشاسع الذي طرأ عليهن بعد دخولهن الجامعة. لميس صارت تفضل الاجتماع بصديقاتها من كلية الطب على الاجتماع بهن، ثم إنها لا تدري ما الذي جرى لعقل هذه الفتاة حتى تلتحق بدورات في الدفاع عن النفس وفي اليوغا! أصبحت لميس بعيدة عنهن في تفكيرها منذ التحاقها بالكلية الغبراء؛ كلية الطب.

ميشيل أصبحت تُرعبها أحياناً بحديثها عن الحرية وحقوق المرأة، وقيود الدين والأوضاع الاجتماعية، وفلسفتها للعلاقة بين الجنسين، ونصائحها لها بأن تكون أقوى وأشرس في الدفاع عن حقوقها، وعدم تقديم تنازلات في حق الذات!

سديم الأقرب إليها، هي الأخرى بدت أنضج بكثير بعد العطلة الصيفية التي قضتها في بريطانيا. لعل سفرها وحدها والعمل الصيفي والقراءة قد أفادتها، أو لعل تلك الثقة بالنفس مصدرها حب رجل بمكانة فراس لها.

أياً تكن الأسباب، فقد شعرت قمرة بأنها الوحيدة التي لم تتغير منذ أيام المرحلة الثانوية؛ اهتماماتها لم تتغير، وأفكارها لم تتطور، وأولوياتها لم تتبدل. ما زال حلمها الوحيد هو الزواج من رجل ينتشلها من وحدتها، ويعوضها عن أيام الشقاء التي عاشتها. كم ودت لو استمدت من ميشيل بعض صلابتها، ومن سديم بعض ثقافتها، ومن لميس بعض جرأتها! كم أرادت أن تصنع من نفسها شخصية تحاكي شخصيات صديقاتها، وتستطيع الدخول معهن في نقاش عميق، لكنها ظلت عاجزة عن مجاراتهن. يبدو أنها خُلِقت بهذه الشخصية الضعيفة التي تحتقرها لتظل سائرة وراء الركب طوال حياتها.

ذهبت لتلقي نظرة على صالح قبل أن تنام. دخلت الغرفة التي وُضع فيها فراشه الصغير المزركش إلى جانب سرير المربية. اقتربت من فراشه بهدوء حتى لا توقظه أو توقظها، وإذا بعيني الطفل تلمعان لها وسط ظلام الغرفة وهو يتلفت نحو مصدر الصوت ببراءة ودعة. مدت إليه يديها فتعلق بهما لتلتقطه بحنان وتحمله. حالما حملته شعرت بملابسه المبللة وفخذيه الرطبين، وشمت الرائحة النفاذة المنبعثة من حفاظته

الصغيرة. حملته إلى الحمام لتجد مؤخرته الغارقة في البلل مغطاة ببقع حمراء صغيرة. لم تعرف قمرة كيف تتصرف في ظرف مثل هذا، هل توقظ أمها أم توقظ شهلاء؟ ما أدرى شهلاء بالأطفال! إذا كانت هي نفسها لا تعرف ما تفعل! هل توقظ المربية؟ «الله يقطعها! كلّه بسببها. . . نايمة ومخلية ولدي غرقان بالبول!». كان الولد أمامها يلعب ببطته الصفراء المطاطية التي ناولته إياها دون أن تبدو عليه معالم الألم أو الضيق، لكن الأمر كان أقسى على قمرة من مجرد طفح جلدي!

كل شيء كان قاسياً عليها؛ راشد، ونظرة المجتمع، وأمها، وحصة، وزوج حصة، وموضي، وصديقاتها! الكل يستضعفها ويعيب تفاهتها وتخلفها. حتى المربية الفلبينية أهملت العناية بطفلها بعد أن لاحظت عدم حرصها هي عليه! يا لها من حياة قاسية أخذت منها كل شيء ولم تمنحها شيئاً في المقابل! أخذت منها شبابها ومرحها لتستبدلهما بلقب بشع وطفل ليس له من سند في هذه الحياة سواها، هي الأمسّ حاجة منه للسند!

سقطت البطة من كف صالح الصغيرة عندما احتضنته قمرة بكل ما فيها من قهر وندم وعذاب، وهي تبكي.

(٣١)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 10/9/2004
Subject: «حش» في الرجال

يكفي المرأة رجل واحد لتفهم جميع الرجال، ولكن لا يكفي الرجل مئات النساء حتى يفهم امرأة واحدة.

جورج برنارد شو

لقد أصبحت هذه القصة حياتي. أصبح يوم الجمعة أكثر قداسة من ذي قبل، وأصبح لجهاز الكمبيوتر موقع أساسي في غرفتي بعد أن كان ينتقل من غرفة إلى أخرى من دون أن أكترث، وصرت أضحك كلما أغاظتني زميلة أو أستاذة من أساتذة الجامعة اللواتي يحرقن الدم! كل هذا لا يساوي شيئاً أمام ما أفعله. كل هؤلاء المتعجرفات يلتصقن بشاشة الكمبيوتر كل جمعة ليقرأن ما أكتب، فلأدعهن لتفاهاتهن، ويكفيني ما أحس به في داخلي من فرح واعتزاز!

* * *

اجتمعت الصديقات الأربع في منزل قمرة في آخر أيام العطلة

الصيفية، وكل واحدة منهن تحمل بين يديها لعبة أو قطعة حلوى لصالح، تحثه بها على المشي نحوها بخطواته المتعثرة وساقيه السمينتين كساقي البطة.

اندفعت قمرة توبخ لميس على ما اكتسبته في شاليهات جدة من سمرة برونزية:

- قسماً بالله إنك مجنونة! الحين الناس تدوّر البياض وأنتِ تتسدحين بهالشموس!

- أيش أسوي اشتهيت أعمل برونزاج! والله إنو أتراكتف!

- بالله يا بنات ردوا عليها، ذا المهبولة!

تتدخل ميشيل التي يعجبها اللون البرونزي على لميس:

- آكتشولي... آي لايك إت.

تثور قمرة وتحاول إقناع سديم بتأييدها:

- سديم! شوفي هالمجانين وش يقولون! باللهِ أحد يعوف البياض ويروح للسواد برجلينه! عمرتس سمعتي بحرمة تدور على عروسة سودا لولدها؟

- يا شيخة خلي كل واحدة تسوي اللي على مزاجها. إلى متى وحنا نسوي اللي على مزاج الحريم واللي على مزاج عيالهم؟ أنا أقول سوي تان يا لميس زي ما تبين وإذا ودك تولعين بشعرك بقاز بعد لا يردك إلا يدينك!

- جبتس عون صرتي لي فرعون! (ترد قمرة بغيظ).

- لا عون ولا فرعون. بس من جد زهقت من هالتبعية اللي فينا! كلٌ

يمشّينا على مزاجه! ما صارت عيشة! الواحد ما له راي حتى على نفسه!

تسألها صديقاتها:

- سدومة أيش فيكِ؟ من اللي مضايقك؟
- أكيد متضاربة مع فراس. هوا أكيد ما في غيرو!
- وش سوى لك ذا القرد؟
- إنتِ شفتيه في باريس؟

حاولت سديم تهدئة انفعالها الذي فاجأ صديقاتها وراحت تسرد عليهن ما يربكها من أفكار:

- شفته مرة واحدة. أصلاً هو جا هناك يوم واحد بس عشان يشوفني، وأنا طبعاً ما قدرت أقول له لأ. ما أكذب عليكم، بصراحة أنا بعد كنت ميتة أبغى أشوفه! طول السنة اللي فاتت ما شفته بسبب دراستي وشغله، ولأننا اثنينا متفقين على أن المقابلات بيننا في الرياض بتكون صعبة ومحرجة وغير مريحة مثل برا. برا الواحد ياخذ راحته وأقدر أقابله بأي مكان عام لكن هنا لأ. قابلته في مطعم رايق وجلسنا نسولف مع بعض. كانت جلسة حلوة.

تعلّق قمرة: لحد الحين ماشين تمام. وين المشكلة طيب؟

ترد ميشيل: أكيد بعدها قال لك كيف رضيتِ تطلعين معي؟ والاّ شك فيكِ عقبها وصار يعاملك ببرود! أنا عارفة هالحركات حقة شبابنا المعقدين... ذي آر ميتتالي تويستد! هو أنا هجيت من بلدكم من شوي!

- بالعكس هو عمره ما عاملني بهالطريقة، مع أنه كان يتكلم عن بعض البنات قدامي كنت ألاحظ أحياناً أنه فيه شوي من خصلة هالشك، لكن مو معي أنا. فراس عارفني زين.

- أبو طبيع ما يغير طبعه (تقولها قمرة بثقة).

- لا صدقوني، ما كانت هنا المشكلة. المشكلة أني من مدة وأنا ملاحظة أنه يلمّح لي تلميحات غريبة بخصوص ارتباطنا؛ يوم يقول لي إن أهله لقوا له عروس، ويوم يقول لي إذا جاكِ عريس مناسب لا تردينه! مدري كيف يطاوعه قلبه يقول لي هالكلام وهو عارف أنا وش كثر أحبه؟! في الأول كنت أحسبه يمزح وبس قصده يرفع ضغطي، بس في باريس قلت له إن صديق بابا وده يخطبني لولده، وهالشيء فعلاً صاير. تخيلت أنه بيعصب وبينقهر ويدق على أبوي في نفس اليوم يخطبني منه! اللي صار أنه ابتسم بكل برود وسألني إذا كان شاب كويس! قال لي خلي أبوكِ يسأل عنه وإن طلع الرجال زين توكلي على الله!

- باللهِ قال كدا؟! (تتساءل قمرة غير مصدقة).

- وإنتِ إيش قولتيلو لما قال كده؟ (قالت لميس).

- ولا شي.

- ولا شي!!

- تنحت، وقعدت أناظره بغباء لين دمعت عيوني، بعدين قلت له آسفة لازم أمشي!

- وأيش قال هو؟

- قال لا تصيري زعولة، وحلف عليّ إني ما أقوم! قال لي ترى إن قمتِ مانيب مكلمك عقبها مرة ثانية!

- وجلستِ؟!

- جلست لين ما خلّص أكله وقام معي وطلعنا من المطعم سوا، وجاب لي تاكسي يوصلني للفندق!

- والحين لسّاتكم مع بعض؟

- مع بعض بس على نفس الحال! يلعب بأعصابي وأنا ماني عارفة وش أسوي علشان أرضيه وأرجعه مثل أول! ليه دائماً يصير معي كدا؟ ليه الرجال بعد فترة يقلبون علي؟ أكيد فيني شي! الظاهر إني أول ما أبدا آخذ راحتي معهم يبدون يكشّون مني!

تؤمن لميس بأن تسلط الرجل لا يأتي من فراغ، وإنما بعد عثوره على امرأة تحب هذا التسلط منه وتساعده على الاستمرار فيه:

- أنا أعتقد إنو الرجال ما بيكذبوا لكن همّا لؤّما شوية. الواحد يبدا يتهرب من البنت بعد ما تصير سهلة معاه وبعد ما يحس إنو خلاص ما صارت تمثّل تحدي بالنسبة لو، لكن ما يقول لها هادا الكلام في وِشّها، ولا يخليها تحس إنو هوا الغلطان، لأ! يقنعها إنها هيا اللي عندها مشاكل مش هوا! بعضهم يدّو البنت إشارات علشان تنهي العلاقة بنفسها، لكن احنا البنات الأغبياء عمرنا ما نلقط هادي التلميحات! نظل نشتغل على العلاقة لطلوع الروح، حتى لو باين عليها من أولها إنها رايحة في ستين داهية! عشان كده في النهاية ناكل على روسنا ونتهزأ. احنا اللي ما احترمنا نفسنا من البداية وانسحبنا بكرامتنا.

تعطيها ميشيل تحليلها المنطقي للموقف:

- يا حبيبتي هاذي سياسة تطفيش معروفة عند العيال. تلاقينه فكر وقال وش يخليني آخذ واحدة مطلقة وأنا ما قد تزوجت؟ إذا الرجال

المطلق نفسه يدوّر على بنت ما تكون تزوجت قبله، تبغين هذا يقتنع بمطلقة؟ تلاقينه حسبها في مخه وقال بكرة أنا إذا بغيت أصير وزير والا وكيل وزارة يبغى لي واحدة تشرفني اسم وشكل ونسب ومركز اجتماعي وفلوس! ما آخذ واحدة معيوبة «مطلقة» علشان الناس تاكلني بألسنتها! هذا تفكير شبابنا مع الأسف! تلاقين الواحد مهما تطور والا ارتقى بفكره ومهما حب وعشق يظل يعتبر الحب مجرد كلام روايات وأفلام وما يثق في كونه دعامة تصلح لبناء أسرة! تلاقينه مثقف ومتعلم وشايف وعارف ومتأكد بداخله إن الحب غريزة إنسانية طبيعية وما هو عيب إن الواحد يختار شريكة حياته بنفسه ما دام مقتنع فيها، لكن يظل خايف أنه يسلك طريق غير اللي سلكه أبوه وعمه وجده قبله، دامهم عايشين مع حريمهم إلى الآن أجل تجربتهم هي الناجحة والمضمونة، يتبعهم زي الحـ. . . ولا يخالفهم علشان ما حد يجي في يوم ويشمت فيه إذا فشل!

لا تدري أيهن من أين تأتي ميشيل بكل هذه التحليلات لعقلية الشباب، لكن ما كن أكيدات منه أن كلامها يجد عندهن دوماً آذاناً صاغية ويقابله اقتناع شبه تام بما توصلت إليه من استنتاجات لم تسبقها إليها أي منهن.

(٣٢)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 17/9/2004
Subject: الطائر المهاجر

سيدتي! سيدتي! أنا الأول
نعم لقد أدركت ذلك
عد مطمئناً إلى مكانك
ولا تتحدث قبل أن يأتيك الدور
في هذا المساء، عبر درس التاريخ
لك أن تسرد كل ما تعرف
عما حدث من قبل.

شعر هولندي

إلى من أزعجوني بحكاية أنني لا أمثل فتيات السعودية: كم مرة ينبغي لي أن أعيد عليكم كلامي؟! أنا لا أكتب شيئاً عجيباً أو مستنكراً! كل ما أقوله تعرفه البنات جيداً في مجتمعي أو في محيطي، والدليل أن كل واحدة منهن الآن تقرأ إيميلي كل أسبوع وتقول هذه أنا! وبما أني

أكتب لأعبر عن هؤلاء البنات، فأرجو ممن لا ناقة لهم ولا جمل عدم حشر أنوفهم في ما لا يعنيهم، وأن يتفضلوا هم بالكتابة عن البنات إن أرادوا من أي زاوية أخرى غير التي أراهن منها!

* * *

اكتشفت ميشيل أن وباء التناقض في بلدها قد استفحل حتى طال أبويها، فوالدها الذي كانت تجده رمزاً نادراً للحرية المغتصبة في هذه البلاد قد حطم بنفسه هذا الإطار الفخم الذي وضعته بداخله ليثبت أن «من عاشر القوم صار منهم».

ثار أبوها بشكل لم تكن تتوقعه بعد سماعه تلميحها عن إعجابها بماتي ابن خالها، حتى أمها التي ليس لها سوى أخ وحيد هو والد ماتي، الذي تحبه حباً جماً وتعتبر أبناءه امتداداً لها، حتى هذه أثارها تصريح ابنتها بطريقة مفاجئة!

لم تعتقد ميشيل أن السبب ديني وراء هذه الثورة، فأبوها لم يكن يوماً من المتشددين، وأمها التي اعتنقت الإسلام بعد ولادة ابنتها لم تهتم يوماً بتطبيق الأحكام الدينية، فما بالهما الآن يعاملانها بهذه الحدة ويحاولان إقناعها بأن ماتي لا يصلح لها؟ يبدو أن والديها أيضاً قد نالا نصيبهما من هذه البيئة المتناقضة التي انغرسا في تربتها خلال السنين الأخيرة.

ماذا لو أن ماتي كان يحبها فعلاً؟ هل كانت لتتخلى عنه من أجل أسرتها كما تخلى عنها فيصل من أجل أسرته؟ المشكلة مع ماتي أعقد بكثير، فهي لا يمكنها الزواج شرعاً منه كونه مسيحياً. هل تستطيع أن

تتزوجه مدنياً في أميركا؟ تعرف أن أباها يستحيل أن يوافق على مثل هذه الفكرة مهما بلغ به التحرر.

عموماً، الحمد لله أن ماتي لم يفاتحها يوماً في موضوع الحب هذا، ربما كان لا يشعر نحوها بأكثر من عاطفة الصداقة أو الأخوة، لكن السنوات التي قضتها في السعودية جعلتها تفسر أي اهتمام من أي رجل بها على أنه حب.

قرر والداها اتخاذ الخطوة التي كانا يؤجلانها حتى عودة ميشيل النهائية بعد حصولها على البكالوريوس من سان فرانسيسكو. تذرعا بخوفهما عليها من تداعيات الموقف في أميركا بعد الحادي عشر من سبتمبر، إلا أن إحساس ميشيل كان يؤكد لها أن تلميحاتها عن علاقتها بماتي كانت أكبر دافع لهما إلى تعجيل السفر.

الهجرة إلى دبي؛ قرار اتخذه الأبوان بعد عجزهما عن الانسجام مع المجتمع السعودي المتزمت، وتدخل الجميع في شؤون بعضهم. لم يكن بيدها الخيار هذه المرة، لو رفضت الانتقال مع أبويها وأخيها لزاد الشك في نفس والدها من ناحية علاقتها بابن خالها الذي تشعر في قرارة نفسها باعتباره إياها أختاً صغيرة مدللة يعمل على إسعادها، بطبيعته الميالة لإمتاع الآخرين، خاصة القريبين منهم إليه.

جاء القرار مربكاً لها بعد أن أتمت عامين من دراستها الجامعية في سان فرانسيسكو، لكن كان من الواضح أن والديها قد أعدا العدة مسبقاً لكل شيء؛ سوف تكمل دراستها في قسم الاتصالات المرئية في الجامعة الأميركية بدبي حتى لا تضيع عليها أي من السنوات الدراسية كما ضاعت سنتها الجامعية الأولى عند انتقالها من الرياض إلى سان فرانسيسكو،

وسوف يلتحق مشعل الصغير بمدرسة خاصة، ووالدها ينوي الاستثمار في دبي مثل كثير من أصدقائه، أما والدتها فستنال قسطاً أكبر من الحرية والتقدير اللذين حُرمت منهما أثناء معيشتها داخل السعودية.

هذه المرة كان الانتقال أصعب من سابقه. هذه المرة ستودع صديقاتها من دون أن تعدهن برؤيتهن في عطلة رأس السنة. قد يظل منزلهم في الرياض على حاله، إلا أنها متأكدة من أنها لن تعود إليه إلا بقرار جماعي، ولن يعود لها ما يربطها بالرياض سوى أقرباء لا يحبذ والدها أو والدتها زيارتهم.

أقامت لميس حفلة كبيرة في منزلها لوداع ميشيل، وقدمت الصديقات ساعة ماسية ثمينة لصديقتهن التي ستهاجر للعيش في عاصمة الحرية الخليجية. بكين وهن يعانقن أيام مراهقتهن وبداية الشباب التي ستُنتزع منهن بسفر ميشيل وانفصالها عن الشلة انفصالاً أبدياً. كانت أم نوير تذكّر فتياتها بوجود الإنترنت وإمكانية المحادثة يومياً بالصوت والصورة فيهدأن قليلاً، لكنهن كن أكيدات من أن علاقتهن بميشيل سوف تتغير بعد سفرها إلى دبي كما تغيرت بعد سفرها إلى أميركا وأكثر، فهي لا تنوي الرجوع هذه المرة، ولذلك فإن جذوة العلاقة التي ظلت مشتعلة لسنوات سوف تخبو رغماً عنهن مهما حاولن وحاولت هي المحافظة عليها، لأنه لن يعود هناك ما يذكيها بعد أن تنتقل ميشيل للعيش في مكان آخر بعيد عنهن.

كانت لميس أكثر الصديقات حزناً. جاء سفر ميشيل في وقت تعاني فيه من مشاكل متراكمة؛ مشاكل في الجامعة مع بعض الأساتذة المتسلطين، ومشاكلها المعتادة مع تماضر التي لا تمل انتقادها ولا

تخفي غيرتها من أي نجاح تحصده، ومشكلتها مع أحمد الذي اكتشفت أنه ينقل لأصدقائه في الجامعة جميع ما يدور بينهما من حوارات هاتفية، بكل ما يدور خلالها من نقاشات لا تتعلق بالدراسة! كان يخبرهم كل ما تقصه عليه من باب التسلية من قصص صديقاتها في الدفعة، حتى بلغت الأنباء صديقاتها اللواتي ثرن عليها ثورة قاسية وامتنعن عن الاختلاط بها.

في السنوات الأخيرة كانت لميس قد ابتعدت كثيراً عن ميشيل، وقد عانت من الحيرة طويلاً وهي تقارن بين ميشيل وصديقاتها في كلية الطب، لكنها في ذلك اليوم شعرت بأن ميشيل وحدها القادرة على فهمها جيداً، وأنها وحدها التي اقتربت من حقيقة شخصيتها بشكل لم يقترب منه الآخرون. كانت ميشيل تشبهها في كثير من الأمور، وكانت بئر أسرارها الوحيدة. تحملتها كثيراً وكان معها كل الحق في أن تشعر بالغضب لإهمالها إياها بعد دخولهما الجامعة، لكن ما الفائدة الآن؟ سوف تسافر ميشيل وقد لا تعود، وستخسر لميس إلى الأبد صديقتها الأقرب إلى قلبها، والتي لم تعرف قيمتها إلا بعد فوات الأوان.

(٣٣)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 24/9/2004
Subject: أبو مساعد والشرط

حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا سفيان عن زياد بن سعد، عن عبد الله بن الفضل، سمع نافع بن جبير يخبر عن ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر تُستأمر (أي تُستأذن)، وإذنها سكوتها».

صحيح مسلم: ٣٤٧٧

عرض علي أحد القراء أن أجمع رسائلي بعد الرسالة الأخيرة وأصنع منها فصولاً لرواية مطبوعة حتى يتمكن من قراءتها الجميع.

يا سلام! أتصبح لي رواية من تأليفي؟ تُعرض في المكتبات وتُدفن في غرف النوم؟ يوصي بعضكم بعضاً بجلب نسخ منها من لبنان؟ (على افتراض مسبق بأنها ستكون رواية ممنوعة!) وهل سأرى صورتي الفاتنة تزين غلافها الخلفي كما تزيّن «أو تشيّن!» صور الكتاب رواياتهم؟

أعجبني الاقتراح لكنه أدهشني وأخافني في الوقت نفسه، فأما

الدهشة فلأنني كنت أعتقد أنه لم يبق أحد ـ في السعودية على الأقل ـ لم تصله إيميلاتي، بحكم حرصي على أن أبعث بها منذ البداية إلى جميع مستخدمي الإنترنت في المملكة، عن طريق الإيميلات الرسمية على عناوين شركات الإنترنت، وإلى جميع مستخدمي الياهو والهوتميل وغيرهما من كبريات الشركات العالمية التي توفر خدمات البريد الإلكتروني. بعثت بها لكل الذين أدرجوا اسم السعودية ضمن بياناتهم الشخصية، ومع هذا فقد فوجئت بمن يقول إنه لم يقرأ الإيميلات إلا ابتداءً من الإيميل العاشر الذي وصله عبر الـ «فوروورد» من أصدقائه! أما الخوف فهو من حكاية النشر والتوزيع التي تستلزم الكشف عن اسمي بعد أن أخفيته عنكم طوال هذه الشهور!

هنا يأتي الجِد: هل تستحق صديقاتي مثل هذه التضحية؟ هل يستحققن كل ما سيكال لي من تهم، علاوة على ما قد كيل مسبقاً، إذا ما عُرِف اسمي الحقيقي؟

بانتظار آرائكم ونصائحكم، راسلوني.

* * *

كانت أم قمرة تدفع ابنتها دفعاً لمقابلة أبي مساعد، العقيد في الجيش وصديق خالها منذ سنين. كان أبو مساعد في السادسة والأربعين، وسبق له الزواج، لكنه على السنين الثماني التي قضاها مع زوجته لم يُرزق منها بأطفال «ورغم ذلك فالجميع يكنونه بأبي مساعد». قرر الزواج بعد أن بلغته أنباء حمل زوجته السابقة من زوجها الثاني. عرض الموضوع على أصدقائه فما كان من صديقه أبي فهد ـ خال قمرة ـ إلا أن رشح له ابنة أخته وهو يظن نفسه باراً بها بفعلته تلك.

جلست قمرة غير بعيدة وراحت تتفحصه بدقة لم تتفحص بها راشد عندما أتى لخطبتها قبل ثلاث سنوات. ما عاد يعتريها ذلك الخجل القديم ولم تعد تتعثر في مشيتها. لم يكن الرجل عجوزاً كما تخيلته، يبدو في نهاية الثلاثينات. لا شيب في شاربه لكن بعض الشعيرات الفضية فرت من تحت غترته البيضاء لتبدو واضحة عند جانبي وجهه.

كان خالها يعرف أبا مساعد جيداً ولذلك بدا دور والدها ثانوياً. أراد الأب أن ينهض من مكانه لدقائق كما أوصته الأم حتى يتيح لابنته فرصة التحدث إلى خطيبها، التي لم يتحها لها قبل زواجها السابق، لكنه كان بانتظار نهوض الخال الذي لم يتحرك من مكانه، ضارباً عرض الحائط بتوسلات أخته التي تشير له من خلف درفة الباب. ظل خال قمرة متوجساً ومتيقظاً بانتظار أي لفتة أو نظرة أو همسة منها، كي يصب جام غضبه عليها وعلى أمها بعد انصراف أبي مساعد.

أهمل هذا الأخير وجود قمرة وانصرف للحديث مع خالها عن آخر أسعار الأسهم. اغتاظت قمرة كثيراً من أسلوبه وأوشكت أن تغادر الغرفة مع أنها لم تدخل عليهم إلا قبل دقيقتين، لكن قنبلة فجرها أبو مساعد حملتها على البقاء حتى ترى شظاياها:

- أنا مثل ما أنتم عارفين عسكري بدوي وما أعرف لكلام الحضر المزبرق وسوالف اللف والدوران. أنا سمعت منك يا بو فهد إن بنتكم عندها ولد من رجلها الأول، وأنا شَرطي في هالزواج أن الولد يظل في بيت جده وما يسكن في بيتي. أنا بصراحة مانيب مستعد أربي ولد مهوب من صلبي.

يرد والدها:

- بس يا بو مساعد الولد توّه صغير!

- صغير والا كبير. هذا شَرطي يا بو محمد، والحق ما ينزعل منه.

يحاول خالها تهدئة الوضع قائلاً:

- طوّل بالك يا بو مساعد وما يصير إلا الخير إن شاء الله.

كانت قمرة تقلّب ناظريها بين أبيها وخالها وأبي مساعد. لم يفكر أحدهم في أن يشاور صاحبة الشأن الجالسة إلى جانبهم كلوح من الخشب! قامت وانصرفت من الغرفة بعد أن جحدت خالها بنظرة حارقة!

في غرفتها كانت أمها بانتظارها بعد أن سمعت كل شيء. شكت لها قمرة برود خالها وسلبية أبيها وغرور هذا الرجل الملقب بأبي مساعد. هونت عليها والدتها وطيبت خاطرها بالقدر الذي تستطيع، ثم آثرت أن تصمت بعد أن رددت على ابنتها ما ملت هي من كثرة ترداده وملت ابنتها من كثرة سماعه. ظلت قمرة ثائرة على هذا الذي يطلب منها بكل صفاقة أن تتخلى عن ابنها من أجله، مع أنه غير قادر على الإنجاب كما هو جلي وواضح! كيف يريد أن يحرمها من ابنها الوحيد الذي لن تشعر بأمومتها مع غيره؟ كيف يسمح لنفسه بأن يأمرها بأن تضحي بابنها فوق تضحيتها بالإنجاب إن هي قبلته زوجاً!؟ ثم من يظن نفسه هذ العسكري البدوي حتى يكلم أباها بتلك الطريقة المتعجرفة؟ لقد سمعت عن رجال البدو وعن العساكر وطباعهم الصعبة، لكنها لم تصادف في حياتها أحداً بهذه الصفاقة!

جاء خالها مع أبيها بعد انصراف الرجل غاضباً من طريقة انصرافها بلا استئذان. وكما أهمل وجودها أمام الرجل، أهمل وجودها هذه المرة أمام أمها:

- بنتس «بنتك» ما تستحي يا أم محمد. الله يهداتس مدلعتها واجد.

أنا أقول نتوكل على الله ونزوجها إياه. الرجال ما يعيبه شي، والحمد لله البنت عندها ولد يعني ما ناقصها أولاد، وحنا كلنا عارفين إن قعدتها في ذا بدون رجال يضفّها ويستر عليها ما تنبغى. كلام الناس كثير وحنا عندنا بنات نبي نزوجهن. إنتي فيتس الخير والبركة يا أم محمد والله يطول لنا بعمرتس وتربين عيالتس وعيال عيالتس. ولد قمرة نخليه يتربى عندتس وأمه تجي تشوفه كل ما بغت وما ظن رجلها بيمانع. وش رايك يا خوي يا بو محمد؟

- والله أنت تعرف الرجال يا بو فهد وأنت أبخص به. إذا أنت مانت شايف عليه خلاف، توكل على الله.

انصرف خالها بعد أن أعطى رأيه كاملاً ومفصلاً في أمر ليس من شأنه، وانصرف والدها هو الآخر ليبدأ سهرته مع أصدقائه في المزرعة (الاستراحة)، وبقيت قمرة تهدر في وجه أمها بعصبية:

- وش اللي رجال يضفني ويستر علي؟ أخوتس شايفني مفضوحة والا فيني عيب يبي يخبيه؟ هذا وأنا يقال لي حرمة الحين وعندي ولد والمفروض يوخذ بكلمتي وينسمع رأيي! شكل الدنيا عندكم ماشيتن عكس الناس! بزواجي الأول ما سويتوا فيني تسذا! بعدين وش هالرجال اللي أنتِ ماخذته؟ ما له أي كلمة على بنته قدام أخوتس؟؟ وأخوتس هذا أنا وش دخلني ببناته اللي يبي يزوجهن؟؟ إن شاء الله لا عمرهن تزوجن! يبي يذبني على ذا العلة المستعلة عشان يخلص من همي ويزوج بناته؟ جعله ينهدّ هو وبناته!

- استحي على وجهتس! مهما كان هذا خالتس، بس ما عليتس منه. استخيري واللي ربتس كاتبه بيصير. سلمي أمرتس لربتس وتوكلي على الله.

لم تنصحها أمها بأن تستخير قبل زواجها الأول. هل كانت مواصفات راشد بالروعة التي تغني عن الاستخارة فيها؟ صلّت قمرة ركعتين مساء تلك الليلة بعد أن علمتها موضي صفة صلاة الاستخارة، ثم افترشت سجادتها وراحت تدعو:

- «اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علّام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن في زواجي من أبي مساعد خيراً لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن فيه شراً لي، في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم ارضني به».

أخبرتها موضي أنه ليس بالضروري أن ترى حلماً يدلها إلى الاختيار السليم كما كانت تظن، لكنها بتكرار الاستخارة سوف يشرح الله صدرها للأمر الذي استخارته فيه فتتمه، أو يقبض صدرها من ناحيته فتعرف أنه ليس من صالحها وتنصرف عنه. ظلت قمرة تكرر صلاة الاستخارة مرات ومرات في الأيام من دون أن تهتدي إلى قرار.

بعد عشرة أيام أو ما شابه، وكانت توضأت وصلّت ثم خلدت إلى النوم، حلمت بأنها نائمة في سرير غير سريرها ومتلحفة بغطاء سميك لا يكشف سوى عن رأسها وقدميها. كانت تطل في وجه نفسها كأنها تطل في وجه صديقتها سديم، مع أنها متأكدة من أنها هي المستلقية في الفراش رغم ملامحها التي كانت «تتسدمن» في الحلم بشكل غريب! كان شعر النائمة مبيضاً، وكان عندها لحية بيضاء طويلة (لكن العجيب أنها لم تستهجن وجود اللحية أثناء الحلم)، ثم رأت كأنها توقظ نفسها

النائمة وتصيح فيها: قومي قومي فاتت الصلاة! ظلت تتقلب في فراشها حتى أفاقت من نومها في الحلم وفي الحقيقة.

عندما قصّت حلمها على موضي اتصلت تلك بأحد المشايخ المختصين بتفسير الرؤى والأحلام لتقص عليه قمرة حلمها. أخبرت قمرة الشيخ أن الحلم قد جاء بعد استخارة بشأن خاطب متقدم لها. سألها الشيخ إن كانت متزوجة فأجابته «كنت يا شيخ ولكنني طُلقت منه». سألها إن كان لها أطفال منه، فردت «عندي منه ولد». قال لها الشيخ:

- إن هذه الفتاة النائمة هي أنت وليست صديقتك كما خُيّل إليك في الحلم. أنصحك يا ابنتي قبل كل شيء بالرجوع إلى الدين، الذي فيه العصمة من كل بلاء والنجاة من كل شر، لأن انحسار غطاء السرير عن رأسك إنما هو دليل على ضعف دينك، أما اللحاف فهو دليل على أمنك واستقرارك في زواجك الأول، وكشف شعرك أيضاً دليل على عدم رجوع زوجك إليك وهذا خير لك لأن الشيب إنما يشير إلى فسقه وخيانته لك. أما لحيتك فتبشرك بأن ابنك سيكون ذا شأن وسيادة بإذن الله بين أهله وقومه. وعدم لحاقك بوقت الصلاة معناه عسر في الأمر الذي استخرتِ من أجله، فأنصحك بعدم قبول هذا الرجل المتقدم لخطبتك والخيرة فيما اختاره الله والله أعلم.

اقشعر بدن قمرة بعد سماعها تفسير الشيخ وأسرعت لإخبار أمها التي أخبرت بدورها أخاها فثار وتوعَّد. لكن أم محمد امتصت غضبه بخبرتها حتى انتهى الأمر وصرف الجميع نظرهم عن هذه الخطبة التي لم يكتب الله إتمامها.

(٣٤)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 1/10/2004
Subject: العزاء

آه! يــا قِــبـلــة أقــدامــي إذا   شـكـت الأقـدامُ أشـواكَ الطـريـق

إبراهيم ناجي

تستمر سلسلة العروض المغرية والاقتراحات التي لا أميز صدقها من كذبها: جاءني اقتراح من أحد المخرجين السعوديين بتحويل إيميلاتي إلى مسلسل رمضاني! لِمَ لا؟ إن كنا سنطبعها كرواية، فلم لا نصورها تلفزيونياً؟ بما أنني أتفق مع ناقدنا عبد الله الغذامي في كون الأدب بورجوازياً والصورة ديموقراطية، فأنا أفضل المسلسل على الرواية، لأنني أريد أن تصل قصص صديقاتي إلى الجميع، وهكذا تكون البداية.

هنا يأتي السؤال المهم؛ من ستقبل التمثيل في مسلسلي؟ هل سنستعين بممثلات من الدول الخليجية المجاورة فنضحي بالحوار

السعودي اللهجة؟ أم سنجعل شباناً سعوديين يتنكرون للقيام بأدوار الفتيات فنفضحي بالمشاهدين؟!

* * *

امتلأ منزل الشيخ عبد الله الحريملي، أكبر عمومة سديم، بالمعزين في والدها عبد المحسن، الذي وافته المنية في مكتبه وسط المدينة إثر إصابته بسكتة قلبية مفاجئة، لم تمهله طويلاً.

هناك، في أبعد ركن من صالة استقبال الضيوف، جلست سديم تجاورها قمرة ولميس اللتان تواسيانها ودموعهما أكثر من دموعها. كيف ستعيش سديم ولا أم لها ولا أب لها يرعيانها؟ كيف ستنام وما من أحد معها في هذا المنزل الكبير؟ هل ستتمكن من العيش في كنف أحد عمومتها الذين سيجبرونها بالتأكيد على العيش في منزل أحدهم؟ أسئلة كثيرة لا تعرفان ولا تعرف سديم إجابتها في تلك اللحظات العصيبة. ماتت أمها قبل أن تتعرف إليها، ومات أبوها وهي في أمس الحاجة إليه. إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم لا اعتراض.

كانت أم نوير تقف إلى جانب زوجات أعمام سديم وخالتها بدرية لاستقبال المعزيات، وعيناها تبحثان عن سديم بين الفينة والأخرى لتطمئن إلى حالها الذي يقطّع القلب.

تتأمل سديم بأسى النساء اللواتي ملأن الغرفة، لا تبدو على أي منهن ملامح الحزن، بعضهن جئن بكامل الزينة والأناقة، وبعضهن انصرفن للحديث حتى بلغت منهن قلة الذوق أن يفلتن ضحكات خافتة من هنا وهناك!! هل هؤلاء من قدمن لتعزيتها في مصابها الجلل؟ أتجلس لاستقبال التعازي ممن لا يتعاطف معها حقاً وتترك الذي يحترق

قلبه نكداً على ألمها ويتفتت قلبه حزناً لحزنها دون أن يستطيع الاقتراب منها ومواساتها كما يحق للباقين!

هربت سديم من الغرفة التي لا يشعر فيها أحد بما يعتصر قلبها من ألم. لا يفهمها سوى فراسها. لا أحد يدرك مدى تعلقها بأبيها غيره. فراس وحده الذي يستطيع التخفيف عنها. هو من تبقى لها بعد رحيل أبيها. يا لحاجتها إليه!

رسائله على هاتفها الجوال لم تنقطع. كان يحاول باستمرار أن يُشعرها بوجوده إلى جانبها، ويذكّرها بأنه يشاركها الحزن والخسارة. أبوها أبوه، وهي روحه، ولن يتخلى عنها مهما حصل.

في الثلث الأخير من الليل، أمسك فراس بكتيب الأدعيةِ وراح يقرأ على سديم عبر الهاتف طالباً منها أن تؤَمّن وراءه:

- «اللهم إنَّ عبد المحسن الحريملي في ذمتك فقِهِ فتنة القبر وعذاب النار، واغفرِ له وارحمه، إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم إنه عبدك، ابن عبدك وابن أمتك، كان يشهد أن لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك. اللهم انقله من مواطن الدود وضيق اللحود إلى جنات الخلود. اللهم ارحمه تحت الأرض، واستره يوم العرض، ولا تخزِهِ يوم يبعثون. اللهم يمّن كتابه، ويسّر حسابه، وثقّل بالحسناتِ ميزانه، وثبِّت على الصراط أقدامه، وأسكِنه في أعلى الجنات بجوار نبيّك ومصطفاك صلى الله عليه وسلم، يا أرحم الراحمين، يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال و الإكرام. . .».

كان فراس يقرأ الدعاء بصوت متحشرج وقلبه يتفطر من نحيب

سديمه، لكنه لم ييأس من محاولة انتشال حبيبته من حزنها، وظل يطببها بحنانٍ أبوي وتفانٍ مطلق كأنه متفرغ لها ورهن إشارتها. لم تشعر للحظة ببعده أو عجزه عن احتوائها فعلياً.

بقي فراس مع صغيرته سديم حتى ابتلعت لقمة الحزن الأولى الفاجعة، ثم بقي بعد ذلك إلى جانبها يساعدها حتى تتمكن مع مرور الأيام من هضمها.

(٣٥)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 8/10/2004
Subject: الدِّلو الدِّلو الدِّلو الدِّلو!

وما دمتم نَفَساً في فضاء الله، وورقة في غابته، فحري بكم أن تستريحوا في العقل وتتحركوا في الهوى.

جبران خليل جبران

اسمحو لي أن أنتشلكم من أحزانكم بعد إيميلي السابق لأبارك لكم هذا الأسبوع بمناسبة قرب حلول شهر رمضان المبارك، أعاده الله علينا وعلى المسلمين كافة وأعاننا على صيامه وقيامه.

أعتذر لكم عن إرسال الرسائل خلال هذا الشهر، وأعدكم بمتابعة قصص صديقاتي بعد انقضاء الشهر الفضيل: أعترف لكم مسبقاً بأنني سأشتاق إليكم، سأعود محمَّلة برسائل خطيرة بعد رمضان بإذن الله، فانتظروني.

* * *

بعد انتهائهما من سنتهما الجامعية الرابعة، قررت لميس وتماضر أن

تستغلا العطلة الصيفية في التدرب في أحد المستشفيات بجدة. لم يكن مسموحاً لهما ولبقية المتدربين والمتدربات بالتعاطي مع المرضى كأطباء مرخصين، وإنما كانت مهماتهم تقتصر على مراقبة الأطباء المقيمين والاستشاريين أثناء فحصهم للمرضى، وأحياناً أثناء إجراء العمليات ومحاولة التعلم والاستفادة منهم.

لم يكن معهما في المستشفى من المتدربين سوى طالبين من طلاب الطب البشري وبضعة طلاب وطالبات من كلية طب الأسنان يمضون فترة التدريب في قسم الأسنان بالمستشفى.

في بداية الأمر، كانت تماضر تشعر بالإحراج كونها وأختها الفتاتين الوحيدتين مع طالبَي الطب البشري، حتى أنها كانت تتعمد التأخر عن الحضور للمستشفى في الصباح وتخرج منه قبل نهاية الدوام الرسمي، بعكس لميس التي كانت دقيقة في مواعيدها وحريصة على ألا يفوتها شيء من تلك المغامرة الجديدة.

كان أطباء المستشفى وموظفوه في غاية اللطف معهما، لكن تماضر ظلت تستحي من أن تشارك الطالبين جلوسهما في الغرفة الصغيرة أثناء ساعات الفراغ كما كانت تفعل أختها الجريئة، ولم تكن لتستطيع أن تنضم إلى الطبيبات أو الأطباء المنتظمين في استراحاتهم، ولذلك فقد ظلت على ارتباكها وحيرتها، محافظة على الحدود التي رسمتها بينها وبين زميليها، وعاجزة عن التأقلم مع هذا الوضع المزعج الذي لا يناسب سوى أختها المندفعة التي تغيظها بانسجامها السريع مع جميع موظفي المستشفى!

بعد حوالى أسبوع من بداية تدريبهما الصيفي، انقطعت تماضر عن

الذهاب إلى المستشفى مع أختها، واعتذر أحد الطالبين عن إكمال برنامج تدريبه للسفر إلى الخارج، وهكذا بقيت لميس الطالبة المتدربة الوحيدة إلى جانب زميلها نزار. لاحظت لميس أن وجودها مع طالب واحد أفضل بكثير من وجودها مع طالبين تشعر عند اقترابها منهما بالتطفل. فحال نزار الآن ليست بأفضل من حالها، كلاهما لا يجد سوى الآخر ليمضي معه الوقت الضائع ما بين مواعيد المرضى والعمليات.

كشف لها هذا التقارب الذي لم تخطط له، شخصية نزار الرقيقة. كانت معاملته لها تختلف عن معاملة أحمد أو بقية أصدقائها لها على الإنترنت. كان يتصرف بعفوية آسرة، مع أنها كادت تسيء فهم نواياه في البداية، مثل ذلك اليوم عندما دعاها لتناول طعام الغداء معه في بوفيه المستشفى، وكان ذلك في أول يوم لهما بعد غياب زميله. رفضت لميس دعوته متذرعة بقراءة كتاب طبي بين يديها، وأخبرته بأنها ستتناول غداءها بعد دقائق، فما كان منه إلا أن ذهب إلى البوفيه وعاد منه بطبقين، أحدهما له والآخر لها. قدم الطبق لها بأدب وهو يذكّرها بموعد العملية التي ينويان حضورها بعد ساعة، ثم حمل صينيته وتناول طعامه في إحدى غرف المرضى الخالية.

لم تحتج لميس لفترة طويلة حتى تعتاد على عفوية نزار وتُعجَب بشخصيته المهذبة. بدأ الحوار بينهما يتجاوز خطوط الطب وطرائق العلاج وتأثيرات الأدوية وآخر العمليات التي حضراها معاً، ثم سرد أحلام كل منهما لنفسه وتصوراته لحياته بعد التخرج، ليصل إلى حياتهما الشخصية وجذور عائلتيهما وعدد الإخوة والأخوات والمشاكل اليومية الصغيرة وغيرها من الأحاديث التي تشير إلى أن ثمة ثلجاً قد تكسر.

على إحدى الطاولات المنتشرة في البوفيه، كانت البصّارة لميس

تخمّن البرج الفلكي الذي ينتمي إليه نزار، وهو يتابعها بحماسة من يتعلم لعبة جديدة:

- إنتا أكيد إما قوس أو دلو. أتوقع دلو... لا قوس! لا، لا، دلو... دلو!!

- طيب قولي لي أيش صفات هادا وأيش صفات داكا؟ (يعقّب نزار بخبث) علشان أعرف مين أختار!

- لا، لا، ما يصير. أمانة أيش برجَك؟

- احزري!

- قولتلّك! دلو أو قوس. ما شكلك عذراء؛ رجال العذراء دمهم تقيل بالمرة ورومانسيين بزيادة! يرفعوا الضغط، وما شكلك تور.

- ربي يطمنك يا ستي!

- جايز حمل؟ صح! ممكن تكون حمل!

- إيوه كملي! وأيش كمان؟ ما خليتي برج ما قلتيه! وعاملة فيها بتفهمي في الأبراج يا بكاشة!

- خلاص خلاص، يا حمل يا قوس.

- خلاص؟ هادا آخر كلام؟

- إيوه.

- طيب...

- طيب أيش؟

- طيب ما أبغى أقهرك وأقول لك إني دلو!

- يا ...!! أنا من الأول قلت دلو بس أنت لخبطتني!!

- أنا لخبطتك! والاّ أنتِ اللي كل شوية تغيري رأيك!
- يا دُب!
- يا نعم!
- نعم الله عليك يا خويا. يالله قوم ورانا راوند.
- طيب ومتى حتقولي لي مواصفات برج الدلو؟
- أقولها لك دحينا. رجال الدلو وِحشين وشايفين حالهم ودمّهم تقيل بس في بنات من برج الميزان بيدّوهم وِش!
- يا بختهم!
- مين؟ رجال الدلو؟
- لا . . . اللي بيدوهم وش يا فالحة!!

كان أول ما فعلته لميس حال عودتها للمنزل ذلك اليوم هو البحث في كتب الأبراج عن نسبة التوافق بين برجي الميزان والدلو. وجدت أن النسبة تصل في أحد الكتب إلى ٨٥٪، وفي كتاب آخر لا تتجاوز الـ ٥٠٪، فقررت أن تصدق النسبة الأولى، لكنها هذه المرة ستحسن التخطيط والتكتيك حتى تصل إلى مرادها، سوف توقع نزار في شباكها بذكائها، وسوف تثبت لقمرة أن بعض الفتيات بإمكانهن أن يحلمن بأي شخص يردنه، وبقليل من الجهد والصبر، يمكنهن أن يحصلن عليه!

لم تنم تلك الليلة إلا بعد صلاة الفجر، بعد أن ملأت مذكراتها بخطط حربية وقوانين يجب عليها السير وَفقها وتذكير نفسها بها إذا ما أراد القلب أن يشطح مع الأيام. كانت هذه عادتها؛ أن تدون أفكارها على الورق لتلتزم بقراراتها في ما بعد. كانت عادة علمتها إياها والدتها الدكتورة فاتن.

كتبت ملاحظات عامة من مشاهداتها في الحياة ومحاذير استخلصتها من تجاربها وتجارب صديقاتها وقريباتها مع الرجال، ونصائح سمعتها أو قرأتها في يوم ما وظلت قابعة في ذاكرتها بانتظار التنفيذ. . . بدأت جميع توجيهاتها لنفسها بـ: «لن»:

- لن أسمح لنفسي بحبه قبل أن أشعر بحبه لي.
- لن أتعلق به قبل أن يتقدم لي رسمياً!
- لن أتبسط معه في الحديث ولن أحدثه عن نفسي، سأظل غامضة بالنسبة إليه (هكذا يفضل الرجال المرأة) ولن أُشعره بأنه على علم بما ما يدور في حياتي مهما شعرت بالحاجة لفعل ذلك!
- لن أكون سديم، ولا قمرة، ولا ميشيل!
- لن أكون قطُ البادئة بالاتصال، ولن أرد على الكثير من مكالماته.
- لن أُملي عليه ما يفعل كما تفعل بقية النساء بالرجال.
- لن أتوقع منه أن يتغير من أجلي، ولن أحاول تغييره. إن لم يعجبني بجميع عيوبه فلا داعي لأن نستمر معاً!
- لن أتساهل في حقوقي ولن أسامحه على الخطأ حتى لا يعتاد على ذلك.
- لن أعترف له بحبي (إن أحببته) قبل أن يصرح هو لي بحبه أولاً.
- لن أغيّر نفسي من أجله.
- لن أغمض عينيَّ عن أي مؤشر للخطر!!
- لن أعيش في وهم. إن لم يصرح لي بحبه خلال مدة أقصاها ثلاثة شهور، ويخبرني بوضوح عن مصير علاقتنا، فسوف أنهي العلاقة بنفسي.

(٣٦)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 12/11/2004
Subject: ميشيل تتحرر من القيود

لا أدّعي أني قلت هنا الحقيقة كاملة، ولكني أرجو أن كل ما قلته هنا حقيقة.

غازي القصيبي: «حياة في الإدارة»

كل عام وأنتم بخير.

تقبل الله صيامكم وقيامكم وصالح أعمالكم. اشتقت إليكم جميعاً؛ حلفاء وأعداء، وتأثرت بسؤال الجميع الذي لم ينقطع عني طوال الشهر الفضيل. ها قد عدت إليكم عودةَ الصائم إلى الفطر في شوال. ظن البعض أنني سأقف عند هذا الحد ولن أكمل القصة بعد رمضان. أحب أن أطمئن المحبين وأغيظ الحاسدين بأن هذه ما زالت البداية، وما زال فتيل الاعترافات طويلاً بداخلي. وكلما طال احتراقه، ازدادت كتاباتي توهجاً.

* * *

تأقلمت ميشيل مع حياتها الجديدة بأسرع مما كانت تنتظر، وحاولت أن تضع وراء ظهرها تجاربها السابقة التي لم توفق في أي منها لتبدأ من جديد. صحيح أن الغضب والسخط على العالم بأسره ظلا قابعين داخلها، لكنها استطاعت أن تتعايش معهما حتى بدت طبيعية بالنسبة لمن هم حولها. ساعدها أن دبي كانت أجمل مما توقعت، وأن تعامل الجميع معها ومع أسرتها كان أرقى مما كانت تنتظر.

تعرفت في جامعتها الجديدة إلى جمانة؛ طالبة إماراتية في مثل سنها تدرس تقنية المعلومات. كانتا تشتركان في دراسة بعض المواد، وكانت جمانة تلفت انتباهها دائماً لجمالها وأناقتها ولكنتها الأميركية المتقنة، وسرعان ما توطدت العلاقة بينهما. فرح والد ميشيل بعلاقة ابنته بابنة أحد أكبر رجال الأعمال في الإمارات وفي الخليج وصاحب واحدة من أنجح القنوات الفضائية العربية. كان ميشو (مشعل) أخو ميشيل، يخبر جمانة في كل مرة تأتي فيها لزيارتهم أنها تكاد تكون نسخة من أخته؛ الطول والجسم نفساهما، وتسريحة الشعر نفسها، والذوق نفسه في اختيار الملابس والأحذية والحقائب والإكسسوارات. كان ميشو محقاً! كانت الفتاتان تشتركان في كثير من الأمور، وقد ساعدهما ذلك على التقارب إلى حد كبير وحررهما من عقدة الغيرة بين الصديقات اللواتي لا يمتلكن الإمكانات الجمالية والعقلية والمادية نفسها.

اقترحت جمانة على ميشيل أن تعمل معها في بداية العطلة الصيفية في محطة والدها الفضائية، فوافقت ميشيل التي تحمست للفكرة كثيراً. شاركت الفتاتان في إعداد أحد البرامج الخاصة بالشباب ويُبَث أسبوعياً على الشاشة الصغيرة. كانت كل منهما تبحث عن أحدث الأخبار الفنية

على مواقع الإنترنت الأجنبية والعربية، وتعدان تقاريرهما يومياً لتقديمها لمُعِد البرنامج الذي لاحظ حماستهما البالغة ونشاطهما المميز، فأوكل إليهما إعداد الفقرة الفنية بأكملها. حدث ذلك في الشهر الأخير من العطلة الصيفية، ولذلك فقد أُلقيت المهمة على عاتق ميشيل وحدها بعد أن سافرت جمانة مع أسرتها لقضاء الشهر المتبقي من العطلة في إسبانيا.

انهمكت ميشيل في إعداد الفقرة الفنية كل أسبوع واستمرت في تلك الوظيفة حتى بعد انقضاء العطلة الصيفية وبدء الدراسة. كانت الفقرة تختص بأخبار الفنانين والفنانات العرب والأجانب. حصلت من مُعِد البرنامج على أرقام عدد كبير من مديري أعمال الفنانين والفنانات في العالم العربي وعناوينهم، فصارت تتصل بهم للتأكد من صحة هذه الإشاعة أو تلك، أو لترتيب لقاء هاتفي أو مباشر مع أولئك الفنانين. ساعدتها هذه المهمة وأسلوبها اللبق في الحوار على تكوين علاقات كثيرة مع عدد من المشاهير الذين صاروا يعرفونها شخصياً ويجتمعون بها أثناء زياراتهم إلى دبي، وصارت تُدعى إلى حفلاتهم بشكل دائم.

تطور بها الأمر حتى عيُنت رسمياً مُعِدة للبرامج في تلك القناة وصار لها برنامجها الخاص الذي تقوم بتقديمه مذيعة لبنانية شابة، بعد أن رفض والدها السماح لها بتقديم برنامج على شاشة قناة فضائية يصل بثها إلى منازل أقاربه في السعودية.

فتح لها العمل في المجال الإعلامي الذي يعد اختصاصها، آفاقاً جديدة. شعرت لأول مرة بتحررها الفعلي من جميع القيود التي كانت مفروضة عليها من قبل. تعرفت إلى أنواع مختلفة من البشر، وشعرت

بأنها أكثر ثقة بنفسها وبأنها تستطيع تحقيق كل ما تريد بصداقاتها الواسعة وعلاقاتها الكثيرة. كان الجميع يحبونها، وكانت تقابل محبتهم بالمزيد من التميز والنجاح. ظلت جمانة صديقتها المقربة، لكنها لم تكن تهوى العمل الإعلامي بشكل كبير، فاستلمت وظيفة إدارية في المحطة بعد تخرجها الذي سبق تخرج ميشيل بحوالى عامين.

(٣٧)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 19/11/2004
Subject: رجل كالآخرين؟!

أدري طريقي صعب
وأدري فراقك صعب
حتى رجوعي صعب
مابه حلول لكن باقول
تعذبي يوم، يمكن شهر
انسي السهر وانسي القهر، وانسيني
عيشي حياتك كلها، بحلوها وبمرها
يمكن تلاقي لك حبيب
يصير لجروحك طبيب
وترجع فرحتك ثاني
وتنسى الحب وتنساني
وتترك ديرة احزاني

بدر بن عبد المحسن

الأخ عادل الفايق ـ الذي يبدو لي أنه متخصص في مادة الإحصاء ـ أرسل لي منتقداً رسائلي لأنها تأتي بأطوال متباينة وغير متناسقة كأطراف الفساتين حسب موضة هذه السنة. يقول الأخ إنه كي تكون أطوال إيميلاتي متناسقة فإنه يجب أن يتم توزيعها توزيعاً طبيعياً. وحسب الأخ عادل فإن التوزيع الطبيعي هو ما تتمحور ٩٥٪ من البيانات فيه حول المعدل الطبيعي، مع مراعاة عامل التنوع أو «الستاندرد ديفييشن»، وأن تكون نسبة البيانات الخارجة عن منطقة التمحور هذه ـ سواء المنخفضة عنها أو المرتفعة ـ لا تتعدى الـ ٢,٥٪ في كلتا الناحيتين، لما مجموعه ٥٪.

أحد معاه ريال؟

* * *

أتت النهاية التي ظلت سديم تغمض عنها عينيها لمدة ثلاث سنوات ونصف السنة. بعد أن أهداها فراس جهاز الكمبيوتر المحمول «اللاب توب» الذي وعدها به في عطلة نصف العام الدراسي بعد تخرجها بأيام، أخبرها بصوت خافت وكلمات تقطر ببطء كقطرات الماء من صنبور مقفل، بأنه قد خطب فتاة تقرب لأحد أزواج أخواته الخمس.

ألقت سديم بسماعة الهاتف غير عابئة بتوسلات فراس. شعرت بدوامة عنيفة تشدها إلى أسفل؛ تشدها إلى ما تحت الأرض! حيث يسكن الموتى الذين تمنت أن تكون إحداهم في تلك اللحظة.

أيعقل أن يتزوج فراس بغيرها؟ كيف يمكن لمثل هذا أن يحدث!!؟ بعد كل هذا الحب والسنوات التي عاشاها معاً؟ أيعقل أن يعجز رجل بقوة فراس عن إقناع أهله بزواجه من فتاة قد سبق لها الارتباط برجل

قبله، أم أنه عجز عن إقناع نفسه بذلك قبل كل شيء؟ أتكون فشلت بعد كل هذه المحاولات في أن تصل إلى درجة الكمال الذي يليق برجل مثل فراس؟؟

لا يمكن أن يكون فراس نسخة أخرى من فيصل حبيب ميشيل! كانت تراه أكبر وأقوى وأكثر شهامة من ذلك المتخاذل الذي تخلى عن صديقتها بلا رجولة، فإذا به من الفصيلة نفسها. لا فرق بين أفراد تلك الفصيلة سوى بالشكل. يبدو أن الرجال جميعهم من صنف واحد وقد جعل الله لهم وجوهاً مختلفة حتى يتسنى لنا التفريق بينهم فقط!

كان فراس قد اتصل بها على هاتفها الجوال ثلاثة وعشرين اتصالاً خلال سبع دقائق، لكن الغصة التي في حلق سديم كانت أكبر من أن تسمح لها بالحديث معه! لأول مرة لا ترد سديم على اتصال لفراس بعدما كانت تهرع إلى الجوال لحظة أن تسمع نغمة اتصاله المميزة؛ «لقيت روحي بعد ما أنا لقيتك... وبعد اللقا أرجوك لا لا تغيبي...». راح يكتب لها رسائل نصية تصلها رغماً عنها، يحاول أن يوضح فيها ما حدث، فتقرأ ويزداد غضبها بدلاً من أن تهدأ.

كيف استطاع أن يُخفي عنها نبأ خطوبته لمدة أسبوعين هي مدة امتحاناتها النهائية؟! كان يحادثها عشرات المرات كل يوم ليطمئن إلى سير مذاكرتها وكأن شيئاً لم يكن! ألهذا السبب كان قد كف عن الاتصال بها باستخدام هواتفه الخاصة وصار يتصل بها بواسطة البطاقات المسبقة الدفع حتى لا يكتشف أهل خطيبته ما بينه وبينها من علاقة إذا ما حاولوا مراجعة فواتير هواتفه الخاصة؟؟ إذاً، فقد كان يعد لهذا الأمر منذ أشهر!!

كتب لها أنه أصر على ألا يعلمها بالأمر قبل أن يطمئن إلى تخرجها من الجامعة بتفوق، وكان هذا ما حدث، فقد حصلت في ذلك الفصل على أعلى الدرجات، مثل عادتها مذ أن تعرفت إلى فراس.

كان فراس ينصّب نفسه مسؤولاً عن دراستها وتفوقها وكانت هي تسلم له زمام الأمور وتكتفي بطاعة أوامره بسعادة، فهي تصب دائماً في مصلحتها. لقد تفوقت في هذا الفصل على الرغم من وفاة والدها قبل موعد امتحاناتها النهائية بعشرة أسابيع. ودت حينها لو أنها لم تتفوق ولم تنجح ولم تتخرج. لو أنها رسبت، لما شعرت بهذا الذنب الثقيل بسبب تفوقها رغم وفاة والدها القريبة، ولما استطاع فراس أن يتركها ليتزوج إلا بعد فصل دراسي آخر!!

هل سيرحل فراس عنها إلى الأبد كما رحل والدها قبل أسابيع؟ من سيرعاها بعدهما في هذه الحياة؟؟ خطرت ببال سديم وفاة أبي طالب، عم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووفاة السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ في عام واحد، وتسميته عام الحزن. استغفرت الله وهي تفكر بأن أحزانها هذا العام تعادل أحزان كل البشر على وجه الأرض.

انقطعت عن تناول الطعام ثلاثة أيام متواصلة، ولم تقوَ على مغادرة غرفتها إلا بعد أسبوع كامل من سماعها للنبأ الذي شل مشاعرها وأفكارها وجوارحها وتركها لأول مرة منذ سنين بحاجة لاتخاذ قرارات من دون استشارة المستشار فراس.

ألمح لها في رسائله النصية المتواترة بأنه مستعد لأن يبقى حبيبها طوال العمر. هذا هو ما يريده بالفعل، لكنه سيضطر لإخفاء ذلك عن زوجته وأهله! أقسم لها إن الموضوع ليس بيده، وإن الظروف كانت أقوى منه ومنها، وإنه يتألم لهذه النتيجة التي وصلا إليها أكثر منها، ولكن ما باليد حيلة! ليس أمامهما إلا الصبر.

حاول إقناعها بأنها ستظل حبيبته مدى الحياة، وأنه لن تتمكن امرأة أياً تكن من احتلال مكانها في قلبه. أخبرها أنه يرثي لحال خطيبته منذ الآن لأنها ارتبطت برجل قد تذوق طعم الكمال في امرأة قبلها، وسيظل الطعم باقياً على لسانه، يستحيل على امرأة عادية أن تمحوه!

بعد سنين من سعيها وراء الكمال الذي لا يليق برجل مثل فراس سواه، ركل فراس كمالها بقدمه والتفت إلى العادية، بل التفت إلى الابتذال حتى يخلّص نفسه من عناء المقارنة بين أية فتاة قريبة من الكمال وبينها. اعترف فراس لنفسه ولها بأنها وحدها التي تشبع كل عاطفة وغريزة داخله. حاول إقناعها وإقناع نفسه قبلها بأنه قد أعلن استسلامه أمام مشيئة الله التي أبت اجتماعهما، ولذلك فقد تساوت في نظره جميع النساء، ولا فائدة من التنقيب عمن توازيها، فهي الوحيدة التي اختزلتهن جميعاً في روحها، ومن الصعب عليه التفكير باحتمالية وجود من تشبهها على وجه الأرض.

كان قرار الابتعاد أول قرار اتخذته بعد الصدمة ومن دون أن تفكر بعواقبه. حال سماعها خبر خطبته، لم تستطع أن تستمر في التمثيل. أنهت تلك المكالمة من دون توديعه لأول مرة في حياتها، ورفضت الرد على مكالماته ورسائله المستعطفة بعد ذلك رغم كل الألم الذي كان يعتصرها بعنف شيطاني. كانت تلوذ بذموعها الساخنة التي لم تجف دقيقة واحدة على مدى أسبوعين. كانت تداري حزنها على فراس بحزنها على والدها الذي اشتد قسوة بالفعل بعد انقطاعها عن حبيبها.

حاولت بصدق أن تتجاوز محنتها من دون مساعدة فراس. كانت تجلس إلى مائدة الطعام مع خالتها بدرية فلا تمر دقيقة حتى تنهار باكية؛ أمام طبق من السمك الذي يحبه، أو صحن من المهلبية التي يعشقها.

كانت تكتم غصتها وهي تشارك خالتها مشاهدة التلفاز فتنفلت الدموع رغماً عنها، يتبعها أنين لا تقوى على كتمانه.

لو كان الأمر بيدها، لو لم يكن بها بقية من عقل وأشلاء كرامة، لكانت ذهبت برجليها إليه وارتمت بين أحضانه لتفرغ ما في قلبها من حقائب البكاء على صدره الذي ليس لها سواه في هذا العالم... لراحت تشكوه إليه وتستنجد به منه.

خالتها بدرية التي كانت قد انتقلت للسكن معها في المنزل بعد وفاة أبيها حتى تنتهي سديم من تقديم امتحاناتها النهائية، تصر الآن على أخذها للعيش معهم في مدينة الخبر بالمنطقة الشرقية، لكن سديم ترفض. لن تنتقل للسكن في مدينة فراس مهما كلف الأمر! لم تعد تطيق العيش معه تحت سماء واحدة بعد ما فعله بها وبعد الجرح الذي سببه لها، فكيف تعيش في مدينته نفسها؟ تقسم خالتها إنها لن تدعها وحدها في الرياض مهما فعلت ومهما قالت ومهما تذرعت، بمنزل أبيها والذكريات التي يعز عليها فراقها.

لم يمض على انقطاعها عنه سوى أيام وها هي تشعر منذ الآن بحاجة ماسة إليه. لم يكن مجرد شوق وحنين، وإنما كان شعور المخنوق بعد انقطاع الهواء عنه. كان فراس الهواء الذي تتنفسه على مدى سنوات، وكان الشخص الوحيد الذي تسرد له تفاصيلها اليومية بإسهابِ مذنبٍ يجلس على كرسي الاعتراف أمام كاهنه. كانت تحكي له عن كل شيء حتى يسخر منها بسبب أحاديثها التي لا تنتهي، ويضحكا معاً وهو يذكرها بالأيام الخوالي في بداية علاقتهما، عندما كان يجرجر منها الكلمات من فمها بطلوع الروح!

(٣٨)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 26/11/2004
Subject: الصبر مفتاح الـ . . زواج

الرجل له مصباح هو الضمير، والمرأة لها نجم هو الأمل. فالمصباح يهدي، والأمل ينجي.

فيكتور هوغو

حزن البعض على فراق سديم وفراس، وفرح البعض لأن فراس اختار زوجة صالحة بدلاً من سديم التي لا تصلح لأن تكون أماً لأبنائه. قرأتُ ضمن الرسائل التي وصلتني عبارة تقول إن الحب الذي يأتي بعد الزواج هو الحب الذي يدوم، وإن ما قبل الزواج من مشاعر ليس إلا عبثاً وضحكاً على الذقون، فهل هذا صحيح برأيكم؟

* * *

ـ لم تعتقد لميس أن خطتها أو «رسمها» على نزار سوف يتطلب منها كل هذا الصبر وبرودة الأعصاب! كانت في البداية تظن أن مهلة الأشهر الثلاثة كافية لإيقاعه في شباكها، ولكنها مع الوقت اكتشفت أن الأمر

يتطلب منها الكثير من الحنكة والصبر، وهذان في تناقص مستمر مع ازدياد إعجابها بنزار!

لم تتصل به قطُّ، وكانت تحاول جاهدة أن لا ترد على بعض اتصالاته الشحيحة. كانت تشعر بقواها الخارقة تضعف مع كل رنة من هاتفها الجوال، تظل عيناها معلقتين برقمه الظاهر على شاشة الجوال حتى يكف الجهاز عن الرنين ويكف قلبها عن الخفقان على وزن رنة الجوال!

كانت النتيجة مُرضية في البداية، فقد أرضى اهتمامه بها غرورها. حذرته بحزم منذ البداية من أن يتدخل في حياتها، وأفهمته أن صداقتهما لا تعني أن من حقه أن يتطفل عليها ويسألها عن جدولها اليومي. كان يعتذر لها باستمرار مبرراً اهتمامه بحرصه على معرفة أوقات فراغها حتى لا يزعجها أثناء انشغالها، ثم إنها لا ترد على الرسائل النصية التي يبعثها إليها! أخبرته أنها لا تحب كتابة الرسائل النصية فهي تتطلب منها وقتاً ليست في غنى عنه (لو وقع هاتفها بين يديه لوجده مليئاً بالرسائل المرسلة والمستقبلة من صديقاتها وقريباتها!).

بدأ اهتمامه بها يخفت تدريجياً باعثاً في نفسها القلق والخوف، فاتصالاته قلَّت بشكل ملحوظ، وحديثه أصبح أكثر جدية ورسمية، كأنه بدأ يضع لعلاقتهما حدوداً لم يكن يضعها من قبل. اعتقدت لميس أن الوقت قد حان للاستغناء عن خطتها المتشددة، لكنها خافت أن تندم بعد ذلك على استعجالها وهي التي تنتقد سذاجة صديقاتها وقلة صبرهن على الرجال. ظلت تواسي نفسها بكون نزار ليس من نوعية الشباب السهل، وأن هذا على الأرجح أكثر ما يشدها إليه، وما سيملأها فخراً في ما بعد، إن هي نجحت في الحصول عليه!

حاولت أن تحتفظ بإيجابيتها طوال الشهور الثلاثة التي حددتها للعلاقة. كانت تذكّر نفسها بمدى إعجاب نزار بها وهي تنبّش في ذاكرتها عن كل صغيرة تشير إلى ذلك. بدا الأمر سهلاً خلال الشهر الأول من عودتها إلى الرياض، فالأحداث التي مرت بهما في جدة ما زالت طازجة بعدُ في عقلها. كان يُحسن الاستماع إلى حديثها، وكان يستمتع بما تقول وما تفعل حتى وإن كان ما تقوله أو تفعله غاية في الغباء أو التفاهة، كنكتة سخيفة أو صنع فنجان من النسكافيه كل صباح. حتى أحاديثهما الهاتفية خلال الشهر الأول من بداية الدراسة كانت تدل على إعجاب مبطّن، فرغم أنها كانت جافة معه في كثير من الأحيان وكانت تختلف معه في كثير من الأمور، إلا أنه كان دوماً من يبادر بالاتصال والاعتذار، إن استدعى الأمر.

في الشهر الثاني كانت قد استهلكت جميع الذكريات الواضحة، وتحولت إلى تلك الدقائق التي لم تلاحظها إلا بعد أن أجهدت ذهنها في التفكير، مثل ذكرى آخر يوم لها في المستشفى بجدة؛ عندما ذهبا لتناول الغداء في البوفيه، فسحب لها الكرسي قبل أن تجلس على إحدى الطاولات وما كان قد فعل ذلك لها من قبل، ثم جلس هو في الكرسي المجاور وليس المقابل كعادته، كأن الكرسي المقابل أبعد من اللازم في يوم الوداع، ثم استدراجه إياها مرات عديدة لأن تنطق ببعض الكلمات التي يحب سماعها منها بسبب طريقة لفظها المميزة لها، مثل كلمة water اللي تنطق حرف الـ t فيها كحرف d مثلما يفعل الأمريكان، وكلمة exactly التي يصرّ على تقليدها فيها بشكل مبالغ فيه ليبدو مضحكاً جداً eg-zak-ly! وكلمة أربعين التي لم تكتشف أنها من ضمن ألاعيبه حتى سألها في ذلك اليوم:

- أقول لك، كم كان عمر المريضة اللي شفناها من شويّة؟
- سبعة وأربعين سنة على ما أذكر.
- بكم البيتزا الكبيرة؟
- بخمسة وأربعين، ليش تبغانا نطلب بيتزا بعد ما شرينا كُل دا الأكل يا فجعان؟
- (وهو يغالب ضحكته): لا لا طنشي. طيب عشرة زائد تلاتين يساوي كم؟
- أربعين! يوه! إش بك يا نزار؟! ترى إذا ما قُلتللي أيش الحكاية راح أزعل منك!

ينفجر نزار ضاحكاً وهو يخبرها أنه يحب كثيراً طريقة لفظها تلك الكلمة بالذات: أربعين!

في بداية الشهر الثالث كان قد مر على آخر اتصالاته أسبوعان كاملان، تعبت خلالهما لميس من إيجابيتها وخططها التي لا تلتزم بها إلا من لا قلب لها، لكنها ظلت خائفة من التراجع، وقد قطعت في تنفيذ سياستها شوطاً لا بأس به! أقنعت نفسها بأن نزار سيعود في يوم ما، ولكن فقط في حال كونه مكتوباً في صفحة قَدَرها.

لم يخيب القدر ظنها، والخطة التي كانت تنوي إيقاف العمل بها إن لم يصرح نزار بحبه لها في غضون ثلاثة أشهر، نجحت في دفعه إلى التقدم لخطبتها رسمياً من أهلها قبل نهاية المهلة المحددة بثلاثة أسابيع!

(٣٩)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 3/12/2004
Subject: صفحات من الدفتر السماوي

لا توقظوا المرأة التي تحب. دعوها في أحلامها حتى لا تبكي عندما تعود إلى الواقع المر.

مارك توين

صديقي بندر، من الرياض، حانق علي لأنني أحاول ـ وفق رأيه ـ أن أصور رجال المنطقة الغربية كملائكة منزّهين عن الخطأ وكرجال غاية في الرقة والأدب وخفة الدم، بينما أصور البدو ورجال المنطقتين الوسطى والشرقية كرجال متوحشين وهمجيين في تعاملهم مع المرأة، وأرسم بنات الرياض على أنهن معقدات ومحرومات بينما بنات جدة غارقات في السعادة التي يحصلن عليها بمنتهى السهولة!

ليس الأمر متعلقاً بالجغرافيا يا بندر. إنها قصة أرويها كما حدثت، وأنا متأكدة من أنه لا يجوز التعميم في مثل هذه الأمور، ففي كل منطقة نرى أصنافاً متنوعة من الناس، وهذه طبيعة بشرية لا يمكننا إنكارها.

وأتمنى أن تكون أنت يا عزيزي قاعدةً جيدة لهؤلاء الذين تدافع عنهم، تعادل حموضة أبطال هذه القصة.

* * *

في صفحة من صفحات دفترها الأزرق بلون السماء، حيث اعتادت أن تلصق صور فراس التي تجمعها بعناية من صفحات الجرائد والمجلات، كتبت سديم:

آه... يا عَوّار القلب، يا حبي الوحيد

يا من وهبته العمر، الماضي والجاي

حبك بصدري ينوح، والعين تبكيك

ما لي سوى ذكراك، هي زادي بدنياي

أظلمتي يا دنياي، والتعت يا قلب

ومليتي يا روح من كثرة معاناي

وش يصلب الجسم، والقلب مذبوح؟

ما عاد لي بعدك، حِسٌ ولا راي

يا روح روح الروح! يا أغلى من لي

يا بعد قلبي، ويا غاية نواياي

لا من تعبت، ووسادتي ملّت

من دمع عيني، ومن حر شكواي

قمت وتوضيت، وإبليس هجّدته

وربي حمدته، حتى على بلواي

يالله يا رحمان. ما بيك تردّه!

بس ما بيك تهنيه! ولا يحبّها شرواي

جِعله يذوق الظيم والغيرة مثلي!

ويظل يحبني! ويتحلّم برؤياي

للحين أحبه. . . ما هقيته نساني

الله كريم. . .

يعوضني، عن البايع بشرّاي.

لم تعتد سديم كتابة خواطرها قبل أن تبدأ علاقتها بفراس. حبه كان يدفعها لديباجة رسائل حب تقرأها عليه بين الحين والآخر حتى يتطوس ويمشي مختالاً بريشه الذي تلونه له سديم بنفسها ريشةً ريشةً، لكن شيئاً ما حدث بعد خطوبة فراس، جعلها تنزف أبياتاً كل يوم في سكون الليل الذي اعتادت لثلاث سنوات ونصف السنة أن يشاركها ساعاتِه صوتُ فراس، كتبت:

إلى صديقي العزيز، وأغلى ما لديّا

إلى القلب الحنون، وتوأم الروح

أيا نجمةً سقطت، يوماً بين كفيّا

لم أكتب الشعر يوماً، ولم أكن أبداً

سعادَ أو بدراً، ولا إيليّا

لكنك اليومَ أنت تلهمني

زواجك حرّك كل ما فيّا

سنينَ طويلة قضيناها معاً

ثلاثاً سعيدة، والرابعة ها هيّا

تفجرت فيهن كل المشاعر

وعشتُ فيهن أحلى لياليّا

حبٌ، وشوقٌ، وحرمان طويلٌ

قربٌ وبعدٌ، قهرٌ وجنيّه

تفرّقنا الأقدار، لنعود ونلتقي

الحب يبقى، مهما استكبروا غيّا

قالوا وقلنا، وانتصروا هُمُ

آه لو عرفوا، ما قاسيتهُ ليّا

آه لو يدرون...

لو عانوا من الحب الذي

يحطم كل الجسور

يفتت كل الصخور

يبسّط كل الأمور

ليجمعنا علانيّة!

صديقي العزيز، ماذا نقول لهم؟

الله يسامحهم؟ أو لا يسامحهم؟

ما عدتُ أفرح، ولا عدت أحقد

شيءٌ بداخل صدري... تكسّر الشيّا!

إذا الله لم يكتب لنا أن نكون معاً

فالله أكبر. لا اعتراض لديّا

دعني أبارك لك، وبارك لها عني

يحقق لك الله كل الأمانيّا

يا أغلى ما لدي، ويا زوجة الغالي

يا رب اجعل كل أيامهما هنيّه

صديقي ستبقى معي دائماً

لن تصبحَ الذكرى يوماً منسيّه

ضَحَكاتنا، دمعاتنا

تبقى ما دام الذِّهنُ صافيّا

والقلب يبقى محباً، عاشقاً أبداً

حبنا الأول لا يمحوه تاليّا!

صديقي سنصبح أبطال الحكايات

نقصها على أطفالنا بأسماء وهميّه

صديقي تظل صديقي...

صديقي

أيا نجمةً سقطت، يوماً، بين كفيّا

الصراعُ الداخلي الذي عاشته سديم، وتَذبذبُ مشاعرها في تلك الفترة ما بين الصفح والغفران، جعلا من حياتها كابوساً مريراً. كانت عاجزة عن تحديد مشاعرها الحقيقية، فهي تسب فراس وتبصق على صوره لتعود بعدها لتقبيل الصور بحنان وهي تطلب الصفح منها! كانت تتذكر مواقفه معها طوال تلك السنين فتبكي ثم تتذكر تلميحه العابر قبل سنتين على مفاتحته لوالديه في موضوع الارتباط بمطلقة وردهما الذي جرحها يومها فتعمدت تناسيه (هذا ما كانت ميشيل ولميس تحذرانها منه) فتبكي المزيد وهي تتحسر على سنوات عمرها الضائعة وتدعو على وليد سبب كل شيء!

لاحظت قمرة ولميس وأم نوير أن سديم أصبحت أكثر تهاوناً في أداء صلاتها مؤخراً وأنها صارت تكشف عن شعرها عند ارتدائها للطرحة أكثر من ذي قبل. كان اهتمام سديم بالدين مرتبطاً بفراس، وحنقها عليه جعلها حانقة على كل شيء يذكرها به، حتى الدين.

في تلك الفترة، كانت خالتها بدرية تقضي أياماً معها في الرياض وأياماً مع أسرتها في المنطقة الشرقية، ولم تكف أثناء ذلك عن محاولات إقناع سديم بالانتقال معها للعيش في الخُبر بشكل دائم حتى يأتيها النصيب.

عندما رأت الخالة إحباط ابنة أختها الوحيدة وممانعتها فكرة السفر، قررت أن تلمّح لها برغبتها في تزويجها من ابنها طارق، علها تبث في قلبها الطمأنينة للمستقبل، لكن ذلك لم يزد سديم إلا غيظاً ومرارة.

أيريدون أن يزوجوها من ذلك الصبي المراهق طالب طب الأسنان الذي لا يكبرها سوى بعام واحد! ماذا تفعل به؟ تلعب معه «عروسة

وعريس؟» لو أنهم يعرفون شيئاً عن «فراسها» لما تجرؤوا على تقديم مثل هذا الطلب إليها! إنهم يستغلون وحدتها وحاجتها إلى منزل تعيش فيه باطمئنان من دون أن تطالها انتقادات الناس بعد وفاة أبيها. حتى خالتها بدرية تريد أن تضمن بتزويجها من ابنها بقاء سديم تحت مراقبتها. ومن يدري؟ قد يكون طارق بانتظار ما سترثه عن أبيها من أموال ليسلبها إياها بتحريض من والدته!

مستحيل! لن تتزوج لا منه ولا من غيره! سوف تترهبن في دار أبيها. وإن كانت خالتها بدرية مصرة على ألا تتركها تعيش في منزلهم بالرياض، فإنها ستقبل فكرة السفر والعيش معهم، لكنها ستملي عليهم شروطها ولن تسمح لأحد بأن يعاملها كشيء مسلّم به، مثلما كان فراس يعاملها!

(٤٠)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 10/10/2004
Subject: حِمدان بو مدواخ

ليس أصعب من حياة المرأة التي تجد نفسها حائرة بين رجل يحبها، ورجل تحبه.

جبران خليل جبران

أُصاب بتوتر كلما تخيلت شكل حياتي بعد أن أنتهي من سردِ هذه القصة! ماذا سأفعل بعد أن تعودت على رسائلكم التي تملأ فراغ أيامي؟ من سيشتمني ومن سيطبطب علي؟ من سيذكرني بعد ذلك؟ هل سأستطيع العيش في الظل بعد أن اعتدت أن أكون مثار الجدل في كل مجلس في البلاد على مدار شهور طويلة؟

يحز في نفسي مجرد التفكير في ما سيكون. صحيح أني بدأت بنية توضيح بعض الحقائق التي تخفى عن كثير منكم، إلا أنني تعلقت بالقصة كثيراً، وصرت أنتظر ردودكم على كل إيميل بفارغ الصبر، وأغضب إن لم تصلني تعليقات كافية، وأفرح إذا ما قرأت عني خبراً في

جريدة أو مجلة أو صفحة على الإنترنت. سأفتقد كل هذا الاهتمام بالتأكيد، وقد أشتاق إليه إلى درجة تحملني على الكتابة من جديد، فماذا تريدون مني أن أكتب إن فعلت؟؟ أنا على استعداد دائم لأن أكتب ما يطلبه القراء.

* * *

لا تصدق ميشيل أن صديقتها سديم تعتبر السعودية الدولة الإسلامية الوحيدة في العالم. فالإمارات دولة إسلامية في نظر ميشيل لكنها توفر الحرية الدينية والاجتماعية لشعبها، وهذا هو الصحيح في نظرها. تحاول سديم أن توضح لها أن كون الدولة مسلمة لا يعني بالضرورة كونها دولة إسلامية. السعودية هي الدولة الوحيدة التي تحكم بالشرع وحده وتطبقه في جميع النطاقات، أما الدول الأخرى فتعمل وفق الشريعة الإسلامية في القوانين العامة، لكنها تدع القرارات الفرعية لحكم البشر وذلك لمواكبة التطور المضطرد في شتى جوانب الحياة. ترى ميشيل الفجوة تزداد اتساعاً بينها وبين صديقاتها حتى تشعر في بعض الأحيان بأنها لم تنتم يوماً لتلك البيئة التي لا توافق أياً من أفكارها ولا ميولها ولا طموحاتها.

طموحها أن تستمر في العمل الإعلامي وأن تحصد المزيد من النجاح والشهرة. كانت تحلم بأن ترى صورتها يوماً على غلاف إحدى المجلات وهي تقف إلى جانب براد بت أو جوني ديب! وأن تتسابق المطبوعات والقنوات الإذاعية والتلفازية لإذاعة ما تسجله من لقاءات مع المشاهير، وأن تدعى لحضور حفلات الأوسكار والإيمي والغرامي أووردز مثلما صارت تدعى لحضور المهرجانات العربية التي لا يسمح

لها والدها حتى الآن بحضورها، ولكنها سوف تقنعه مع الوقت. لن ترضى بأن تصبح مثل صديقاتها البائسات؛ سجينة المنزل مثل قمرة، أو سجينة الرجل مثل سديم، أو سجينة الطب مثل لميس.

قررت أنها لن ترتبط بأي رجل بعد تجربتها الفاشلة مع فيصل وشبه تجربتها مع ماتي، حتى وإن كان هذا الرجل بملاحة حِمدان وثقافته؛ ذلك المخرج الشاب الذي يقوم بإخراج برنامجها الأسبوعي، والذي درس الإخراج بجامعة تفتس في بوسطن.

اعترفت ميشيل لنفسها بميلها لحِمدان منذ بداية عملهما معاً، فقد كان من ذلك النوع الذي يتجمع حوله طاقم العمل حال وصوله إلى موقع التصوير وهم فرحون لحضوره لما يُشيعه على المجموعة من بهجة ومرح. كان حضوره صاخباً دوماً:

- مرحباً الساع! شحالكم شباب؟؟

أسرّت لها جمانة عن إعجابها به، وهما تتأملانه من بعيد وهو يدخن مدواخه (سيجارته) في أول أيامهما في المحطة، لكنها كانت تحب أحد أقاربها وتنوي الزواج منه بمجرد حصوله على شهادة الماجستير من بريطانيا وعودته إلى الوطن، لذلك فقد حرضت صديقتها ميشيل على التقرب من حمدان، لكنه سبقها.

لاحظت إعجابه بها ولم تستغرب، فقد كانا الأكثر توافقاً وانسجاماً ضمن طاقم العمل، وكانا الأنسب لبعضهما بشهادة الجميع.

كان حمدان في الثامنة والعشرين من عمره. أجمل ما فيه أنفه المسلول كالسيف، ولحيته الخفيفة المرتبة، وضحكته المجلجلة التي تدفع كل من يسمعها إلى الضحك!

كان حمدان يأتي للعمل متأنقاً مثلها. كان غالباً ما يأتي ببنطال جينز وتي شيرت من إحدى الماركات الشهيرة، وأحياناً يطل عليهم بكندورته البيضاء (الثوب) مع عصامة (عمامة) الرأس. ورغم حرصه الدائم على أناقته إلا أنه لم يكن يتحمل غطاء الرأس لمدة تزيد عن نصف ساعة أو ساعة على الأكثر، فكان ينزع العمامة ليظهر شعره الذي كان يفوق شعرها طولاً بعد أن قامت بتقصير شعرها على طريقة هالي بيري، وهي القَصّة التي طالما نهاها فيصل عن تنفيذها أسفاً على شعرها الجميل وتموجاته الرقيقة التي كان يحب لفها حول أصابعه.

تحدثا كثيراً حول عملهما والبرنامج وحول مواضيع أخرى من كل نوع، وصارا يخرجان معاً بحكم العمل إلى أماكن مختلفة من مطاعم ومقاهٍ وأسواق ومهرجانات محلية. دعاها مرات كثيرة لمشاركته رحلات الحداق (الصيد البحري) على طرّاده السريع الذي يهتم به أكثر من اهتمامه بسيارته، ورحلات القنص (الصيد البري) التي تستهويه أيضاً إلى حد كبير، لكنها لم تكن تشاركه هذه المغامرات وتكتفي منها بالسمع ومشاهدة الصور.

(٤١)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 17/12/2004
Subject: رسالة إلى «فاء»

من السهل على أي شخص أن يغضب، لكن الصعب هو أن يغضب من الشخص المطلوب، إلى الحد المطلوب، في الوقت الصحيح، للسبب الصحيح، وبالأسلوب الصحيح.

أرسطو

كتب لي كثيرون يستفسرون عن الدفتر السماوي لسديم الذي ذكرته في الإيميل السابق؛ بعضهم يتساءل كيف قرأت ما كتبت سديم «أرادوا أن يضيفوا: إن لم تكوني سديم نفسها، لكن الذوق منعهم من ذلك!»، والبعض الآخر متحمس لمعرفة المزيد مما كُتب في هذا الدفتر.

يا لفضولنا القاتل! يود البعض لو يقرأ بعض الفضائح الشخصية! أوكي، للملاقيف (مثلي) سأقرأ لكم ومعكم المزيد من خواطر سديم التي دونتها في دفترها السماوي، وللتحريين (الغثيثين) أقول: أنتم مستقعدين لي؟ ما حد قال لكم تقرون إيميلاتي إذا كان عندكم شك

بكلامي! ما دام فيه ناس مصدقة ليش نقطع وناستها؟ يعني لا ترحمون ولا تخلون رحمة ربنا تنزل؟ طيب وش رايكم أن غزالتي الفسفورية سرقت الدفتر من غرفة سديم وهي نايمة وطارت وحطته عندي، سويت له كوبي وعطيته لغزالتي ترجعه. . . هاه؟ عندكم شي؟ حد شريكي؟ اللي مو مصدق يصطفل، والغرفة لها أربعة جدران!

* * *

قررت سديم بدء مشروع صغير بجزء من إرثها بعد أن عجزت عن العثور على وظيفة مناسبة بعد التخرج. كانت تفكر في تنسيق الحفلات والأعراس بما أنه لا يكاد يمر أسبوع من دون أن تُدعى لحضور عرس أو زوارة أو حفل عشاء أو استقبال، أما في بداية فصل الصيف فقد كانت تُدعى إلى أكثر من مناسبتين أو ثلاث في الليلة الواحدة! كانت هي وصديقاتها وكثير من الفتيات في سنهن، إذا ما شعرن بالملل أو الضيق تدبَّرْن لهن بطاقات دعوة لأحد هذه الأعراس (أياً كان العرس)، وتأنقن وتزينن وذهبن لحضوره ليمضين الوقت في الرقص على أنغام الطقاقات الحية. كان الأمر أشبه بالسهر في نايت كلوب نسائي محترم.

فكرت في أن تبدأ في إعداد المناسبات الصغيرة لأقاربها وصديقاتها ثم تتوسع تدريجياً حتى تصل إلى تنظيم حفلات الأعراس. كان مجال التنظيم عادة حكراً على بعض السيدات اللبنانيات أو المصريات أو المغربيات اللواتي يطلبن مبالغ طائلة من دون تقديم خدمات بالمستوى المطلوب، وهذا ما كانت تلاحظه سديم لسنوات. من هنا جاءتها الفكرة؛ أن تعمل على تنسيق المناسبات والإعداد لها من الألف إلى الياء، حسب المواصفات المطلوبة للحفل وحسب الميزانية المتوفرة،

وسوف تتعامل مع بعض المطاعم ومحال المفروشات والمطابع ومشاغل الخياطة لمساعدتها، كلٌّ في مجاله.

اقترحت على أم نوير أن تكون المسؤولة عن المشروع في الرياض وتساعدها قمرة بينما تتولى هي المنطقة الشرقية التي ستنتقل إليها، كما يمكن للميس الانضمام لهما في ما بعد إن أرادت، لتتولى تنسيق الحفلات في جدة، حيث ستنتقل للسكن مع زوجها نزار بعد تخرجها، ويمكن أن يتم التنسيق مع ميشيل في دبي للوصول إلى المطربين والمطربات لتسجيل بعض الأغاني الخاصة بالزفة أو التخرج، حتى يقمن بإذاعتها في تلك الحفلات.

رحبت أم نوير بالفكرة التي ستملأ وقت فراغها اليومي بعد عودتها من العمل، خاصة بعد رحيل سديم، وتحمست قمرة كثيراً وبدأت هي وسديم تجريان الاتصالات وتنظمان بعض الاجتماعات الصغيرة التي تدعوان إليها معارف كل منهما كنوع من الدعاية والتسويق، وساعد طارق ابن خالة سديم في إجراء المعاملات الرسمية المتعلقة بالموضوع والحصول على التصاريح اللازمة واستخراج سجل تجاري، بعد أن أعدت له سديم توكيلاً رسمياً ليقوم بالمهام القانونية التي تمنع المرأة من القيام بها.

في الليلة السابقة لسفر سديم إلى المنطقة الشرقية، استطاعت قمرة توفير بطاقات دعوة لحضور حفل زفاف أحد أقرباء صديقة أختها حصة. ذهبت قمرة وحصة مع سديم ولميس إلى العرس وأخذت حصة مكانها على طاولة صديقات العروس بينما جلست الصديقات الثلاث على منصة الرقص، حيث تجلس الشابات العازبات عادة للفت أنظار الأمهات.

عندما دندنت الطقاقة في المايكروفون: «حمامٍ جانا مسيّان... ولا

سلّم عليّه. . . حمام جانا مسيّان. . . ولا سلّم عليّه. . . ولا سلّم عليّه. . . هلا. . . ولا سلّم عليّه. . . ولا سلّم عليّه. . .»، قامت الفتيات الثلاث مع جميع الفتيات الجالسات فوق المنصة مع بداية دق الطّيران الذي أقام القاعة ولم يقعدها. راحت الطقاقة تغني:

«حمام جانا مسيّان. . . ولا سلّم عليّه. . . حمام جانا مسيّان. . . ولا سلّم عليّه. . . سنونه حب الرمان. . . والقذلة هلهلية. . . علامه مر عجلان. . . حمام القيصرية. . . يذكّر كل ولهان. . . على فرقا خويّه. . .».

كانت سديم ترقص في مكانها مغمضة عينيها وهي تطقطق بإصبعيها الإبهام والوسطى مع أنغام الأغنية، مع هزة من كتفيها بين الحين والآخر، بينما تحرك قمرة ذراعيها وساقيها باستمرار من دون توافق مع اللحن، وعيناها شاخصتان إلى الأعلى. أما لميس فتهز وسطها وردفيها كأنها ترقص رقصاً مصرياً وتردد مع الطقاقة كلمات الأغنية، بعكس قمرة التي لا تحفظ أياً من الأغاني وسديم التي تعتبر الغناء وإظهار الانسجام الزائد أثناء الرقص سلوكاً مبالغاً فيه ودليلاً على الخفة.

بانتظار الرقصة التالية، انزوت لميس مع إحدى العروسات الجدد من صديقات المدرسة القدامى التقتها صدفة في تلك الليلة، لتسألها عن تجربة الزواج وعن ليلة الدخلة وعن وسائل منع الحمل التي جربتها وغيرها من الأمور المتعلقة بزواجها الذي حدد موعده في عطلة نصف السنة.

قامت سديم مع قمرة للرقص على أغنية طلال مداح التي تعشقها:

أحبك لو تكون حاضر   أحبك لو تكون هاجر

ومهما الهجر يحرقني   راح امشي معاك للآخر

أحبك لو تحب غيري   وتنساني وتبقى بعيد

عشان قلبي بيتمنى   يشوفك كل لحظة سعيد

تصل الكلمات الرقيقة واللحن الشجي إلى قلب سديم مباشرة. تحتل صورة فراس عقلها وتشعر بانفصالها عن كل ما حولها وهي ترقص رقصة المذبوح على تلك الكلمات:

أحبك كلمة معناها حياتي وروحي في يدّك

يهون عليك تنساها وأنا صابر على غلبك؟

راح أمشي معاك، للآخر

إلى مائدةِ العشاء، بعد أن ملأت كل منهن صحنها من البوفيه، استغرقت الصديقات في الحديث عن سفر سديم المنتظر في الغد. كانت سديم تشعر بحزن شديد وضيق في صدرها لا تَعرف سبيلاً للخلاص منه، بينما كان الحديث دائراً أثناء الأكل، انبعثت نغمة وصول رسالة من أحد الجوالات الموضوعة على المائدة، فانقضّت كل واحدة منهن على هاتفها علّها تجد الرسالة من نصيبها! كانت الرسالة من نصيب لميس التي كتب لها نزار قائلاً: عقبى لنا يا حبيبتي.

عادت سديم إلى منزلها وتأملت الصناديق والحقائب التي تملأ غرفتها بانتظار شحنها إلى الخبر. شعرت بغصة في حلقها وهي تقرأ خربشاتها الطفولية على طرف طاولة مذاكرتها، وتتأمل صورها الملصقة

على باب خزانة ثيابها. تناولت دفترها السماوي وقلمها الرصاص وكتبت:

«رسالة إلى فاء؛

الساعة الآن الثالثة وأربعون دقيقة صباحاً بتوقيت المملكة، وعيون القلب سهرانة ما بتنامشي على رأي نجاة الصغيرة.

لا انا نايمة، ولا صاحية، ما باقدرشي

يبات الليل، يبات سهران، على رمشي

وانا رمشي ما داق النوم، وهو عيونه تشبع نوم

روح، روح يا نوم من عين حبيبي

روح يا نوم.

بعد دقائق تقام صلاة الفجر في مدينة الرياض. لا بد من أنك في طريقك نحو المسجد الآن، فصلاتكم في المنطقة الشرقية تسبقنا بقليل، أم أنك في الرياض الآن؟ لا أدري إن كنتما تسكنان هنا أم هناك.

هل ما زلت تداوم على صلاة الجماعة؟ أم أن لذة النوم إلى جانبها جعلتك تتكاسل عن النهوض وأداء فرض الله؟

أموت شوقاً لصوتك. ليتني أستطيع إيقاظك من النوم الآن! كئيبة هي الدنيا بدونك. الليل أظلم من عادته، والسكون أوحش.

كيف استطعت وأنت معي أن تجعل من الليل احتفالاً ننتظره كل يوم؟ كيف جعلت سكوني صخباً حتى وأنت تغط في النوم؟

أتذكر «يغط حبيبي في النوم، ونومي أنا يجافيني»؟ أول قصيدة

أنظمها في حياتي. لا أدري حقيقة إن كان بإمكاني أن أطلق عليها مسمى قصيدة! كانت مثل سائر رسائلي لك، مجردَ حديث بين قلبي وقلبك لا يخضع لأي موازين. كتبتها لك خلال خمس عشرة دقيقة هي مدة شجارنا، عندما دعوتَ علي بالحب! تريدني أن أجربه مع غيرك، وكأنك تهيئني للفراق. أقول دعوت علي ولا أقول دعوت لي، لأنني (وما زلت) لا أتخيل في حياتي حباً سواك. أتذكر تلك القصيدة أم أذكّرك بها؟ قلت فيها:

يغطُّ حبيبي في النومِ

ونومي أنا يجافيني

برودُ الثلجِ في صوته

أداعبهُ، فيُبكيني!

بدأنا لُعبتَنا مزحاً

فأنهاهُ بسكّينِ!

أحبهُ، يا لقسوتِهِ!

مرارَ الكأس يسقيني

خيالي ينسجُ الرؤيا

وتسطرها دواويني

فيُطلقُ حُبّيَ القاسي

على فرحي الأفاعيني!

تبث السُّمَّ في الحلمِ

وتمتص الشراييني

دُعاك عليّ بالحبّ

يحطمُ كلّ ما فيني!

أحبك أنت، لا غيرك!

لِمَ بالحب تُشقيني؟

توقف عن مضايقتي

فضيق الضيق يشكيني!

رجالُ الكونِ كُلُّهُمُ

برأيي اليوم، شياطينِ!

أريدك أنت دون سواك

وأطلب منك باللين!

فإن آثرت الاستمرار

بتجريحِ المساكينِ

سأرحل عنك في الدنيا

وأرضى بالشياطينِ!!

قرأتها لك بعد أن اتصلت بي لتوقظني لأداء صلاة الفجر بعد شجارنا.

كيف يمكنني أن أنام خلال ربع ساعة؟

كم كانت حججك لمصالحتي جميلة وشقية!

يا ربي. . . كم أحبك!

أتذكر عندما اتصلت بي من طائرتك الخاصة المتجهة إلى القاهرة؟ لا أذكر سبب خلافنا في ذلك اليوم، لكنني أذكر كم كنت مكتئبة لسفرك وأنا ما زلت غاضبة.

جاءني اتصال من رقم طويل وغريب، بعد نصف ساعة من رسالتك النصية التي ودعتني بها من المطار. لم يخطر ببالي أنه أنت!

صرخت بفرح عارم وأنا أسمع صوتك الحبيب يغسل قلبي من كل ضيق: فراس حبيبي!! ما سافرت؟؟!

أخبرتني بأنك معلق في الجو، وقلبك معي على الأرض يحاول استرضائي، وظللت تغازلني مدة نصف ساعة وأنا أكاد أذوب من شدة حبك.

آآآه. . .

ليتك معي الآن.

أتذكر «حنتشتنا» كل يوم؟

ضحكت كثيراً عندما قلت لي هذه الكلمة أول مرة!

اشتقت للحَنتشة!

رقصت اليوم على أنغام أغنية «أحبك لو تكون حاضر» التي غنيتها لك في إحدى مكالماتنا. رقصت عليها وأنا أتخيلك واقفاً أمامي فأمد يديَّ إليك ولا أستطيع بلوغك.

آآآه. . .

أنيني يئن من حنيني إليك!

أبكيك في الليلة عشرين مأتماً!

وأنت إلى جانبها، تحتنش!

لا سامحك الله ولا سامحها.

ولا ردك الله، ولا أسعدها.

أحبك...

لا...

أكرهك!

أكرهك!

حبيبي الذي أكرهه! فاء؛

أسافر إليك في الغد.

أخيراً، سوف أعيش إلى جانبك في الخبر. تجمعنا مدينة واحدة؛ أنا، وأنت، ومعنا المدام!

كيف سأقطع الطريق براً وذكرى مرورك بسيارتك قبل ثلاث سنوات إلى جانب سيارتي لم تُمحَ من ذاكرتي يوماً؟ كيف ستمر علي ساعات الطريق الثلاث من دون أن أعرف أنك تحرسني من بعيد؟

كنت أود السفر بالطائرة لكن طارق أتى بسيارته من الشرقية خصيصاً ليأخذنا معه. أقنعته بأن يضع أسماءنا على لائحة الانتظار في المطار؛ درجة أولى، درجة رجال الأعمال، سياحي أو حتى «شعبطة» على أحد الأجنحة! المهم أنني لا أتخيل نفسي على خط الشرقية بدونك! بل لا أتخيل نفسي في أي مكان بعدك! لا أتخيل أن بإمكاني الاستمرار في هذه الحياة بعيداً عنك! كله منه هو! الله ياخذك يا وليد! الله ينتقم منك!!

(٤٢)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 24/12/2004
Subject: لميس تتزوج الحب الأول في حياتها

من قلب المرأة الحساس تنبثق سعادة البشر.

جبران خليل جبران

إحدى القارئات ـ لم تذكر اسمها ـ تقول إنها لا تدري كيف أنادي بالحب بسذاجة، وأفتخر بصديقاتي الغبيات اللواتي ظللن يبحثن عن هذا المجهول طوال حياتهن. ترى هي أنه ما من أفضل من خاطب محترم يدخل عن طريق الباب كما يقولون، تعرف الأسرتان بعضهما وتوثق العلاقة ويتم التصديق عليها من قبل الأهل. لا مجال هنا للعبث أو الخديعة كما في الحب! هذه الطريقة تضمن للفتاة عدم تعرضها لشكوك الرجل في ماضيها لو كانا على علاقة قبل الزواج. كيف ترفس الفتاة العاقلة فرصة مضمونة كهذه لتركض وراء السراب؟

رأيك أحترمه يا عزيزتي، لكننا لو فقدنا إيماننا بالحب، فستفقد كل الأشياء في هذه الدنيا لذتها، ستفقد الأغاني حلاوتها، والأزهار شذاها،

والحياة بهجتها. فبوجود الحب في حياتنا تصبح اللذة الحقة هي لذة الحب، وكل لذة سواها نابعة منها. تصبح الأغاني الجميلة هي تلك التي يدندن بها الحبيب، وأحلى الأزهار تلك التي يقدمها هو، ولا إطراء سوى ما يأتي منه. باختصار، تصبح الحياة ملونة بالتكنيكولور بمجرد أن يلمسها إصبع الحب!

يا الله، لقد حُرمنا أشياء كثيرة، فلا تحرمنا نعمة الحب!

* * *

بعد خطبة قصيرة لم تتجاوز ثلاثة أسابيع تبعاً لعادات كثير من أهل الحجاز ـ الذين يفضلون تقصير فترة الخطوبة وإطالة المِلكة بعكس أهل نجد ـ وفترة مِلكة مدتها أربعة أشهر، جاء زفاف لميس؛ الذي كان أول زفاف تنظمه قمرة وسديم وأم نوير بالتعاون مع لميس وميشيل التي أتت من دبي خصيصاً لحضور زفاف صديقتها في الخامس من شوال.

كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق خلال شهر رمضان، وقد كان الحِمل الأكبر يقع على عاتق أم نوير وقمرة بحكم وجودهما الدائم في الرياض حيث يقام العرس. تولت سديم مهام بسيطة مثل طلب الشيكولاته من فرنسا، وميشيل كانت مسؤولة عن تسجيل شريط أغانٍ لبعض المطربين الذين تجمعها بهم علاقات جيدة لتتم إذاعتها أثناء العرس وتوزيع الأشرطة بعد ذلك على المدعوات للذكرى.

كان عمل قمرة يبدأ يومياً بعد أدائها صلاة التراويح في مسجد الملك خالد. كانت تصطحب معها صالح لتعويده مبكراً على الأجواء الروحانية. كان يرتدي العباءة النسائية السوداء التي فصّلتها على مقاسه بعد أن أصر على أن تشتري له عباءة كعباءتها، رغم تحذيرات أم نوير المتكررة لها من أن تنصاع لرغباته! كانت قمرة تذكّر أم نوير بأن وضع

صالح مختلف عن وضع نوري، فصلوحي يكبر وسط أخواله الذكور ولذلك فلا خوف عليه من انعدام القدوة الذكورية بسبب غياب أبيه، كما أنه يبدو لطيفاً جداً وهو يضم أطراف عباءته النسائية حول ثوبه بينما رأسه تغطيه طاقية بيضاء رجالية!

كان صالح يقف إلى جانبها في الصلاة مقلداً جميع حركاتها، من تكبير وقراءة وركوع وسجود وتشهد وتسليم. عندما يمل من تقليدها، كان يميل برأسه وجذعه محاولاً النظر في عينيها وعيون بقية المصليات المصطفات وإضحاكهن! كان يميل حتى ينكفئ على وجهه على الأرض، فينقلب على ظهره وهو ما يزال يبتسم ابتسامته الكبيرة منتظراً أن تبتسم له إحدى هؤلاء النسوة العابسات اللواتي يتحاشين النظر إليه. وبعد أن ييأس كان يستغل فرصة ركوعهن ليلشط كل واحدة منهن على مؤخرتها عقاباً لها قبل أن يعود للتمدد على ظهره أمامهن وهو يضحك!

كانت النساء يشتكين من شقاوته ويأمرن أمه بأن تدعه يصلي في مصلى الرجال فتتصنع قمرة توبيخه أمامهن وهي تغالب الضحك لخفة دمه، فيبادلها الضحك الذي تكتمه كأنه يعرف أنها لا تعني ما تقول.

كانت التراويح تنتهي عند حوالى الساعة التاسعة، تفتح بعدها المحلات التجارية أبوابها فتقضي قمرة مشاويرها من زيارات للخيّاطة التي تتولى خياطة مفارش الطاولات وأغطية المقاعد، والمطعم الذي يعد لها أصنافاً جديدة كل يوم لتختار منها ما يعجبها لتضمينه في بوفيه الحفل، ومحلات التحف، ومشاتل الزهور، والمطبعة التي تعد بطاقات الدعوة، إلى جانب زياراتها للسوق مع لميس لإكمال الناقص من جهازها قبل موعد الزفاف.

لم تكن قمرة تعود إلى المنزل قبل الساعة الثانية أو الثالثة بعد

منتصف الليل، أما في العشر الأواخر من الشهر فكانت تعود قبل ذلك بساعة أو ساعتين لتلحق بصلاة القيام التي تؤديها في المسجد نفسه في الثلث الأخير من الليل مع والدتها وأخواتها.

في البداية كانت أم قمرة تمانع خروج قمرة لقضاء هذه المهام وحدها، إلا أنها أخذت تتساهل معها بعد أن لمست جديتها ورأتها تسلم أول ربح حصلت عليه من ترتيب حفل عشاء في منزل إحدى أستاذات سديم في الجامعة إلى يد أبيها الذي اقتنع أخيراً بعمل ابنته الغريب. حاولت الأم أن تجبر أحد أبنائها على قضاء مشاوير ابنتها إلا أنهم رفضوا جميعاً فلم تلح، وتركتها لتقوم بأعمالها مع أختها شهلاء أحياناً، أو مع أم نوير أحياناً أخرى، أو مع صالح فقط في معظم الأحيان.

في اليوم المنتظر، بدت لميس أجمل من أي يوم؛ بشعرها البني الذي انساب بإهمال مدروس، وثوبها الصدفي الذي ينحسر عن كتفيها برقة ليلف صدرها بطريقة جميلة ويكشف عن النصف العلوي من ظهرها قبل أن يأخذ في الاتساع تدريجياً حتى يصل إلى الأرض، وطرحتها التُلّ التي ثبتت فوق رأسها لتنسدل بنعومة على ظهرها العاري، وفي إحدى يديها باقة من زهور الليلي، بينما يدها الأخرى في يد نزار الذي يسمّي عليها قبل كل خطوة ويرفع معها طرف ثوبها الطويل.

رأت صديقات لميس في عينيها السعادة الكاملة وهي ترقص مع نزار بعد الزفة، وسط حلقة من قريباتها وقريباته. صديقتهن لميس كانت الوحيدة التي حققت حلم كل واحدة منهن؛ حلم الزواج من الحب الأول في حياتها.

قمرة: الله يخلف علينا. شوفي وش ملحهم وهم يرقصون. أقول يا من تاخذ لها حجازي بس! وين رجالنا عن هالحركات؟ والله النجدي

يموتك لو قلتي له التفت ناحيتي بس شوي وأنت على الكوشة بدال ما تقعد مكشر كأنهم طاقينك وجايبينك!

سديم: تذكرين كيف راشد ولّع لما قلنا له يبوسك في العرس؟ وهذا نزار ما غير يبوس راس لميس كل شوي ويدينها وخدودها وما خلا شي! صدق يا ختي جدة غيييييير!!

قمرة: بس يا حليل نزار اللي راضي يخليها تظل في الرياض وهو في جدة إلى أن تتخرج وبعدين تنتقل تعيش معه. والله إنه رجالٍ يسوى، الله يتمم عليهم.

ميشيل: يا سلام؟ هذا هو المفروض أصلاً، والاّ تبينه يمنعها تكمل دراستها والاّ يغصبها تكمل عنده بجدة؟ هذي حياتها وهي حرة فيها مثل ما هو حر بحياته. احنا مشكلتنا أننا نعطي الرجال أكبر من حجمهم! لازم أول شي نفهم أن اللي يسوونه هذا هو الواجب والمنطقي، وما تطير عيوننا إذا الواحد منهم سوا شي صح!

سديم: تراكم زهقتونا إنتو الثنتين، خلونا نتفرج على عدنان ولينا ذولي! يا ربي مرة طالعين كيوت وهم يرقصون! ياي!! شوفي كيف قاعد يناظرها! عيونه تلمع! شكله دمّع من الفرحة! آه يا قلبي! هذا الحب والاّ بلاش!

قمرة: مسكينة تماضر. ما تحسينها غيرانة من لميس عشانها تزوجت قبلها؟

سديم: وليش تغار؟ بكرة يجيها نصيبها، إلا على فكرة! ما لاحظتي أن الشباب الحجازيين في عروسهم يلامعون من النظافة؟ وتلاقين السكسوكة ختم الجودة، لازم كل العرسان تكون عندهم سكسوكة خفيفة نفس المقاس، تقولين يروحون لنفس الحلاق!

ميشيل: هذولي يسوّون تنظيف بشرة وحمام مغربي وتركي وفتلة ولقط وباديكير وأحياناً واكسنق بعد، مهو مثل شباب الرياض اللي العريس ما تفرقينه عن باقي المعازيم إلا بلون البشت! الله يفشلهم!

سديم: أنا عادي ما تفرق معي إذا الواحد مرتب أو لا، بالعكس أميل للمبهذل شوي، أحسه رجال وما عنده وقت للتكشخ والزكرته وحركات العيال الفاضين!

أم نوير: أمبيه! الله يرحم أيام أول! أيام ما كنتي تنهبلين على الريايل الحلوين، حتى وليد ما كان مالي عينج!

سديم: عاد الشكوى لله. جاني بعده الشين اللي ملا عين عيني!

قمرة: أنا على العموم ما عندي مانع يجيني أياً كان؛ يجي نظيف، يجي وسخ، يجي محرول بس المهم أنه يجي! أنا مستعدة أرضى بأي رجال! مليت يا بنات!! طقت تسبدي! ترى خلاص! ما باقي إلا شوي وانحرف!

عندما حان وقت رمي البوكيه، اصطفت الشابات غير المتزوجات خلف العروس بانتظار معرفة من ستركب قطار الزواج الجميل بعدها. تزاحمت قريباتها وقريبات نزار مع زميلاتها في الكلية وصديقاتها من أيام المدرسة. وقفت معهن تماضر بعد إلحاح من والدتها، ووقفت سديم وميشيل وقمرة التي شجعتها أم نوير على الوقوف من ضمن العازبات، فوافقت بسرعة.

أدارت لميس ظهرها للبنات بعد أن اتفقت مع صديقاتها الثلاث على أن تحاول إلقاء الباقة باتجاههن. ألقت الباقة عالياً في الهواء، وتقافزت الفتيات لالتقاطها. بعد شد وجذب وركل وضرب، حصلت قمرة على «ما تبقى» من الباقة من وريقات خضراء مربوطة بشريط من قماش بدلة الزفاف نفسه، رفعتها عالياً وهي تقهقه!

(٤٣)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 31/12/2004
Subject: اليوم عاد

اليوم عاد

كأن شيئاً لم يكن

وبراءةُ الأطفال في عينيه

ليقول لي إني رفيقة دربه

وبأنني الحب الوحيد لديه

حمل الزهور إلي، كيف أرده

وصباي مرسومٌ على شفتيه

ما عدت أذكر والحرائق في دمي

كيف التجأت إلى زنديه

خبأت رأسي عنده

وكأنني طفلٌ أعادوه إلى أبويه

حتى فساتيني التي أهملتها

فرحت به، رقصت على قدميه
سامحته وسألت عن أخباره
وبكيت ساعات على كتفيه
وبدون أن أدري، تركت له يدي
لتنام كالعصفور بين يديه
ونسيت حقدي كله في لحظة
من قال إني قد حقدت عليه؟!
كم قلت إني غيرُ عائدة له، ورجعت!
ما أحلى الرجوع إليه!

نزار قباني

هابي نيو يير. لا أشعر بالرغبة في كتابة مقدمة هذا الأسبوع. أترككم مع الأحداث لتتكلم عن نفسها:

* * *

عاد فراس!!!!

انتزعت سديم ورقة التقويم الصغيرة لذلك اليوم الذي جاد به الزمان من دون حسبان، وأوسدتها دفترها السماوي بحنان، وغطتها بصفحاته المشحونة بصوره ومقابلاته.

عاد فراس بعد يومين فقط من كتابتها لتلك الرسالة التي لم تصل إليه. عاد بعد أقل من شهر من ابتعاده، وبعد بضعة أيام من عقد قرانه، وقبل أسابيع قليلة من حفل زفافه!

كانت سديم حينها في مدينة الخبر، وبعد أن قضت السهرة في حفلة زفاف إحدى قريباتها، عادت إلى منزل خالتها بدرية. لم تكن قادرة على النوم في تلك الليلة. كان فراس معها. هواء الشرقية الذي يتنفسه يلوث رئتيها، ومصابيح الشوارع التي تنير له طريقه تعمي ناظريها، كأن فراس قد فرش بشته الذي يظهر به في معظم الصور فوق مدينة الخبر، فصار كل ما فيها ملكاً له.

كانت تتنهد بكآبة الساعة الرابعة فجراً عندما وصلتها رسالة على هاتفها الجوال الذي مات تقريباً منذ رحيل فراس:

«ما زلت أعاني كثيراً بعد انسحابك من حياتي... اكتشفت أني راح أعاني لمدة طويلة، طويلة جداً. صورك والرسايل كلها أحرقتها علشان تتطمنين. عورني قلبي وأنا أشوف النار تاكل ثروتي، لكن ملامحك وصوتك وذكرياتك اللي بقلبي مستحيل أمحوهم. أنا ما قصدي بهالرسالة أننا نرجع لبعض وما أطلب أنك تردين علي. أنا بس بغيتك تعرفين وش صاير معي. أنا تعبان بدونك يا سديم. تعبان كثير...».

لم تستطع سديم قراءة الرسالة بوضوح لغزارة الدموع التي ملأت عينيها بمجرد قراءتها اسم المرسل الذي لم تتجرأ على محوه من جهازها: «فراسي تاج راسي»!

لم تشعر بنفسها وهي تتصل برقم الجوال المرسل. رد عليها فراسها! فراس الحبيب والأخ والأب والصديق. لم يقل شيئاً، لكن مجرد سماعها لأنفاسه تتردد على الطرف الآخر من الاتصال كان كافياً حتى تطلق العنان لدموعها وتبكي.

بقي صامتاً لا يدري ما يقول، وصوت محرك سيارته يخفي توتر

أنفاسه، بينما ظلت سديم تفرغ حقائب البكاء المنتفخة التي لديها وتعاتبه بدموع كوت صدرها لأسابيع، وظل هو يصغي لشهقاتها المتألمة والمتظلمة وهو يطبع على جبين الجوال الكثير والكثير من القبل.

كالحلم جاء، ودُكَّت حصون المقاومة بسهولة غير متوقعة، كأن كلاً منهما كان بانتظار إشارة من الآخر حتى يعدو إليه ويرتمي بين أحضانه.

لم يصدق عندما أخبرته بأنها في الخبر! في منزل خالتها الذي يبعد كيلومترات ضئيلة عن منزله! ظل يحادثها عبر الجوال حتى وصل بسيارته إلى الحي الذي تقطنه، لم يكن يعرف المنزل، ولم يسألها. أخبرها فقط أنه أصبح أقرب إليها مما تتصور!

كانت ليلة لا تُنسى! عصافير تغرد في فجرهما السعيد، وسيارة تجول أحد الأحياء في مدينة الخبر، يقودها عاشق أضناه الشوق، فراح يغني لسديمه:

خذاني الشوق لعيونك وجيتك

طرى لي شي ما عمره طرى لي

على بالي ولا لحظة نسيتك

أسولف فيك من حالي لحالي

أنا وشلون أعيش إن ما لقيتك

تذكرت الغياب وضاق بالي

تعال وقلبي المشتاق بيتك

فرشت الورد لقدومك يا غالي

على كلمات أغنية نوال الكويتية، جن العاشقان وانفجر صمام الوَلَه، بعدما بدا لهما دهراً من الحرمان، يمسك القدر بيد أحدهما ليقوده نحو الآخر بحنان أب عزّت عليه رؤية ابنه وابنته في هذا العذاب، فبلغ به الكرم مبلغاً غير معهود!

اتجهت سديم نحو نافذتها المطلة على الشارع، وراحت تصف لفراسها البيوت المحيطة ببيت خالتها الذي لا تعرف رقمه ولا موقعه بدقة. كانت لا تعرف سوى لون بابه البني وأن على جانبي بابه الكبير بعض الأشجار غير المشذبة.

لمحت ضوء سيارته القادمة من بعيد، فغاصت في بحر من اللذة. رآها من وراء نافذة حجرتها؛ الشعر العسلي فوق الأكتاف والبشرة القشدية التي يحلم بتقبيلها. «أنتِ قشطة وعسل» كان يقول عندما يتأمل صورها.

أوقف محرك سيارته أمام منزل الخالة، غير بعيد عن نافذة سديم في الطابق الثاني. رجته أن يبتعد بسيارته قبل أن يلمحه أحد الجيران، لكنه راح يغازلها بأغنيةٍ أخرى لنبيل شعيل:

أصبر دقيقة ودي فيك أتأمل!

عطشان لك شوفي من الشوق ذايب

الله حسيك صاير أحلى من أول!

لكن عيونك هذي هي مثل ما أحب

كل ما أستطيع قوله لكم، أن صباح مدينة الخبر ذلك اليوم كان «غير شكل»!

(٤٤)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 7/1/2004
Subject: الحياة بعد زواج لميس

هل أحببت يوماً

شنيع هو الحب، أليس كذلك؟

يجعلك في منتهى الضعف.

يفتح صدرك وقلبك ليأتي شخص ما فيثير الفوضى بداخلك.

تبني الحصون وتشيد القلاع كي تحمي نفسك من الأذى، وفجأة! يأتي شخص واحد، شخص غبي، لا يختلف عن أي غبي غيره! ليتجول في دنياك الغبية.

تعطيه قطعة منك لم يطلبها أصلاً، وحين يقوم بإحدى أفعاله الغبية، كأن يطبع على شفتيك قبلة أو يبتسم لك، تتسرب حياتك من بين يديك فلا تغدو ملكك.

الحب يأخذك رهينة. إنه يتغلغل فيك ويأكلك من الداخل للخارج، ثم يتركك تبكي في الظلام وهو يسلك طريقه إلى قلبك.

كم هو مؤلم! ليس ألماً خيالياً ولا عقلياً. إنه ألم الروح وألم الجسد. إنه الألم الذي ينغرس بداخلك ويقطعك إرباً.

أكره الحب.

نيل غيمان

انقسم القراء ـ كالعادة ـ ما بين مؤيد لعودة سديم إلى فراس ومعارض، لكن الجميع اتفقوا هذه المرة ـ على غير العادة ـ أن قصتهما من المؤسف أن تنتهي إلا بنهاية مميزة، كحبهما!

* * *

جاءت التلميحات المتوقعة من حمدان عن الارتباط والاستقرار بأشكال متنوعة. قال لها مرة إنه يحلم بأن يتزوج بفتاة تكون البيست فريند له، وأنه يتمنى أن يجد فتاة في مثل وعيها وتفتحها (ابتسمت ميشيل وهي تسمع مديحه لتفتحها، التفتح الذي كانت تسمع ذماً له في بلادها) ليرتبط بها، وكان دائماً ما يثني على أناقتها ويلاحظ أدق التغيرات التي تطرأ على شكلها كل يوم.

اعترفت ميشيل لنفسها مجدداً بعد أن اعتمدت مبدأ الصراحة مع النفس في حياتها بدبي، بأنها إما أن تكون معجبة بحمدان أقصى درجات الإعجاب، أو أنها تحبه أدنى درجات الحب. كان وجوده معها يسعدها أكثر مما كان يسعدها وجود ماتي بكثير، وأقل مما كان يسعدها وجود فيصل بكثير. كانت متأكدة من أنه يحمل لها في قلبه من المشاعر أكثر مما تحمله هي له في قلبها، ولذلك فقد آثرت أن تتجاهل تلميحاته وأن تشعره بترددها حيال فكرة الارتباط. واستطاعت أن تقوم بذلك من دون أن تبدي له رفضاً قاطعاً ومن دون أن تقطع حبل آماله وآمالها. اقتنع حمدان بأن الوقت ما زال مبكراً لمناقشة موضوع الارتباط وارتاحت هي لتقبله الموضوع بصدر رحب وعدم ابتعاده عنها رغم صدها غير المباشر له.

يدرك حمدان أن الكلام هو أفضل وسيلة للتعبير عما في العقل، لكن التعبير عما في القلب يكون أبلغ بوسائل غير منطوقة، كما درسوها

في الجامعة. عندما يتعارض كلام الإنسان مع ما يُستشف من نبرة صوته، إيماءاته، أو غيرها من قنوات التواصل غير المنطوق، تكون الحقيقة عادة في الطريقة التي يقال بها الكلام وليس في ما يقال، وهكذا هي لغة المشاعر التي يفهمها حمدان جيداً.

يُعجبها خلوه من العقد النفسية التي تغزو الرجال عادة، فعلى الرغم مما يمتلكه من محفزات للإصابة بتلك العقد النفسيّة من وسامة وأخلاق ونجاح مادي واجتماعي، إلا أنه يبدو لها في حالة ممتازة من التوازن العقلي! كانت تصرفاته دائماً تدل على ذكائه العاطفي. كان emotionally intelligent، وكان الشخصية الأكثر استثارة لعقلها intellectually stimulating بشخصيته الجذابة وثقافته الواسعة.

رغم كل هذا، لم تستطع ميشيل أن تحبه، أو أنها لم تسمح لنفسها بالمحاولة، فقد اكتفت بمحاولتين. إذا كانت أسرتها ترفض ارتباطها بقريبها الأميركي، وأهل السعودية يرفضون ارتباط أحد أبنائهم بها، فهل سينفك النحس مع حمدان الإماراتي؟ في المرة الأولى نفيت بإرادتها إلى أميركا، وبعد المرة الثانية هاجرت رغماً عنها إلى دبي، فإلى أين ستهرب هذه المرة إن أخفقت للمرة الثالثة؟!

يبدو كل شيء في حياتها ممتازاً ما عدا مسألة الزواج. لا تعتقد ميشيل أنها ستتفق يوماً وقدزها على رجل مناسب لها، فبينها وبين القدر ثأر قديم... إن هي ارتضت رجلاً لنفسها أباه القدر، وإن هي كرهته، ألقى به القدر تحت قدميها.

* * *

أعلنت لميس ارتداءها للحجاب بعد عودتها من شهر العسل.

باركت صديقاتها هذه الخطوة الجريئة ما عدا ميشيل التي حاولت أن تثنيها عن قرارها مذكّرة إياها برداءة شكل المحجبة وتخلفها عن الموضة، إلا أن لميس كانت قد حسمت أمرها قبل مشاورة أي أحد بمن فيهم نزار. كانت لميس مقتنعة بأنها قد مارست كل ما يحلو لها من تحرر قبل الزواج وأثناء شهر العسل، وقد حان الوقت لتغيير مسار حياتها إلى ما يرضي الله، خصوصاً بعد أن منحها الزوج المناسب الذي كانت تحلم به، وتحسدها على حبه وتعامله الرقيق جميع صديقاتها.

بالفعل كانت حياة لميس مع نزار مضرب المثل في السعادة الزوجية، فقد كانا متفاهمين ومنسجمين أكثر من أي زوجين حولهما. . . على سبيل المثال، كان من الصعب استثارة نزار بسهولة، بينما كانت لميس في المقابل عصبية وحساسة، لكنها كانت أكثر منه حكمة وصبراً عندما يتعلق الأمر بمسائل البيت والمصروف، ولذلك فقد كان نزار يعتمد عليها في تدبير شؤون المنزل، مع مساعدتها يومياً في التنظيف والغسل والطبخ والكي، حيث إنهما فضلا عدم استقدام خادمة قبل ولادة طفل لهما.

كانت لميس تحرص حرصاً شديداً على إرضاء أسرة زوجها وبالأخص والدته التي تدعوها ماما، وكانت تلك العلاقة الممتازة بين لميس وأم نزار تدفعه للتعلق بها أكثر وأكثر.

كان يهديها وروداً حمراء من دون سبب، ويعلق لها رسائل الحب على باب الثلاجة قبل ليالي المناوبات التي يمضيها في المستشفى، وكان لا يغفو هناك قبل أن يتصل بها. وعندما يعود كان يأخذها لتناول الطعام في أحد المطاعم أو الأسواق من دون أن يتحرج من رؤية أصدقائه المحتملة له وهو إلى جانبها كما يفعل بعض الشبان، وكانت هي تعد له

بعض الساندويشات والسلطات تُوْدعها له في الثلاجة قبل أن تذهب لمناوباتها، التي ينتظرها بعدها على أحر من الجمر ليقضيا معاً يومهما مثل عروسين لا يزالان في شهر العسل.

* * *

كان السؤال يدور في ذهن سديم فلا تجد له جواباً، وتطرحه باستمرار على قمرة وأم نوير فتحتاران معها: هل تعَد ثقافة المرأة ـ بما فيها العلوم النظرية والتجارب الحياتية العملية ـ نعمة أم نقمة؟

لاحظت سديم أنه رغم تطور الحياة وارتقاء المفاهيم إلا أن الإقبال على الفتاة الصغيرة الساذجة عند البحث عن عروس مناسبة ما زال مرتفعاً مقارنة بالإقبال الضعيف على الفتاة التي تصل إلى درجة عالية من العلم والمعرفة والاطلاع العام على الحياة.. وعنوسة الطبيبات دليل واضح على ذلك، فالرجل الشرقي بالذات غيور بطبعه ويشعر بالخطر عند مواجهة أنثى تشكل تحدياً لقدراته، ولذلك فإنه يفضل في زوجته أن تكون متواضعة التعليم مهيضة الجناح وعديمة التجربة، حتى يكون له مكانة المعلم الأول في نفسها والذي يقوم بتشكيل تلميذته حسب ما يريد. وإن كان كثير من الرجال يُعجبون بالمرأة القوية، إلا أنهم لا يتزوجون منها! هكذا أصبحت الفتاة الساذجة مطلوبة وقيِّدت «الفاهمة» على لائحة العوانس التي تطول مع الأيام وفقاً لمتطلبات الشاب الذي لا يعرف ما يريد، ويرفض بناءً على ذلك الارتباط بفتاة، تعرف تماماً ماذا تريد.

(٤٥)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 14/1/2005
Subject: سديم والإدمان

أترى ستجمعنا الليالي كي نعود ونفترق

أترى تضيء لنا الشموع ومن ضياها نحترق؟

أخشى على الأمل الصغير بأن يموت ويختنق

اليوم سرنا ننسج الأحلاما

وغداً سيتركنا الزمان حطاما

وأعود بعدك للطريق لعلني أجد العزاء

وأظل أجمع من خيوط الفجر أحلام المساء

وأعود أذكر كيف كنا نلتقي

والدرب يرقص كالصباح المشرق

والعمر يمضي في هدوء الزنبق

شيء إليك يشدني لا أدري ما هو منتهاه

يوماً أراه نهايتي، يوماً أرى فيه الحياة

آه من الجرح الذي يوماً ستؤلمني يداه
آه من الأمل الذي ما زلت أحيا في صداه
وغداً سيبلغ منتهاه
الزهر يذبل في العيون
والعمر يا دنياي تأكله السنون
وغداً على نفس الطريق سنفترق
ودموعنا الحيرى تثور وتختنق
فشموعنا يوماً أضاءت دربنا
وغداً مع الأشواق فيها نحترق

فاروق جويدة

يستغرب الأخ «ولد شيوخ» انتقادي للرجل الغيور، ويقول مؤيداً إن من لا يغار ليس برجل. يضيف أنه من الطبيعي أن يختار الرجل من هي أدنى منه (وإن كانت جميع النساء أدنى من جميع الرجال في نظره) حتى يشعر برجولته معها على حد تعبيره، وإلا فما الذي يمنعه من أن يتزوج برجل مثله؟!

لا تعليق.

* * *

سديم التي عادت إلى الرياض، لم تكن السديم ذاتها التي تركتها في المنطقة الشرقية. لم تشك قمرة لحظةً عندما زارتها بأن لفراس علاقة بالأمر! العينان اللتان تشعان بهجة والوجنتان المتوردتان والابتسامة التي

اختفت منذ فترة ثم عادت لترتسم على الوجه ببلاهة دونما سبب، إنما هي عوارض الحب المعروفة. لقد عاد فراس، والمسألة واضحة كالشمس!

- ياما حبا ياما برك! ما عندتس نُص ونُص يا سديم! إما البوز شبرين والاّ البسمة شاقة الوجه!!

لم تكن عودة سديم إلى فراس أو قبول عودته إليها، مدروسة أو ذات ملامح واضحة. لم تكن هناك بنود اتفاق ولا شروط جزائية ولا حتى بري نب. لم تكن تلك إحدى خطط سديم الذكية وإنما كانت من ارتجالات الحب المجنونة. اللذة التي غمرت كلاً منهما بعد عودتهما إلى بعضهما كانت أكبر من لسعة الذنب التي يحسها هو بين الحين والآخر، أو لسعة الكرامة التي تذكّرها كل يوم بفعلته.

لم تصل سعادة سديم على أقصاها إلى حد الغفران. كانت سعادة مشوبة بالقهر وحلاوة مغمسة بالمرارة. ما زال الشعور بالألم والخذلان قابعاً في أعماقها بانتظار أي لحظة للإعلان عن وجوده. كانت متأكدة من أنها لن تحصل من فراسها على الكثير، وأنه بقبولها إياه حبيباً من جديد فإنها تتنازل عن شطر كبير من كرامتها واحترامها لنفسها، إلا أنها آثرت لشدة تعلقها به وبعد إقناع بسيط منه ألا تفكر بالأمر، حتى يحدث الله أمراً كان مفعولا.

لم يرد أي منهما أن يعيش الأيام المتبقية له (قبل الزفاف) بعيداً عن الآخر. كان الشعور أشبه باختلاس لحظات لذة أخيرة من حياة مريض ينتظر الموت بعد أيام قليلة.

كان الاتفاق ينص ضمنياً على أن يظلا معاً حتى موعد الزفاف الكائن بعد أقل من شهرين. كان الاتفاق غريباً إلا أنهما بدآ بالمحاولة؛

محاولة يائسة للتشبث بالحب حتى موعد إعدامه.

كان حبه الذي لم يهدأ يدفعه للاتصال بها بعد أن ينتهي من محادثة خطيبته، وكان حبها له يدفعها لانتظاره حتى يفرغ من مغازلة خطيبته على الهاتف كل ليلة ليتفرغ لمغازلتها.

كان يرفض الحديث عن خطيبته أمامها. رفض حتى مجرد الإعلان عن اسمها أو إعطاء أية معلومات عن شخصيتها، كما رفض أن يُعلم سديم بموعد الزفاف بدقة. كانت تثور عليه كل مرة ثم تهدأ بعد أن يسترضيها، وهو البارع في استرضائها.

كان يزور خطيبته التي أصبحت زوجته شرعاً بعد عقد القران، مرة كل بضعة أيام، وكانت سديم تكتشف ذلك رغم محاولاته إخفاءه عنها فتغادرها بقايا كرامة إلى غير رجعة.

كثرت شجاراتهما واشتدت غيرة سديم من زوجة فراس المجهولة. لم يكن الوضع طبيعياً، ولم تعد سديم قادرة على الاحتمال. فراس الذي كان يذيبها بحلاوة حديثه صار يلقي إليها بتعليقات سمجة «وش فيك صايرة تزعلين بسرعة؟ أكيد أنك في وقت معين من الشهر!». فراس الذي كانت تؤلمه الدمعة الواحدة من عين سديمه، صار يستمع إليها كل ليلة وهي تنزف كبرياءها المجروح دموعاً على الهاتف فلا يتأثر. قال لها في إحدى المكالمات باستخفاف:

- إنتي ما شالله عليكي ما تخلص دموعك أبد! دمعتك صارت جاهزة بأي دقيقة وعلى أي كلمة!

كيف أصبح يحادثها بهذا الأسلوب؟ هل استرخصها بعد عودتها إليه

وقبولها هذا الوضع الشاذ في العلاقة؟ كيف انتهى بها الأمر لقبول هذا الوضع أصلاً؟! كيف رضيت أن يحبها فراس وهو مرتبط بأخرى؟ أن يطلب منها أن تبقى معه حتى يدخل بغيرها؟!!

ثارت عليه ذات ليلة بعد أن أخبرها أنه مقتنع تمام الاقتناع بزوجته التي اختارها الأهل وأنها تمتلك جميع المواصفات التي طالما حلم بها، وأنه لا ينقصها سوى أن يحبها كحبه إياها (سديم)، وأن هذا الحب قد يأتي بعد أن يتزوجها كما حدث مع كل من استشارهم في الأمر. كلهم نصحوه بالابتعاد عن سديم واتخاذ الاختيار العقلاني والبعد عما يمليه القلب. قال لها إنها معذورة في عدم تفهمها لوضعه، فهي امرأة، والمرأة لا تفكر بعقلها في مثل هذه الأمور، وإنما بقلبها! كان يردد لها كلام الأهل والأصدقاء الغارق في الجهل والخالي من أي تفهم لفطرة الإنسان التي تدفعه للحب. هل نرجو ممن لا يؤمن بالحب أن يؤمن بغيره من العواطف الإنسانية كالنبل وتحمل المسؤولية والإخلاص لمن قضى السنين في انتظار الزواج من الحبيب؟

كان كل من هؤلاء المفتين يستمع إلى فراس ثم يعطيه رأياً يحرص على ألا يكون مخالفاً لما يدور في عقله، فكلهم يعلمون أن الرجل منهم لا يسأل ليستشير أو ليسمع رأياً مناقضاً لرأيه، وإنما يسأل ليجد من يبدد له مخاوفه ويحثه على المضي في ما عقد العزم عليه. بعضهم كان يندفع في محاولة إسعاد صديقه وطمأنته وتهدئة ضميره الخائف، حتى بلغ بهم أن يحذروه من تلك الصبية التي أدارت عقله ومن شرها.

- يحذرونك مني أنا؟ أنت من جدك تتكلم؟ ليش هم يعرفوني؟ أنا اللي من نفسي قلت لك ما أبغى أعرفك من يوم ما تقدمت للبنت! يجون ناس ما يدرون وش السالفة يحذرونك مني وتسمع لهم؟! ما

شاللهَ من متى صرت تسمع لكل من هب ودب يجي يفتي لك بنصيحة زي وجهه؟ والاّ تحب تسمع انك منت غلطان وانك أحسن واحد وان البنت اللي تعرفها هي الغلطانة والمفروض أنك تتركها لا تسوي لك شي ياللي ما تستاهل إلا كل خير! ياللي ما تستحي على وجهك! جاي تقول لي هالكلام بعد كل اللي سويته لك؟ يا النذل يا الجبان ياللي ما تستاهل!».

انفصلت سديم عن فراس هذه المرة ـ بعد خمسة أيام من عودته إليها ـ غير مأسوفٍ عليه، بعد أن أخبرته بصراحة عن رأيها فيه. كانت أول مرة ترفع فيها سديم صوتها على فراس، وكانت طبعاً المرة الأولى والأخيرة التي تشتمه فيها في وجهه.

لم تكن هناك دموع أو صيام عن الطعام أو أغان حزينة هذه المرة، فنهاية قصة الحب والحرمان كانت أسخف من المتوقع. اكتشفت سديم أن حبها لفراس وتعلقها به كانا يفوقان حبه لها بمراحل، وجعلها ذلك تخجل من مجرد التفكير بقصة الحب الطويلة التي ظنت يوماً أنها ستكون من أروع قصص الحب في التاريخ!

كتبت في دفترها السماوي تلك الليلة السطور التالية:

هل تستطيع المرأة أن تحب رجلاً فقدت احترامها له؟ وكم من قصة حب غير قصتي انتهت في ليلة بعد أن عاشت لسنوات، لأن الحبيب «طاح» من عين حبيبته؟

«الرجال لا يحبون دائماً من يحترمون، والنساء بالعكس؛ لا يحترمن إلا من أحببن!».

آخر رسائلي إلى فاء؛

ماذا أقول عن أقوى الرجال

إذا غدا طبلاً في يدي أبويه!؟

يعزفون عليه نشيدَ القبيلةِ

وهو فارغٌ! بعدما كان لديهِ

الحبُّ الذي لا يفرّطُ فيه

سوى جاحد، لنعمةِ اللهِ عليهِ

يقول لي إني رجل!

والعقل ينصحني واستمعتُ إليهِ

وأقول له إني إمرأة!

حكّمتُ قلبي، واحتكمتُ إليهِ

في ذلك اليوم، شعرت سديم لأول مرة منذ أربع سنوات بأنها لم تعد بحاجة إلى فراس كي تظل على قيد الحياة. لم يعد فراس الماء والهواء. لم يعد الحلم الوحيد والأمل الذي تعيش من أجله. كانت تلك أول ليلة منذ انفصالها عنه لا تصلي فيها من أجل عودته. لم تشعر بحزن في تلك الليلة لفراقها فراس، وإنما بندم شديد على سنين أربع ضيعتها من عمرها سعياً وراء سراب اسمه الحب!

في آخر صفحة مكتوبة في الدفتر السماوي كانت هذه السطور:

«بغيت حبي لفراس يستمر بأي شكل، ومع الأيام صار هذا الحب كل حياتي، وصرت أخاف لو أنه راح منها، أن حياتي تروح معاه. هاذي كل السالفة».

أدركت سديم أنها تتحمل جزءاً كبيراً من الذنب لأنها رفضت أن

تتلقى رسائل فراس الخفية كما أسمتها لميس في يوم من الأيام. رفضت أن تفهم السبب الحقيقي وراء تهربه من الارتباط بها خلال كل تلك السنين التي عرفها فيها. أبت أن تسمح لقلبها بأن يستشعر ضعف حبه لها. امتنعت عن تصديق عقلها عندما حاول إقناعها بإرخاص فراسها لها واستعداده للتخلي عنها من أجل أسرته. ارتكبت غلطة المحب الكبرى وهي امتناع العقل والقلب عن استقبال أي رسالة غير مرغوب بها من الحبيب.

شُفيت سديم أخيراً من إدمانها للحب، لكنها كانت تجربة قاسية جداً، فقدت على إثرها احترامها لجميع الرجال، بداية بفراس ومن قبله وليد، ومن دون انتهاء.

(٤٦)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 21/1/2005
Subject: والآن. . . هذا هو طارق العاشق

يا عين هلّي صافي الدمع هليه
والى انتهى صافيه هاتي سريبه
ويا عين شوفي زرع خلّك وراعيه
شوفي معاويده وشوفي قليبه
يا من له الخاطر شفوقٍ يراعيه
اتْبع هوانا وغيرنا وش تبي به
اللي يدارينا ترانا نداريه
واللي تنكّر جِعل ربي حسيبه
اللي يبينا عيّت النفس تبغيه
واللي نبيه عيّا البخت لا يجيبه

نورة الهوشان

ما زلت أشارككم أفراحكم وأعيادكم؛ كل عام وأنتم بخير بمناسبة

حلول عيد الأضحى المبارك. قد لا أشارككم عيدنا القادم، ولكنني أمد تهنئتي لتغلف جميع أيامكم المستقبيلة، جعلها الله لكم ولي أياماً مليئة بالخير، والصحة، والأمان، والحب.

* * *

عندما انتقلت سديم للعيش في منزل خالتها بدرية، كان طارق ابن خالتها الأكثر فرحاً بقدومها. عيّن نفسه مسؤولاً منذ اليوم الأول عن راحتها وقضاء حوائجها. ولأنها لم تكن تطلب شيئاً فقد كان يحاول تقديم خدماته بشكل غير مباشر، كأن يساعدها على حل مشاكلها المادية بإجراء اتصالات مع بعض أصدقائه من موظفي البنوك من دون أن تدري. كان يحتفي بها كل ليلة فيجلب لها معه طلبها المفضل من برغر كنغ ليتناولا عشاءهما معاً من دون إخبار أخواته اللواتي ظللن يشكينه لوالدتهن باستمرار من دون أن يكترث لأمرهن. كانت سديم تشعر باهتمام طارق بها لكنها لم تستطع التجاوب معه بالشكل الذي يتمناه أو الدرجة التي توازي اهتمامه، قد يرجع ذلك لاضطرارها للعيش معه في المنزل نفسه، وشعورها الدائم بعدم الراحة أثناء وجوده وهو الذي لا يرفع عينيه عنها طوال مدة وجودهما في مكان واحد!

كان طارق يكبرها بعام. درس المرحلتين الابتدائية والمتوسطة في الرياض عندما كان والده يعمل موظفاً في إحدى الوزارات، وأتم المرحلة الثانوية في الخبر التي انتقلت إليها الأسرة بعد تقاعد الأب الذي أراد أن يصبح قريباً من إخوته في المنطقة الشرقية، ثم عاد طارق إلى الرياض مرة أخرى ليلتحق بكلية طب الأسنان بجامعة الملك سعود.

لاحظت سديم إعجاب طارق المتزايد بها عندما كان يزورهم في

المنزل في عطل نهاية الأسبوع التي لا يسافر فيها إلى أهله في المنطقة الشرقية، وذلك منذ أن كانت سديم في الصف الثالث الثانوي، إلا أنها لم تعر ذلك اهتماماً، فرغم أن طارق لطيف وحلو المعشر، ويدللها كثيراً في كل مرة يأتي فيها لزيارتهم، ويعيرها اهتماماً خاصاً في حديثه ونظراته، إلا أنه لم يتمكن من تحريك قلبها، فظلت تكنّ له مشاعر الأخوة التي لم تتبدل منذ أيام لهوهما معاً في طفولتهما في منزل جدهما بالرياض. حبه البريء كان يلامس قلبها باستمرار لكنه يعجز عن اختراقه.

وحدها قمرة كانت تعلم عن ابن الخالة العاشق الذي كانت تزهو به صديقتها أمامها، إلا أن سديم لم تأت على ذكره منذ خطبتها لوليد، ومن ثم علاقتها الطويلة بفراس، والتي تحاشت خلالها الاحتكاك بطارق. كان يأتي لزيارتهم فلا يجد سوى الأب في استقباله. وبعد بضع مرات تكرر فيها غياب سديم بسبب الانشغال بالمذاكرة في الطابق العلوي، انقطع طارق عن زيارتهم. أما في المناسبات المعدودة التي تضطر سديم للسفر إلى الخبر من أجلها، فصار طارق يتحاشى اللقاء بها، وكانت سديم تقدّر له ذلك.

مشكلة طارق في نظرها كانت في تصرفاته الطفولية بعض الشيء. لم تكن تحب بساطته الزائدة، وكانت تستغرب إظهاره مشاعره نحوها بهذا الصدق وهذه الصراحة. كان طارق يبدو أمامها كطفل كبير بملامحه الطفولية التي تشبه ملامح جدتهما الشامية وجسمه المكتنز وابتسامته البريئة. لم يكن ذلك بالعيب الفعلي، لكنه كان حاجزاً من الحواجز الكثيرة التي تفصلها عنه وتقلل من اقتناعها به كشاب يمكنها الارتباط به.

فاتحها طارق في موضوع الارتباط ذات ليلة بعد أن خلد الجميع

إلى النوم وبقيا هما في الصالة يتابعان فيلماً على إحدى القنوات الفضائية. بعد انتهاء الفيلم الذي لم يستوعب طارق منه شيئا لانشغاله بما ينوي قوله، التفت إليها هامساً باسمها الذي اعتاد أن يناديها به:

- ديمي.

- هلا.

- بغيت أكلمك في موضوع بس متردد.

- متردد؟! ليه عسى ما شر؟

- والله هو عندي خير بس مدري إنتِ وش بيكون رأيك فيه.

- إن شاء الله خير. قول بس وخذ راحتك. ما بيننا رسميات.

«أوكي بادخل في الموضوع على طول، والله يقويني. ديمي، حنا نعرف بعضنا من واحنا صغار. كنت أشوفك لما تزورينا كل عيد، البنت المملوحة أُم شعر ناعم وطوق مورّد، اللي تلبس أحلى من كل البنات وما ترضى تلعب مع الأولاد. تذكرين كيف كنت أتضارب مع العيال إذا ضايقوكِ؟ وكيف كنتُ إذا رحت البقالة ما آخذ معي من البنات غيرك عشان أشتري لك اللي تبين؟ كنا صحيح صغار، لكن والله أني كنت أحبك من ذيك الأيام!

بعدما كبرنا شوي، صرت أحب أسهر معك ومع خواتي كل ما جيتي تزورينا، مع إني كنت الولد الوحيد بينكم وقتها. أدري أن شكلي كان غلط بس والله ما همني إلا اني أكون قريب منك في الساعات اللي تقضينها عندنا! تصدقين ما كنت أجيب لخواتي آيس كريم إلا إن كنتي عندنا؟ صاروا خواتي إذا بغوني أجيب لهم شي قالوا لي ترى سديم جاية الليلة!

كان كل هذا وأنا عارف أنك منتي حابتني مثل ما أحبك. يمكن مستلطفتني شوي ومبسوطة باهتمامي فيك ويحق لك طبعاً. كنت أقول لنفسي: معذورة! وش تحب فيك؟ لا وسامة ولا شهادة ولا فلوس ولا جسم ولا فيك أي شي يشدها، غير حبك لها.

يوم ما قبلوني بطب الأسنان عندكم طرت من الفرحة! عارفة ليه؟ أولاً لأني إذا صرت دكتور باكبر بعينك، وثانياً لأني راح أسكن في الرياض محل مانتي ساكنة، وباصير أزوركم وأتلصق بأبوك عشان يعزمني كل يوم وأشوفك!

لما تقدم لك وليد، حسيت أن كل شي انهار فجأة! ما كنت قادر أتقدم لك قبلها لأني كنت توني داخل الجامعة. أمي قالت لي إن أبوك مستحيل يرد ولد الشاري عشان يزوجكِ ولد خالتك البزر اللي ما كمل تعليمه! كانت فترة خطوبتك ومِلكتك أسوأ فترات حياتي، حسيت فيها أني خسرت كل أحلامي. بعد ما انفصلتوا ضحكت لي الدنيا من جديد! بغيت أفاتحك بسرعة بأني ناوي أتقدم لك لكن ما مداني، لأنك سافرتي على طول على لندن».

ملامح الدهشة على وجه سديم، وطارق يتابع:

ـ «بعد ما رجعتِ من السفر لاحظت أنك صرتِ تتهربين مني كل ما جيت أزوركم، ولا تردين على مكالماتي. أنا لما شفتك كدا قلت يا ولد البنت لا تحبك ولا هي طايقتك! أبعد عنها وخلّها في حالها.

وفعلاً ابتعدت وتركتك، لكن والله يشهد على كلامي أني ما نسيتك في يوم. كنتِ دايم على بالي وكنت أنتظر النصيب يجمعنا في يوم من الأيام.

بعد وفاة أبوك حسيت أني أبغى أوقف جنبك وماني قادر. كنت عارف أن أمي تبغى تجيبك عندنا لكنك مانتي موافقة. كان في شي بداخلي يقول لي إن السبب الحقيقي لرفضك هو أنا.

يوم ما جيتي عندنا، عاهدت نفسي أني ما راح أضايقك، وراح أخدمك من بعيد لبعيد علشان ما تحسين أني أستغل وجودك في بيتي عشان أستميلك لناحيتي. حتى أمي حرّصتها أنها ما تكلمك بخصوصي مع أنها عارفة وش كثر أحبك وودها تخطبك لي اليوم قبل بكرة، لكن أنا كنت أبغى أتأكد من موافقتك أول عشان لا أحرجها قدامك ولا أحرجك قدامها.

والحين، مرت علينا سنة ونص واحنا مع بعض. أنا تخرجت مثل مانتي عارفة وخلصت سنة التطبيق ومقدم أوراقي وبانتظار الوظيفة أو البعثة. بصراحة الجامعة عارضين علي وظيفة معيد في أحد الأقسام لكن المشكلة أني إذا وافقت راح أُبتعث للخارج خلال أشهر، وأنا ما أقدر أسافر إلا بعد ما أعرف وش مصيري معك. لو كان بينا نصيب فلازم آخذ موافقتك في مسألة السفر هذه خصوصاً أنك تشتغلين هنا ومدري إذا ودك تتركين الشغل وتجين معي تكملين دراستك أو لأ.

يعني إذا السفر ما يناسبك ممكن أتوظف أنا هنا بأي مستشفى وألغي فكرة السفر للخارج. أما إذا ما كنتِ من نصيبي فراح أسافر وأتوكل على الله، وبسفري ما راح تحسين بحرج لو رفضتيني، لأني ما راح أرجع قبل أربع أو خمس سنين، يمديكي فيها تكونين تزوجتي ابن الحلال اللي يرضيكي. يعني تأكدي أن طلبي هذا ما راح يأثر على حياتك في هذا البيت ولا على استقرارك، والقرار في يدك ولك مطلق الحرية في الاختيار».

تمكنت سديم من النطق أخيراً:

- لكن يا طارق! احنا صحيح قرايب، بس عمرنا ما كنا قراب من بعض بالصورة اللي تخليني أعرف أتخذ مثل هذا القرار. في أشياء كثيرة أنت ما تعرفها عني، وأنا في أشياء كثيرة ما أعرفها عنك.

- سديم أنا حبك اللي في قلبي من الصغر مستحيل شي يغيره، لكن أنتِ طبعاً من حقك تتعرفين علي مثل ما تبغين. اسأليني كل الأسئلة اللي ودك تعرفين إجابتها وأنا حاضر.

- وأنتَ ما تبغى تعرف مثلاً سبب انفصالي عن وليد؟ أو سبب إهمالي لك طول هالسنين؟

- سبب انفصالك عن وليد هو غباؤه! في أحد عاقل يضحي بسديم الحريملي مهما كانت الأسباب؟! سديم أنا عارفك، وعارف تربيتك والبيئة اللي طلعتي منها وهذا كفاية عشان أثق فيكِ. إذا بغيتي تقولين لي السبب فهذا من حقك لكن الطلب أبداً ما هو من حقي. انتِ ما كنتِ مُلزمة فيني في حياتك السابقة علشان أحاسبك أو أسألك عن أي شي صار فيها، حتى السنين اللي تحاشيتيني فيها واللي حسيت خلالها أنك يمكن تكونين على علاقة بأحد، حتى هذه السنين ما تعني لي شي. اللي يهمني هو حياتنا مع بعض بعد كدا إذا الله كتب. أنا عن نفسي مستعد أجلس معاكِ وأحكي لك عن كل شي صار بحياتي من وقت ولادتي إلى اليوم! باقول لك بعد مين أحلى، بنات الشرقية والا بنات الرياض!

- يا سلام! أنت مجرب الصنفين؟

- أي صنفين الله يهداكِ اللي يسمعك يقول حشيش! كلهم كم بنت

رقمناهم حالنا حال الشباب وابتلشنا فيهم بعدين، وإذا بغيتي الأرقام عطيتك إياهم!

- لا مشكور. خلي الطابق مستور. المهم، «أنتَ فاجأتني» مثل ما يقولون في المسلسلات المصرية! اديني مهلة أفكر وارد عليك.

- أنا مسافر بكرة للرياض، عندي مقابلات شخصية، وباجلس هناك كم يوم علشان تفكرين براحتك.

(٤٧)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 28/1/2005
Subject: ذا بيست كلوجر إيفر!

انقر هنا للاستماع إلى الأغنية:

ليش الحب الأول ما بيرضى يفارقنا
بيرجع من الأول ع الماضي يفيّقنا
بيكبر مهما كبرنا، بيرجعنا صغار
بيصير يذكرنا، ويرمينا بالنار
وبنارو بيحرقنا، بيحرقنا
تا نكفّي الطريق نقّينا أحباب
والحب العتيق واقف خلف الباب
بعدو طفل صغير، بياخِدنا مشاوير
بنهرُب ويلحقنا، بيلحقنا
ليش الحب الأول ما بيرضى يفارقنا.

جوليا بطرس

اقتربت القصة من نهايتها، وصديقاتي ما زلن شَمْعات تُشعلهن الحياة لينصهرن حباً وعطاءً. أمسكت بأيديكم، أعزائي القراء، لآخذكم في رحلة أسبوعية بين هذه الشموع العطرية. أردت منكم أن تشموا عبيرها بأنفسكم وأن تمدوا أياديكم لتلتقطوا بعضاً من القطرات الذائبة لتشعروا بحرارتها، وتتفاعلوا مع عذاباتها وحرائقها.

أطبع قبلة على جبين كل شمعة اشتعلت فأضاءت لغيرها درباً أقل ظلاماً، وأقل ضِيقاً، وأقل وعورة.

* * *

لم تدر ميشيل عند استيقاظها من النوم بعد أول ليلة تمضيها في الرياض منذ أكثر من عامين للاحتفال مع صديقاتها بتخرجها، أنها أتت في الوقت المناسب تماماً لتشهد حدثاً مهماً، مهماً جداً من أحداث حياتها المتعاكسة!

بدأ يومها باتصال مفاجئ من لميس! أجبرتها على أن تتجه إلى الحمام وترش وجهها بقليل من الماء البارد حتى تتمكن من استيعاب ما ستخبرها إياه!

- وَتس رونق؟ ليه مصحّيتني من بدري كدا!؟
- ميشيل، اليوم زواج فيصل.
- . . . (صمتٌ على الطرف الآخر).
- ألو؟؟ ميشيل! أنتِ معي؟
- آم هير.
- آر يو أوكي؟

ـ وات فيصل؟ ماي فيصل؟

ـ أيوه يا بنتي فيصل زفت الطين ما غيرو!

ـ هو تولد يو؟

ـ جايتك المصيبة التانية؛ نزار يصير صاحب أخو العروسة!

ـ نزار زوجك! يعرف أخو عروسة فيصل! ليش ما قلتي لي من أول!!

ـ إش بك أنتي اتجنيتي؟! والله ما دريت عنهم إلا اليوم! أنا جيت للرياض أمس على أساس أني راح أحضر جواز أخت صاحب نزار. كنت متحمسة أجي علشان أشوفك بالمرة. نزار قال لي عن العرس من أسبوع بس دوبهم يرسلولي كرت الدعوة، ولما فتحتو، عينيّا كانت حتطلع من مكانها! قريت اسم العريس مية مرة علشان أتأكد أنو هوا فيصل اللي في بالي.

ـ . . . متى خطبها؟

ـ والله ما أعرف، وللأسف ما أقدر أسأل نزار عن حاجة زي كده لأنو الولد مش صاحبو مرة. مجرد زملاء. شكلهم كان عندهم كروت زايدة فعزموني، فما اتوقع أنو نزار يعرف أي تفاصيل عن العروسة.

ـ مين حياخذ؟

ـ واحدة عيلتها بالمرة عادية! شكلها أي كلام!

ـ لميس. . .

ـ أيوه حياتي.

ـ أبغى تدبرين لي كرت أجي معك.

ـ تمزحي! معقولة تحضري جواز فيصل!؟ كيف حتقدري!

ـ ما عليك مني. أقدر أحضر زواجه وزواج أبوه بعد!

ـ يا حبيبتي أنا خايفة عليك. مالو داعي تروحي تنكّدي على نفسك!

ـ ما حانكد على نفسي. بالعكس، حاعطي نفسي ذا بيست كلوجر إيفر!

أقنعت لميس زوجها بأن صداعاً يفتت رأسها ويمنعها من الذهاب إلى العرس، وأخبرته بأنها ستعطي بطاقة الدعوة لميشيل لتذهب بدلاً منها.

راحت ميشيل تقلب بين يديها بطاقة الدعوة بينما كانت يدا مصففة الشعر تعملان في شعرها: زفاف الابنة شيخة إلى الابن فيصل «هذي آخرتك يا فيصل؟ شيخة!».

وضعت مكياجها بنفسها وارتدت ثوباً ملوناً بألوان كثيرة من تصميم روبيرتو كافالي، ينساب مع خطوط جسمها مبرزاً أنوثتها بشكل رائع.

وقفت عند مدخل القاعة، تتأمل صور العروسة والعريس التي تزين طاولة عند المدخل. تفحصت شكله إلى جانب عروسه بعين الرضا. لم يكن فيها أي من الملامح التي تعجبه! كانت ضخمة البنية وهو الذي يعشق البنت «البتيت»! لم يكن شعرها أسود كما يفضل، وإنما مصبوغ بألوان مختلفة حتى بدا ككرة الديسكو التي تعكس مربعاتها الصغيرة جميع ألوان الطيف! شفتاها ضخمتان! أين هما من شفتي ميشيل اللتين تنام إحداهما برقة فوق الأخرى البارزة بإغراء ونعومة؟

سلمت على أمه التي ميزتها عن بقية النساء بعد مناداة إحدى

المهنئات لها بأم العريس. تقدمت وباركت لها زواج ابنها وهي تشم رائحة فيصل فيها.

اتخذت لها مقعداً قريباً من مدخل العروسين، على طرف القاعة المقابل للمنصة أو الكوشة. حرصت على اختيار المكان بدقة، فهي بصدد مهمة خطيرة ومصيرية هذه الليلة!

راحت تقلب ناظريها بين أخواته وهي تضع اسماً من الأسماء التي أعلمها إياها لكل واحدة منهن. فهذه تبدو أكبرهن سناً، لا بد من أنها نورة، وهذه من المؤكد أنها سارة السليطة اللسان، وتلك الصغيرة نجود أملحهن كما كان يصفها، وهذه أمه من جديد.

هذه المرة عندما لمحتها من بعيد، تذكرت جبروتها وانكسار ابنها أمامها. توقعت من نفسها أن تكرهها، أن تدعو عليها، لكنها وجدت نفسها تحترمها بقدر ما تحتقر ابنها الضعيف. لاحظت أن أم فيصل تتفحصها من بعيد بإعجاب، فتخيلت لو أنها تخطبها لابنها الأصغر من فيصل أو لابن خاله أو خالته! كان الخيال ممتعاً في التعقيد و«اللعبكة»! ومثيراً للشفقة والسخرية في آن واحد.

كانت ميشيل قد قررت أن تعلن اليوم انتصارها على الرجال كافة، وأن تتخلص مما بقي داخلها من فيصل. وجدت نفسها تتجه إلى الممر الطويل لترقص. كانت المرة الأولى التي ترقص فيها رقصاً خليجياً، رقصت في يوم زفاف حبيبها الأول على عروس غيرها.

لم يكن الأمر بالصعوبة التي تخيلتها. شعرت بأنها قد عاشت هذه اللحظات في خيالها مراراً وتكراراً: شيء أشبه بالديجافو. بدت منطلقة وسعيدة! رقصت وغنت في تلك الليلة كأنها الوحيدة في تلك القاعة.

إنه احتفال خاص بها للاعتراف بنجاحها وصمودها؛ احتفال بتحررها من أن تصبح عبدة للتقاليد كبقية النساء التعيسات اللواتي تغص بهن القاعة.

«اليوم له يومين ما مر عليّه

ومنين أجيبه منين؟ يصعب عليّه

يمكن منعوه هله... يمكن منعوه هله

تأخر علي يا ناس مو هذا طبعه

بالي عليه مشغول منهو اللي يمنعه؟

يمكن منعوه هله... يمكن منعوه هله».

تردد ميشيل الأغنية العراقية مع الطقاقة بحبور «يمكن منعوه هله! يمكن منعوه هله!»، كانت تظنها «من عوهله» قبل أن يصحح لها فيصل الخطأ المضحك وهو يسألها أين تقع عوهله بالضبط!

تتخيل فيصل في سريره الليلة مع العروس وهو يحاول النهوض للقاء حبيبته ميشيل بينما شيخة جاثمة فوق صدره بجسمها الضخم وشحومها المتكدسة مانعة إياه من الحراك والتنفس، فترقص على «منعوه هله» وهي تبتسم للمشهد الكوميدي الذي يفترش خيالها!

أُطفئت الأنوار في سائر أنحاء القاعة، وأنير ضوء قوي باتجاه المدخل، الذي عبرته العروس باتجاه منصتها وهي توزع الابتسامات على سائر المدعوات، حتى حبيبة عريسها، التي ظلت تتابعها بهدوء من مكان قريب، وقد أُفعمت بالثقة حال رؤيتها جسم العروس الضخم المحشور في ثوب الزفاف الضيق بشكل قبيح، وطرحتها المزينة بنجوم من الكريستال حتى بدت كأنها رائد فضاء قد علقت بثيابه بعض النجيمات قبل عودته إلى سطح الأرض.

عندما أعلن عن موعد دخول الرجال، خطرت في ذهن ميشيل فكرة جهنمية قامت بتنفيذها بسرعة. أرسلت رسالة قصيرة من هاتفها الجوال إلى هاتف فيصل تقول له فيها: مبروك يا عريس! دونت بي شاي يالله ادخل. آيم ويتنق!».

بعد رسالتها، تأخر دخول الرجال ما يقرب الساعة! ضجت القاعة بهمهمات المدعوات، والعروس المسكينة حائرة لا تدري أتنصرف أم تبقى بانتظار عريسها الذي أبى الدخول؟ بعد ما بدا دهراً، دخل العريس متوسطاً أباه وأبا العروس وإخوتها الثلاثة. دخل بسرعة خاطفة لم تسمح لأحد برؤيته. ابتسمت ميشيل من بعيد وهي ترى خطتها قد نجحت.

بعد دقائق، وبينما كانت المصورة منهمكة في التقاط صور العروس مع عريسها والعائلة فوق المنصة، قامت ميشيل متجهة نحو مخرج القاعة تنوي الانصراف، لكنها حرصت جيداً على أن يراها فيصل بكامل زينتها كما لم يرها من قبل! تأملت لحيته التي غيرت من شكله المألوف لديها. التفت نحوها بعينيه اللتين لم ينطفئ بريقهما كأنه يرجوها بهما أن تبتعد! رفعت له أحد حاجبيها تحدياً من دون أن تكترث لأي من النساء الحاضرات وظلت واقفة مكانها أمام مدخل القاعة وهي تلعب بخصلات شعرها القصير كأنها تغيظه قبل أن تشيح بوجهها عنه بتقزز وهي تشق طريقها نحو الخارج.

بعدما ركبت السيارة خلف سائقها الحبشي، لم تستطع كتمان ضحكتها وهي تتخيل كيف ستمر ليلة الدخلة على فيصل بعد أن رآها في عرسه! ستكون ليلة «منيّلة بستين نيلة» كما تقول لميس! وهذا هو المطلوب. تنبهت بعد وصولها إلى المنزل إلى كون هذا العرس الأولَ

منذ انفصالها عن فيصل الذي لا تدمع عيناها فيه بعد رؤية العروس سعيدة مع عريسها على الكوشة.

عرفت ميشيل الآن أن كثيراً من هؤلاء الأزواج يخفون تحت ابتساماتهم قلوباً دامية ونفوساً مغبوناً حقها في اختيار شريك الحياة. لو أنها ستبكي الليلة، فبكاؤها حتماً سيكون على عروس مسكينة، ستجمعها الظروف ليلتها وبقية لياليها مع رجل مُجبَر على الزواج منها، بينما قلبه وعقله مع تلك الأخرى التي رقصت في عرسه، والتي تُعتبر المقارنة بينها وبين زوجته الجديدة مجحفة حقاً بحق الأخيرة، ومحبطة!

(٤٨)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 4/2/2005
Subject: The "Getting over them" Phase

المرأة أشبه بكيس الشاي؛ لا تُعرف قوته حتى يرمى به في الماء الساخن!

إليانور روزفلت

بربكم ألم تملوا مني بعد سنة من الإيميلات؟ أنا نفسي مللتُ مني.

* * *

قرأت سديم في أحد الأيام خبر تهنئة للدكتور فراس الشرقاوي في صفحة أخبار المجتمع بمناسبة ولادة ابنه الأول ريان. لم يكن قد مضى على رحيل فراس آنذاك سوى خمسة عشر شهراً. حاولت سديم أن تقارن بين علاقتها بفراس على مدى أربع سنوات تقريباً، وبين خطوبةٍ وقرانٍ وزفافٍ وحملٍ وولادةٍ في غضون خمسة عشر شهراً. تأكدت حينها من أن فراس لم يكن بالقَدْر الذي تخيلته من التميز والتفرد، وإنما هو مجرد «صبي» عادي مثل وليد وفيصل وراشد وغيرهم من الصبية

الذين يوجدون في كل مكان، وأن ادعاءاته القديمة بتمسكه بشروط تعجيزية يجب أن تنطبق على شريكة حياته ليس إلا استعراضاً لعضلات ضامرة أو غير موجودة أصلاً!

كانت سديم في الرياض بانتظار الاحتفال بتخرج ميشيل ولميس حينما زارتها ميشيل في منزل أبيها وراحت كل واحدة منهما تشكو للأخرى هموم الحب الضائع.

- «سديم! أنتي بتاخذين واحد يدعس عليكِ ومع ذلك تركضين وراه! عارفة أنتي أيش مشكلتك؟ مشكلتك أنك إذا حبيتي يو لوز يور مايند! تسمحين للي تحبينه أنه يهينك وتفوّتين له، لا وتقولين له آي لايك إت بيبي قيف مي مور! هاذي هي الحقيقة مع الأسف، وإلا ما كنتِ بقيتِ مع فراس كل هالسنين وأنتِ عارفة أن ما عنده نية يرتبط فيك».

أصبح الجميع قساة في أحكامهم عليها، والكل يلومها على شيء لا تدري كنهه، لكنها فهمت بعد فترة ليست بالقصيرة أنهم لا يلومونها على فشل علاقتها بفراس، وإنما يلومونها على خوض علاقة محكوم عليها بالفشل قبل أن تبدأ. تعرف سديم أن ما من صديقاتها واحدة كانت متأكدة من أن علاقتها بفراس ستفشل، كن متفائلات مثلها! لكن الكل الآن بطبيعة الحال يدّعي أنه «أبو العُرّيف»، وليس أمامها هي إلا الصمت، خصوصاً عندما يأتيها اللمز من ميشيل، التي مرت بظروف مشابهة لظروفها قبل سنوات واتخذت قراراً صارماً في حينها بالابتعاد عن فيصل بمجرد إطلاعه إياها على موقف والديه من ارتباطه بها، نائية بنفسها عن التعقيدات التي خاضت فيها سديم حتى غرقت علاقتها بفراس في بحر من التوتر والإحراج والتسول العاطفي!

تمنت لو أن فراس أثبت تفوقه على فيصل السلبي. أرادت أن تثبت لميشيل أنها أخطأت بتخليها عن فيصل، وأنها هي التي ظلت مؤمنة بقوة الحب ومتمسكة بقناعتها في حقها في الزواج ممن تحب، هي من ستكون الأذكى والأنجح والأسعد.

هي التي رفضت التضحية بحبها، فوجئت بأن حبيبها ضحى بها وبحبها في نهاية الأمر، خذلها كما خذل فيصل ميشيل من قبلها، لكن بعد أن علّق في جيدها قلادة الأمل ولقنها أنشودة الكفاح والصمود التي ظلت ترددها لسنوات، حتى بعد أن كف هو عن تردادها.

- يا حظك يا ميشيل؛ ما تحتاجين تشوفين كل يوم صورة أو تقرين خبر في جريدة عن اللي كنتي تحبينه. هذا الشي يتلف الأعصاب! أسوأ شي فعلاً أن الواحدة تحب واحد مشهور، لأنها مهما حاولت تنساه، الدنيا كلها بتحاول تذكرها فيه!

عارفة وش أتمنى أحياناً يا ميشيل؟ أتمنى لو أني كنت أنا الرجال في هالعلاقة؛ كان والله ما تخليت عن فراس!!

- شفتي أنك ما خسرتي رجال؟

كانت تعليقات صديقاتها تزيد من كرهها لفراس وحقدها عليه وتمحو رصيده الطيب في قلبها. هل يشعر هذا الأناني بكل الاضطهاد الذي يمارسه المجتمع في حقها بعد أن اضطهدها هو - حبيبها - ورحل؟!

يا سديم أنا ما تخليت عن فيصل لأني ما كنت صادقة في حبه مثل ما تتصورين. أنا كنت أموت بفيصل، لكن المجتمع هنا كان كله ضده وضدي! أنا عندي ثقة تامة بنفسي وبأني أقدر أواجه الصعوبات اللي

بتوقف في طريقي، لكن الصراحة ما عندي الثقة نفسها في فيصل ولا في أي أحد ينتمي لهالمجتمع المريض. علشان علاقتنا تنجح كانت محتاجة قوة وصمود مننا احنا الاثنين. عمري ما كنت حاقدر أنجّح علاقتنا لحالي. ومع أن فيصل ظل يلاحقني ويتتبع أخباري وكانت توصلني منه كل فترة إيميلات ورسايل على الجوال يترجاني فيها أن أرجع له، لكني كنت عارفة أن هذا مجرد ضعفه اللي يتكلم، وأنه ما جاب شي جديد ولا طلع بحل لمشكلتنا. عشان كدا ظللت أرفضه وأمتنع عن الانقياد لضعفه وعاطفتي. كان لازم أحدنا يكون طرفاً قوياً في العلاقة، وأنا اخترت أن أكون هذا الشخص!

تأكدي يا سديم أن فراس وفيصل رغم الفارق الكبير في السن بينهم لكن اثنينهم من طينة واحدة؛ سلبية وضعف واتباع للعادات والتقاليد المتخلفة حتى إن استنكرتها عقولهم المتنورة! هاذي هي الطينة اللي خُلق منها شباب هذا المجتمع للأسف. هذولي مجرد أحجار شطرنج يحركها أهاليهم، ويفوز في اللعبة اللي أهله أقوى!

أنا كان ممكن أتحدى كل العالم لو كان حبيبي من غير هذا المجتمع الفاسد اللي يربي أبناءه على الكونترادكشنز والدوبل ستاندردز؛ التناقضات وازدواجية المعايير مثل ما يقولون. المجتمع اللي يطلق فيه الواحد زوجته لأنها ما تجاوبت معه بالشكل اللي يثيره في الفراش بينما يطلق الثاني زوجته لأنها ما أخفت عنه تجاوبها معه وما تصنعت البراءة والاشمئزاز!

- من اللي قال لك هالكلام؟!! قمرة؟

- أنتِ عارفة يا سديم أني آخر واحدة ممكن تفكر تتكلم عنك أو عنها، فلا تخافين مني لأني ما تربيت في هذا المجتمع اللي ما وراه

غير قالت وسوّت وشالت وحطت.

- لو كان كلامك صحيحاً، وأن رفضك متعلق بس بشبابنا، أجل ليه ما تحديتِ الكل وتزوجتِ ماتي أو حمدان؟

- السبب بسيط؛ وهو أن اللي يجرب الحب، ويعرف لأي مدى يقدر يوصل فيه، ما يقدر بعد كدا يرضى بحب «أي كلام» أو «تمشية حال»! ناو آي كانت ستيل فور ليس. أنا حبي لفيصل كان هو حب حياتي، واللي بعده ما حد من الرجال قدر يوصلني لرُبعه علشان أتحمس واوافق أني أرتبط فيه. شوفي، مع أني طردته من حياتي نهائياً، إلا أنه ما زال قائماً في ذهني كتمثال أقيس عليه الآخرين من بعده، وللأسف، كلهم يخسرون في هالمقارنة، وأنا الخسرانة طبعاً قبل كل شيء.

- أنا كنت أبغى النمبر ون يا ميشيل. كنت أشوف أني ما أستاهل أقل من فراس، لكن ماي نمبر ون رضي بأقل مني، وعشان كدا أنا مضطرة لأن أرضى بأقل منه.

- أنا أختلف معك في ذي يا سديم. أنا راح ماي نمبر ون، لكن بيجيني اللي أحسن منه، وعمري ما راح أرضى بالفتافيت!

(٤٩)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 11/2/2005
Subject: حفل التخرج

لو أني أعرف أن الحبَّ خطيرٌ جداً ما أحببت.
لو أني أعرف أن البحرَ عميقٌ جداً ما أبحرت.
لو أني أعرف خاتمتي ما كنت بدأت.

نزار قباني

حقيقة مُرة حامضة مالحة: شارفت القصة التي بدأت منذ ست سنوات تقريباً على الوصول إلى يومنا الحالي، واقتربت بذلك نهاية إيميلاتي.

* * *

أقيمت في أحد الفنادق الضخمة بالرياض، مأدبة عشاء على شرف الخريجات لميس وتماضر جداوي ومشاعل العبد الرحمن. اقتصر الحفل على الخريجات الثلاث، مع قمرة وسديم، وأختي قمرة؛ حصة وشهلاء، وأم نوير.

كانت لميس نجمة الحفل بلا منازع ببطنها المنتفخ وجنينها الذي دخل الأسبوع الثامن والعشرين من عمره ما قبل الولادة، بينما دخلت أمه الشهر السادس عشر من زواجها. كان خداها المتورّدان، وابتسامتها الواثقة، تعلن لصديقاتها عن أمل مخبّأ في مكان ما من هذه الحياة الصعبة. كل ما فيها يوم تخرجها دلّ أن بينهن فتاة متزوجة طافحة من السعادة، حتى تماضر وميشيل لم تبدوَا بربع سعادتها وبهجتها في ذلك اليوم، ولِمَ لا تفرح وتسعد وتبتهج؟ وهي كما تقول ميشيل «شيز قوت إت أول!».

هي الوحيدة التي نالت من بينهن كل ما تتمناه كل فتاة. الزواج الناجح، الشهادة المشرّفة، الاستقرار العاطفي، إلى جانب المستقبل الوظيفي المضمون. لميس وحدها التي لم تعانِ في سبيل الحصول على ما تبتغيه كما عانت كل واحدة منهن، فسبحان موزع الأرزاق!

قبل انصرافهن بدقائق، التقت قمرة وسديم بسطام؛ موظف البنك الخدوم الذي تعرفتا إليه عن طريق طارق ليقوم بتسهيل معاملاتهما البنكية المتعلقة بشركة تنظيم الحفلات التي تديرانها معاً، والتقتاه بضع مرات بعد ذلك في البنك. دخل سطام وسط مجموعة من رجال الأعمال ـ كما يبدو ـ إلى المطعم واكتفى بابتسامة وإيماءة من رأسه من بعيد حيث يجلس وأصدقاءه. لم يكن بإمكانه أن يتقدم للسلام وهو بين كل هؤلاء الرجال، ولا كان بإمكان الفتاتين أن تردا سلامه وهما بين هؤلاء النسوة، أو بالأحرى بوجود أختي قمرة «راداري المراقبة».

على طاولة رجال الأعمال، سأل فراس صديقه سطام بصوت خافت عن السيدات اللواتي قمن من على الطاولة القريبة، وعما إذا كان يعرفهن، بعد أن شم رائحة دهن العود المعتق الذي يستخدمه ينبعث من

إحداهن. أخبره سطام أن اثنتين منهن من عميلات البنك الدائمات وسيدات الأعمال الناجحات رغم صغر سنهن. شعر فراس بشيء يعصر قلبه بعنف حالما سمع اسم سديم الحريملي!

ليته تفحص وجوههن ولم يغضض بصره أثناء وجودهن، لكان انتبه إلى وجود سديمه بينهن! سديمه؟ أما زالت سديم، سديمه؟! تابع بحسرة ظهور عباءاتهن المبتعدة تدريجياً وهو يتخيل وجهاً حبيباً إلى قلبه بين وجوه السيدات المبتعدات، وجهاً اشتاق إلى تقسيماته العذبة وملامحه البريئة.

لا أحد يعرف ما دار في خيال فراس ليلتها بعد لقائه سديم، لكن الأكيد أنه فكر لساعات طويلة على مدار يومين، وأتخيل أن رائحة سديم ظلت تدغدغ أنفه وتؤكد له أنها ما زالت تحبه حتى تتطيب بالطيب الذي أهداه إياها منذ سنتين.

لم يشعر فراس بكل هذه الأحاسيس الجميلة إلا مع سديم. لم تفلح أية امرأة قبلها ولا بعدها في تحريك قلبه كما فعلت هي من دون جهد. زوجته التي تحبه لم تكن قادرة على إسعاده مثلما كانت تسعده سديمه.

اتخذ فراس قراراً مفاجئاً وهو مندس في فراش الزوجية، وإلى جانبه تستلقي أم ريان، والدة ابنه الأول، والحامل بطفله الثاني.

(٥٠)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 11/2/2005
Subject: نصيحة من ذهب: خذي اللي يحبك، ولا تاخذين اللي تحبينه!

انقر هنا للاستماع إلى الأغنية:

وش أخباري؟

وش أخباري!

شِ اللي جابني ع البال

شِ الطاري؟

من اللي شاغل اللي شاغلك عني

عسى ما شر وش خلاك تذكرني؟

بعد ما اعتدت هجراني

ليه تجدد أشجاني

بعدها تروح وتنساني

وترجع لي بعمر ثاني

تسألني عن أخباري

وش أخباري
أبد! على حطة يدك
لو كان هذا يسعدك
ما شي تغير للأسف
لليوم كلي في دبرتك
صدقني لو كان بيدي
أنا تركتك من زمان
تسألني شِ اللي حدني
شِ اللي جبرني ع الهوان
اللي جبرني اني أحبك
ياللي خذاني مني حبك
رجعني لي أرجوك
حلفتك بربك!
وش أخباري؟
هاذي أخباري!
لكن باسألك بالله
شِ الطاري؟

ذكرى

أعترف بأن انغماسي في قصة صديقاتي طوال عام كامل جعلني من أولئك الفتيات اللواتي يعرفن تماماً ماذا يردن:

أريد حباً يملأ القلب أبداً مثل حب فيصل وميشيل. أريد رجلاً يحنو علي ويرعاني مثل رعاية فراس لسديم. أريد أن تكون علاقتنا بعد الزواج غنية وقوية مثل علاقة نزار بلميس، وأن أُرزق منه أطفالاً أصحاء مثل طفل قمرة من راشد؛ أحبهم كما أحبه، ليس لمجرد كونهم أطفالي، بل لأنهم جزء منه.

هكذا أريد أن تكون حياتي.

* * *

بعد حفل التخرج بيومين، عادت سديم إلى الخُبَر ودعت طارق ليشرب فنجاناً من القهوة معها في بيته، في ليلة تذرعت فيها بالمرض حتى لا تذهب مع خالتها وزوج خالتها وبناتهما إلى حفل عشاء في منزل أحد الأقارب، ولأول مرة تجد نفسها محتارة في ما ترتديه أمامه! وقفت أمام مرآتها لساعات وغيرت ما ترتديه ورفعت شعرها وأطلقته عشرين مرة، وهي لا تزال تفكر في ما تقوله له. كان قد أمضى أكثر من أسبوعين في الرياض بانتظار ردها بخصوص ارتباطهما، وبدأت هي تشعر بالخجل لترددها فطلبت منه العودة من دون أن تفصح له عن كونها لم تصل حتى الآن إلى نتيجة حاسمة.

تتذكر سديم نصيحةَ قمرة التي لا تنفك عن تكرارها كلما اجتمعت بها: «خذي اللي يحبتس ولا تاخذين اللي تحبينه. اللي يحبتس يحطتس بعيونه ويسعدتس، لكن اللي أنتِ تحبينه يمرمطتس ويلوعتس ويخليتس تركضين وراه». ثم يخطر ببالها حديث ميشيل عن الحب الحقيقي الذي لا يعوض بحب «أي كلام»، وترد إلى مخيلتها صورة لميس وهي تضحك في زفتها فتزداد حيرة فوق حيرتها. ترن دعوة أم نوير في أذنيها «الله يعطيج على قد نيتج» فتطمئن قليلاً ويهدأ اضطرابها.

عندما صافحته أبقى كفها في كفه أكثر من المعتاد، وهو يحاول قراءة ردها على طلبه في عينيها. قادته نحو غرفة الضيوف وهي تضحك من شكله وراءها وهو يحاول «تصريف» أخيه الصغير فهد، الذي يصر على الهرب من أيدي المربية والدخول معهما إلى الحجرة.

لم تكن جلستهما هذه المرة كجلساتهما السابقة قبل سنوات. لم يلعبا المنوبولي ولا الأونو، ولم يتشاجرا حول من يحق له الإمساك بالريموت كونترول أمام التلفاز، حتى شكلاهما كانا مختلفين عما تعودا عليه. كانت سديم ترتدي تنورة بنية من الشاموواه تصل إلى الركبة مع قميص حريري بلون الزهر الفاتح بلا أكمام، وفي قدميها التي تتزين إحداهما بخلخال فضي كانت ترتدي كعبين زهريين يكشفان عن أصابعها لتبدو أظافرها المقصوصة بعناية والمصبوغة أطرافها على طريقة الفرينش مانيكير، بينما ارتدى هو شماغاً مع الثوب وهو الذي لا يرتدي الشماغ إلا في الأعياد، وفاحت منه رائحة البخور الطيبة. شيء واحد لم يتغير، لم ينس طارق أن يجلب لها معه وجبة البرغر كنغ التي تحبها.

راحا يتناولان عشاءهما في غرفة الضيوف بصمت، وكل منهما غارق في أفكاره. كانت سديم تحاور نفسها بحسرة: «ليس هذا ما كنت أحلم به طوال عمري. طارق ليس بالشخص الذي سأبكي فرحاً يوم عقد قراني عليه! إنه إنسان لطيف، إنسان عادي. زواجي من طارق لا يستلزم سوى ثوب زفاف مبهر وجهاز مرتب وحفل زواج في قاعة فخمة. لن يكون هناك فرح ولا حزن، سيكون كل شيء عادياً مثل حبي له. مسكين يا طارق. لن أشكر ربي كل صباح عندما أجدك إلى جانبي في السرير. لن أشعر بفراشات في معدتي كلما نظرت إلي. يا للحزن. يا للاشيء!!».

بعد انتهائهما من تناول العشاء حاولت ترطيب الجو المتوتر بينهما:

- أجيب لك حاجة تشربها يا طارق؟ شاي؟ قهوة؟ حاجة سقعة؟؟!

رن هاتفها الجوال الموضوع أمامهما فوق المنضدة الرخامية. اتسعت عينا سديم من الدهشة وشعرت بقلبها ينحشر في حلقها عندما قرأت رقم المتصل الظاهر على الشاشة! كان رقم جوال فراس الذي محت اسمه من جهازها منذ انفصالهما «الأخير»!

نهضت مسرعة وغادرت الغرفة لترد على هذه المكالمة المفاجئة في هذا الوقت بالذات! هل علم فراس بأمر طارق فاتصل ليؤثر على قرارها؟ ما هذا الفراس الذي يعرف كل شيء ويأتي دائماً في أوقات مؤثرة!؟

- سدومة... وش أخبارك؟

- وش أخباري؟!

سمعت صوته الذي لم تسمعه منذ زمن فغار قلبها. توقعت أن يسألها عن طارق لكنه لم يفعل، بل راح يصف لها رؤيته إياها قبل يومين في أحد الفنادق مع صديقاتها. سألته بنفاد صبر وهي تراقب طارق من مكانها في غرفة المعيشة وهو يفرك كفيه بقلق بانتظارها:

- الحين أنت متصل عشان تعلمني أنك شفتني؟

- لا... أنا بصراحة متصل عشان أقول لك، أني اكتشفت... أني حاس...

- بسرعة ترا ماني فاضية!

- سديم! متعتي خلال مكالمة واحدة لك أكبر من كل المتع اللي عشتها مع زوجتي من يوم ما تزوجنا!

- (بعد قليل من الصمت): أنا حذرتك، بس أنت اللي قلت إنك تقدر تعيش هالنوع من الحياة، لأنك قوي، ولأنك رجال!
- سدّومة حبيبتي، أنا مشتاق لك، ومحتاج لك! محتاج لحبك.
- محتاج لي كيف يعني؟ هل تعتقد أني راح أقبل أرجع لك مثل أول بعد ما تزوجت؟
- أنا عارف أن هذا مستحيل... علشان كدا... أنا متصل أسألك... تتزوجيني؟

أقفلت سديم الخط في وجه فراس للمرة الثالثة في حياتها. كان يتحدث إليها كأنه واثق من أنها لن تصدق عرضه السخي وستخر أمامه بموافقتها في ثوان! التفتت نحو طارق فوجدته قد رمى شماغه وعقاله على ذراع الأريكة وراح يفرك شعر رأسه بكلتا يديه بتوتر واضح. ابتسمت ودخلت المطبخ لتحضر له المفاجأة الأجمل في حياته.

دخلت عليه وهي تحمل صينية عليها كأسان من عصير الفيمتو المخفف بالكثير من الماء حتى أصبح لونه أحمر مثل الشربات. رفع رأسه إليها فوجدها مطأطئة رأسها وهي تبتسم بخجل مصطنع كما في أفلام الأبيض والأسود. وضعت الشربات أمامه وهو مستغرق في الضحك، وراح هو يقبل يديها والهاتف الذي تمسك به وهو يردد فرحاً: ليتك داق من زمان يا شيخ!

بيني وبينكم

لميس (التي تحمل اسماً آخر في الحقيقة كبقية صديقاتي في هذه الرسائل) اتصلت بي بعد الإيميل الرابع من كندا، حيث تتلقى هي ونزار دراساتهما العليا، لتهنئني على فكرة الإيميلات الجريئة. ضحكت لميس كثيراً من الاسم الذي اخترته لأختها «تماضر»، حيث إنني أعرف مسبقاً أن أختها تكره هذا الاسم وأن لميس تناديها به كلما حاولت إغاظتها! أخبرتني لمّوسة أنها سعيدة مع نزار باشا وأنها قد أنجبت طفلة جميلة أسمتها على اسمي. قالت لي سمسم: إن شاء الله بس ما تطلع البنت مجنونة زيّك!

أُعجبت ميشيل بالقصة كثيراً وأثنت على طريقتي في السرد وكانت تساعدني باستمرار على تذكر الأحداث التي تغيب عن ذهني وتصحح لي النقاط التي أذكرها بشكل خاطئ أو غير واضح، مع أنها لم تكن تفهم بعض كلماتي الفصحى وتطلب مني أن أزيد من استخدامي للغة الإنكليزية على الأقل في الإيميلات التي تتحدث عنها حتى تتمكن من فهمها بشكل جيد، وقد فعلت ذلك من أجلها.

سديم لم تفصح لي عن مشاعرها الحقيقية في بداية الأمر، حتى ظننت أنني قد خسرتها بعدما أوردت قصتها في إيميلاتي، لكنها فاجأتني في أحد الأيام بعد إيميلي التاسع والثلاثين بهدية ثمينة، هي دفترها

السماوي الذي لم أكن لأعرف عنه لولا أن أهدتني إياه قبل عقد قرانها على ابن خالتها لأحتفظ به، ولأنقل منه مشاعرها كما كانت تسطرها في تلك الحقبة المؤلمة من حياتها. أبدلها الله خيراً من فراس وجعل زواجها مباركاً وماحياً كلَّ ما سبقه من تعاسة وأحزان.

قمرة سمعت عن الإيميلات من أختها التي عرفت أن أختها هي المقصودة بقمرة منذ بداية الإيميلات لكنها لم تعرف أياً من صديقاتها أكون. ثارت قمرة عليَّ وهددتني بقطع علاقتها بي إن لم أنقطع عن التشهير بها. حاولت أن أقنعها أنا وميشيل، لكنها كانت خائفة أن يعرف الناس ما لا تريد ـ أو ما لا يريد أهلها ـ للناس أن يعرفوه عنها. قالت لي كلاماً جارحاً في آخر اتصالاتها وأخبرتني بأنني قد «قطعت رزقها»، وقطعت بعدها كل صلة لها بي رغم توسلاتي واعتذاراتي المتكررة.

منزل أم نوري ما زال ملتقىً للأحبة، وقد كان الاجتماع الأخير للصديقات الأربع فيه في عطلة رأس السنة عندما عادت لميس من كندا، وميشيل من دبي، لحضور حفل زفاف سديم إلى طارق، الذي أصرت سديم على إقامته في منزل أبيها بالرياض، وعملت على تنظيمه أم نوير بمساعدة قمرة.

لقد قررت أخيراً أن أكشف لكم عن هويتي بعد أن يتم طبع هذه الرسائل كرواية مثلما اقترح علي الكثيرون، لكنني أخشى مغبة تسميتها رواية، فهي مجرد جمع لهذه الإيميلات المكتوبة بعفوية وصدق. إنها مجرد تأريخ لجنون فتاة في بداية العشرينات، ولن أقبل إخضاعها لقيود العمل الروائي الرزين أو إلباسها ثوباً يبديها أكبر مما هي عليه! أريد أن أنشرها كما هي بلا تنقيح؛ سمك لبن تمر هندي! إنها طفلي الذي يعز

علي فطامه بعد سنة من الرضاعة، فأرجوكم، كونوا لطفاء مع هذا الصغير!

ماذا تقترحون علي أن أسميه أو أسميها؟ كنت أفكر في اسم مكون من كلمتين ثانيهما معرف بـ«أل»، مثل أسماء مسلسلات رمضان الخليجية: غربة الأيام، دروب الآه، القدر المكتوب، دنيا الحزن، بعض الفتات، جرح الندم. أم هل أبحث عن اسم من نوع آخر؟ هل أسميها: رسائل عن صديقاتي؟ سيرة وانفضحت؟ أربع بنات؟ ذهبن مع الريح؟ رسائل عابثة؟ إيميلات من أراض سعودية؟ أربع شمعات؟ أربع ورقات كوتشينة؟ فتش عن صديقاتي؟ ابحث عن فضولي؟ أين المفر؟ رسائل من صديقة؟ أنا وبس والباقي خس؟ ما شربش الشاي أشرب قازوزة أنا؟ فوق هام السحب؟ أعيدوا لي صديقاتي؟ كيف تعيش صديقاتي؟ قصة صديقاتي؟

***

كفارة المجلس أو «دعاء الحش» كما تسميه صديقاتي:

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

انتهت

ضجة تعمّ الأوساط المحلية، تقف وراءها فتاة مجهولة ترسل نهارَ كل جمعة «إيميلاً» إلى معظم مستخدمي الإنترنت في السعودية، تفشي فيه أسرار صديقاتها اللواتي ينتمين إلى الطبقة المخملية، التي لا يعرف أخبارها عادةً سوى من ينتمي إليها.

تطل الكاتبة كل أسبوع بتطورات وأحداث شيقة جعلت الجميع بانتظار يوم الجمعة للحصول عليها. وتنقلب الدوائر الحكومية والمستشفيات والجامعات والمدارس صباح كل سبت إلى ساحاتٍ لمناقشة أحداث «الإيميل» الأخير، والكلُّ يدلي بدلوه!

أياً تكن النتيجة، فما لا شك فيه أن هذه الرسائل الغريبة قد قامت بخلق ثورة داخل مجتمعنا الذي لم يعتد مثل هذه الأمور، وعليه، فإنها ستظل مادة خصبة للمداولة والحوار مدة طويلة حتى بعد توقف «الإيميلات» عن الصدور.

في عملها الروائي الأول، تُقْدم رجاء الصانع على مغامرة كبرى: تزيح الستار العميق الذي يختفي خلفه عالم الفتيات العثير في الرياض.

وعندما يُزاح الستار ينجلي أمامنا المشهد بكل ما فيه من أشياء كثيرة، مضحكة ومبكية، بكل التفاصيل التي لا يعرفها مخلوق خارج هذا العالم الساحر المسحور.

هذا عمل يستحق أن يُقرَأ... وهذه روائية أنتظر منها الك

غا





